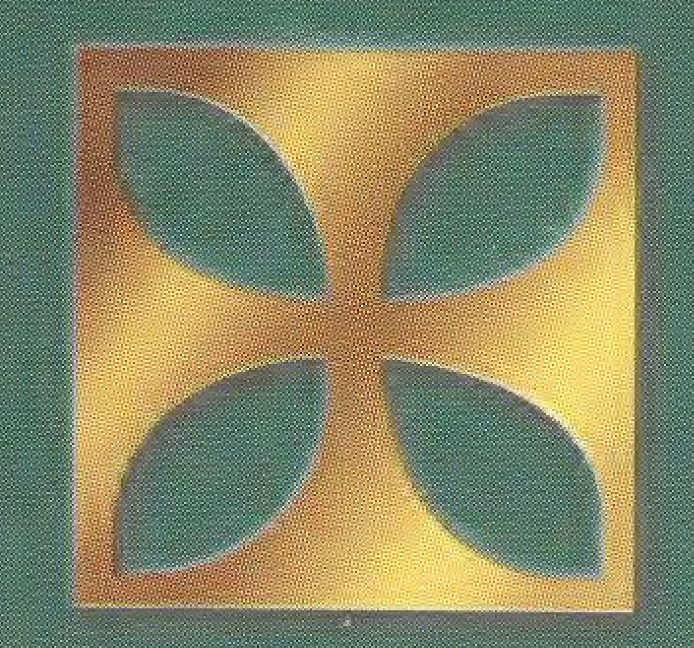
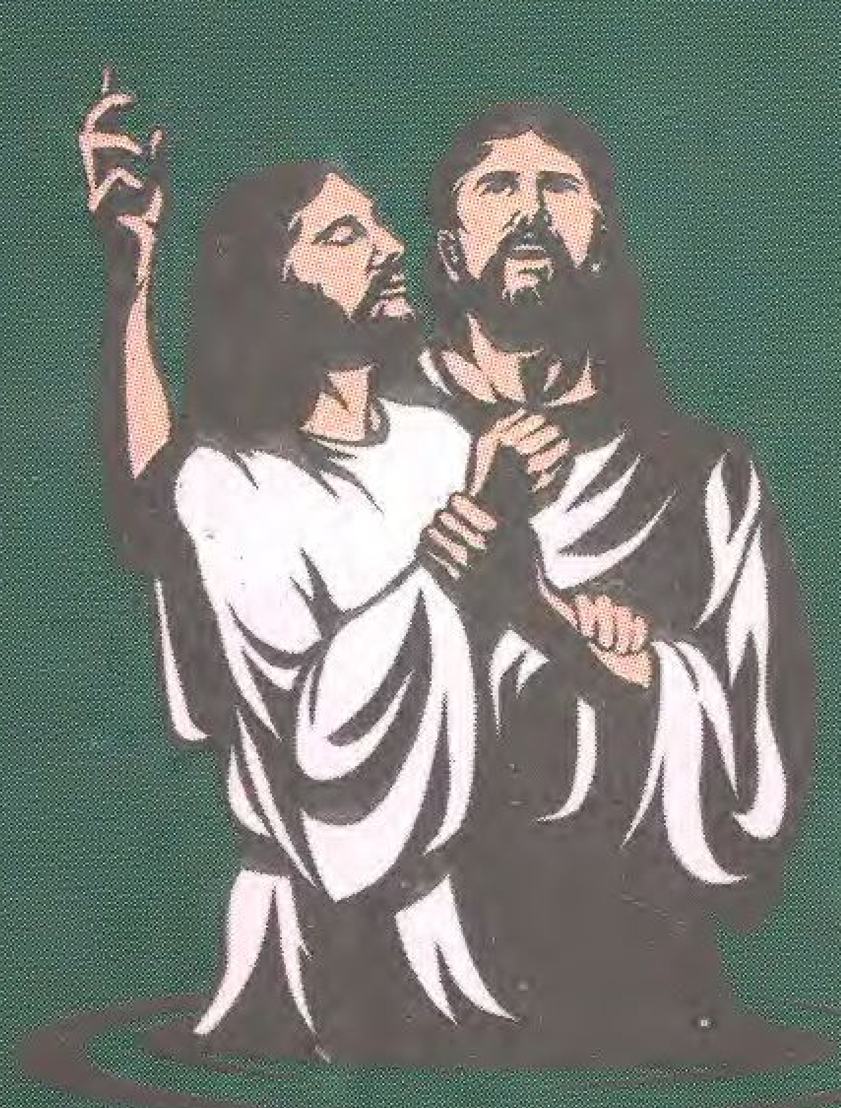


الذين كفروا بالمسيح

الكنائس الكاذبة



وليد طوغان



الكنائس الكاذبة
الناشر: دار الخيّال
الغلاف: محمد الصباغ
الطبعة الأولى

الكنائس الكاذبة

.. الذين كفروا بالمسيح
الكنـائس الكاذبـــة
الطبعة: الأولى يناير ٢٠٠١
رقم الإيداع: ٤٧٢٣ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى: 9- 12 - 5979 - 977
دار الخيّال : ٠١٢٣٢٩٠٦١٨

تصميم الغلاف: محمد الصباغ
جرافيك: محمد كامل مطاوع
خطوط الغلاف: لمعى فهيم
كمبيوتر: دار جهاد
٧٩٦٤٧٨٣

.. الذين كفروا بالمسيح

الكنائس الكاذبة

وليد طوغان

مطبوعات دار الخيّال

الإهداء

إلى بطريرك كرسى مرقص الرسول

«بابا» أقباط مصر.. إجلالاً وعميق الاحترام.

وليد طوغان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

صدق الله العظيم

* قرآن كريم *

[٥٢ - ٥٣ سورة الحج]

1

عاصفة على الكنيسة

دار الخيّـــال

الأمريكى الذى وقف «و«بال» على تمثال الحرية!!

بعد حرب فيتنام، أجرى العلماء الأمريكيون عدة دراسات على الشباب والمراهقين، فوجدوا أن هناك «مصيبة».. و«كارثة»، وقعت ليس على دماغ الجنود الذين «سحلهم» الفيتناميون العراة فقط، إنما على رؤوس المراهقين داخل الولايات المتحدة نفسها.

وجد العلماء أن رؤوس الشباب والمراهقين الأمريكان اصطدمت بناطحات السحاب «وتمثال الحرية»، و«الكابيتول».. وأحس هؤلاء الشباب أن دولتهم كذبت عليهم. فعلى تمثال الحرية كتبت الشاعرة «ايمالازاروس» شعراً تدعو فيه المضطهدين «والمعذبين» فى كل أنحاء الأرض.. لأى سبب، ومهما كان السبب لأحضان أمريكا.. «أم المساكين» و«أم المظلومين».. «أم النور» وحبيبة كل خلق الله. لأنها أم التسامح بين الأديان والألوان.. والعقائد.

ولم يكن غريباً أن يأخذ أمريكى نفسه، ويركب «فلوكة».. ويمشى بها فى النهر، ثم يخلع بنطلونه ويقف ليبول على قاعدة تمثال الحرية .

فبعد نكسة فيتنام، أكبر مصيبة عسكرية فى تاريخ الولايات المتحدة، أحس الشبان الأمريكان أن أمهم «أم النور والمساكين والمظلومين» كاذبة.. إذ كيف تبعث بقواتها

تقتل الأبرياء فى فيتنام فى أقصى الشرق للدفاع عن أمريكا فى أقصى الغرب. كيف يقف قائد الجيش الأمريكى ويقول إن أمريكا تقتل «الفيتناميين» كى تحافظ على «الفيتناميين»، وتشوه «الفيتناميين» إعجابا بهم. وتضع السموم فى المياه وتقتل النباتات والحيوانات من أجل أن يبقى شعب فيتنام.

.. كيف ضربت أمريكا «أم التسامح فى اللون والجنس والدين» شعب اليابان بالقنابل الذرية، ثم تدّعى بعد ذلك أنها حصن السلام، ودرع الأمان.. وكنز الفقراء.. جنة الخاطئين الذين تابوا عن خطئهم .

لقد كفر الشباب الأمريكى بهذه الدولة الجبارة، بهذا العملاق الذى طار عقله كما طارت قاذفات صواريخه لتضرب النساء الحوامل فى البرارى والغابات. كفروا بهذا العبقرى المجنون الذى يبدد الملايين على الصواريخ وسفن الفضاء، بينما لو أعطاها لملايين الفقراء فى العالم، لأصبحت الدنيا جنة حقيقية.. ولقضت بذلك على الشيوعية التى تكسب أرضاً وشعوباً بتعميق كراهيتهم لأمريكا وتناقضاتها السياسية والفلسفية.. كفر الشباب.. تركوا المدارس، وهربوا من الخدمة العسكرية.. وهجروا البيت وناموا فى الغابات يقلدون جثث القتلى فى فيتنام.. ثم هاجروا من أمريكا لغابات الأمازون.. وهناك انتحروا معاً، بعد قرار جماعى لأنهم كرهوا الحياة معا فى أمريكا.. وكرهوا ـ أيضا ـ أن يموتوا على أرضها!!

أما من لم ينتحر.. فقد اتسعت له «الحانات» و«المواخير»، ونسى «ملابسه الداخلية» فى الإصطبلات.. وارتفعت سحب الدخان الأزرق بعدما استعانوا على قضاء حوائجهم «بالمارجوانا». لقد قرر هؤلاء الشبان، بمئات الألوف.. أن ينسحبوا من الحياة، ومن العائلات ومن المعامل ومن الجيش.. وأن يضعوا أنفسهم فى قائمة الهاربين من الحياة.. وحذفوا أنفسهم من الأحياء فى بلادهم، إن بلادهم تقتل أبناء فيتنام بلا قضية، فلماذا لا يقتلون أنفسهم بأيديهم فداء لأهل فيتنام..

وقتها ظهر العنف بكل أشكاله.

السرقات والخطف.. وهتك العرض.. والشذوذ. وفى إحدى المحاكم سأل القاضى طالباً صغيراً فى سن المراهقة : كيف تعتدى على فتاة صغيرة تحبها؟!

كيف تضاجعها حتى تنزف معظم ما فى جسمها من دماء؟!

ففاجأه الطالب قائلا: لم أعتد عليها.. إننا اتفقنا على ذلك.. هي وافقت لما طلبت منها ممارسة الجنس. أما لماذا طلبت منها ممارسة الجنس؟! فليس لأني أحبها.. إنما لأن أباها «قسيس».. وممارستي الحب مع ابنته إهانة له.. وإن كان اعتداء، فهو اعتداء عليه هو، وفضيحة له أمام الطائفة المسيحية، إذ كيف يدعو الناس إلى الفضيلة بينما هو لا يستطيع أن يحمي ابنته؟! لقد اعتديت على دينه، وعلى مذهبه.. وعلى المسيحية التي لم تمنع أمريكا من قتل الأبرياء.. لا أحد من أهل فيتنام اعتدى على أمريكي واحد في أي مكان.. فلماذا لم يمنعنا ديننا ـ إن كان فعلا من عند الله ـ من أن نقتل من لم يؤذنا؟!

وقفز علماء النفس والاجتماع لدراسة الحالة المروعة التي انحط لها الشباب الأمريكي، وكيف يمكن علاجها؟!

وتشكلت لجان ذات صلاحيات كبيرة، وفترة محددة مهمتها تقديم التشخيص والعلاج في تقارير علمية للبيت الأبيض، فالموقف خطير.. والخطر شامل.. وهذا الشمول يهدد المؤسسات العسكرية والمدنية.. فالشباب ضد الدولة وضد الدين. بما يعني أن المستقبل كله ضد الدولة.. وضد الدين.

ولاحظت هذه اللجان بعلمائها، أن كثيرا من الصور الإباحية قد ظهرت لأناس يرتدون ملابس الرهبان المسيحيين، أما الأفلام الجنسية فقد صورت نساء في ملابس الراهبات «يمارسن السحاق» داخل الدير مع بعضهن البعض.. وظهر أن الإقبال على تلك الأفلام والصور الخليعة كبير.

فكان أن قلقت الكنيسة.. وقررت أن تبحث المشكلة من جذورها، ليس من على السطح فقط.

فقد ظهر شباب «يشتمون المسيح» و«يلعنون العذراء». وصعق قساوسة الاعتراف عندما فوجئوا بالشباب يوجه لهم ألفاظا نابية من وراء حجرة الاعتراف. وظهر «مانسون» وظهر «الهيبيز» «والوجوديون»، وهؤلاء كلهم قالوا إن الإنسان حر. وإن الدين خدعة، والمسيحية أكبر خدعة، إذ كيف لكل هذه التعاليم إن كانت صحيحة لا تستطيع أن توقف دمار العالم، وأطماع البشر.. أو كثير من البشر الذى آمن بتلك التقاليد.

وقتل «الهيبيز» العجائز بعد اغتصابهن، وهددوا رجال الدين.. ومزقوا ملابس الراهبات فى الشوارع، وأرغموهن على تصويرهن عاريات ثم هددوا من يتجرأ ويعطيهن أى شىء يسترهن من المارة. واعتمدوا على أن كل شىء لك لو استطعت أن تأخذه. وما حدث فى أمريكا كان له صدى فى أوروبا.. فلو جلست على أى مقهى بشارع «كوينز واى» بلندن، فمن الطبيعى جداً أن تجد من يمد يده دون أن يستأذنك أو حتى ينظر إليك وهو يأخذ كوب عصير الطماطم من على مائدتك ليشربه، «ويتجشأ» قبل أن يرجعه من جديد.. ولا ابتسامة ولا سلام ولا كلام. لقد أراد أن يشرب.. عطشان، ووجد أمامه ما يبل به ريقه.. ولم يمنعه أحد.

حتى لو منعته.. فسيخرج سكينا من ملابسه ويطعنك به، أو يكسر زجاجة «بيرة» فى يده فوق دماغك ودماغ رجال البوليس الذين ينتشرون لتوقيف هؤلاء.

كل شىء مباح.. وكل شىء ليس ملكاً لأحد.. حتى الإنسان، ليس ملكاً لله.. لأنه لا وجود لله. والحياة ليست إلا فترة لا يعلم «الهيبيز» لماذا جاءت ولا لماذا جئنا نحن إليها.

وغير «الهيبيز» جاء «البانكى» و«اليانكى» و«السيماجون» وكلها جماعات ترفض الله والكنيسة، وترى أنهما أساس المشكلة، ولولا وجود الله لما وجدت المشاكل، ولولا وجود الله، لما وجدت الكنيسة.

كان الغاضبون الساخطون، أكثرهم من الطلبة، تمردوا على الدين والدولة ومؤسساتها وعلى سيطرة «الأحبار» و«الكهنة» والأساتذة. وظهر مسرح «العبث» الذى لانهاية له ولا بداية. والذى ـ لا يخلو أيضا ـ من الجنس والعرى والآهات الملتهبة، التى اصطدمت بالمتفرج الإنجليزى «المتحفظ» أو الذى كان «متحفظا» قبل الحرب العالمية الثانية .

وفى قمة مجد المدارس «الوجودية» والحركات «الملحدة» التى خرجت منها ظهرت فرق موسيقية مشابهة« للخنافس»، وذهب زعيم حزب العمال البريطانى هارولد ويلسون وهو فى الوقت نفسه رئيس الوزراء لإحدى الحفلات مع زوجته دون حراسة ورقصا حتى الصباح، ولما سألوه كيف يصحو اليوم التالى مبكراً كى

يلحق «بقداس الأحد» بالكنيسة ؟قال: «قررت ألا أذهب هذا الأسبوع» . وفي الماضي كان صعباً جداً على أي مخلوق إنجليزي أن يقول إنه لن يذهب للكنيسة، حتى لو لم يكن يفعل.. المهم ألا يقول.. وألا يتباهى، فما بالك برئيس الوزراء.

وفي أحد الاستفتاءات كان السؤال: هل توافق على القيم الأخلاقية التي تعلمتها من والديك؟!

٦٢٪ من الألمان قالوا: لا، و ٥٠٪ من الفرنسيين قالوا: لا.. أيضا. فلم تعد طاعة الأب واحترام الأم واجبة، ولم يعد هناك من يسعى لتقديس النظام من الغاضبين من الأجيال الجديدة.. وفي جامعة برلين ألقى الفيلسوف الألماني «هربرت مركوزة» محاضراته الملتهبة.. دعا الشباب أن يظلوا كما يريدون. وألا يلتفتوا لآبائهم ولا أمهاتهم الذين لم يعرفوا يوماً كيف يكونون شباباً.. وكيف يتمردون. فقد ولدوا رجالاً ونساء محرومين من نعمة الاعتراض والتمرد، أما أجدادهم فقد ولدوا عبيدا ساقهم هتلر بالملايين إلى الموت.

وتحولت الكلمات إلى مسدسات وقنابل، وحاصروا أكبر دار للصحافة والنشر في ألمانيا.. دار «اشبرنجر» التي تصدر عنها مجلة «دير شبيجل» المشهورة. وسنة ٦٨ ظهر للشباب الألماني الغاضب زعيم اسمه «دوتشكه» أصابه رصاص البوليس.. فمات «مشلولا» سنة ١٩٧٩ وعمره تسع وثلاثون سنة .

بعد «دوتشكه» ظهر للشباب الغاضب والكافر بكل شيء زعيمة اسمها «اسلين» وهي ابنة قسيس، وبعد «اسلين» «أولريكة فيهوف» وكانت صحفية وأما لطفلين.. وبعد أن تركت «أولريكه» مهنتها وطفليها. راحت مع عشيقها تبحث عن حل مشكلة شباب المجتمع الأوروبي الغاضب .

وتألقت مؤلفات «يونسكو» و«اداموف» و«اربال» و«بيكيت» وآخرين. وهؤلاء حاولوا أن يؤكدوا فكرة أن العبث هو حياتنا وحاضرنا ومستقبلنا. و«العبث» معناه أنه لا فائدة من أي شيء، ولا أمل في أي شيء.. لادين ولا رب ولا قواعد ولا «بروتوكول».

كان لكل هذا معنى واحد. أن أوروبا.. أو شبان أوروبا تمردوا.. ورفضوا كل

شيء.. الدولة.. والدين.. الكنيسة والراهب.. السوق والمعاملات النقدية.. والحرب. و«الفلسفة الوجودية» فى نهاية القرن التاسع عشر هى أكبر دليل على الكفر بالسلطة المطلقة للدولة والدين.. وعلى التبشير بسلطة الفرد والحرية، التى تتعارض بالضرورة.. مع الدولة والدين.

وكانت الكنيسة ـ كما كانت الدولة ـ هى السلطة التى تريد أن تبتلع كل إنسان حر. لذلك كان من الضرورى أن يرفض هذا «الإنسان الحر» أن تبتلعه أى سلطة.. لأى سبب.

وتعالت الصيحات فى أوروبا ضد الشيوعية وضد المثالية.. أصحاب هذه الصيحات كانوا «وجوديين».. والوجوديون رأوا أن «الشيوعية» مثلها مثل «المثالية».. والرأسمالية أيضا كلهم «زى بعض»، كلهم لا يرون أهمية للفرد. إنما هذا الفرد يدخل فى إطار المجموع.. رقماً بين الأرقام.. تسير به الحياة كأنه راكب قطار فيه ركاب كثيرون، لايهم لو سقط منهم واحد. المهم أن يصل القطار.. كذلك المثالية.. تنكر الواقع وتحلم بما هو أفضل.. مع أن الذى هو أفضل، ليس له أى وجود.

إذ أن المثالية ساخطة على الواقع، تحلم بواقع أفضل وأعدل وأجمل، يعنى الناس يجب أن يعيشوا فى عالم ينكرونه ويكرهونه ولا يعيشونه.. إنما يمرون به مروراً انتظاراً لنهاية سعيدة.. إذاً هى الدين، أو هى أسلوب وفكر كل دين.. وهى أيضا هدف كل الأديان.. لذلك هى مرفوضة .

والشيوعية التى هى ضد الأديان، تشبه الأديان.. بل هى دين، وهى كذلك ترى الماضى مرآة المستقبل.. أما الحاضر فلا قيمة له. إنه ظل الماضى وشبح المستقبل.. ولا حول لأى فرد إلا مع (الكل) مع الجماعة.. بكل الناس، وبكل المجتمع.. لذلك هى أيضاً مرفوضة.

ولما تحددت معالم «الوجودية» لكل هذه الأسباب، أضيف إليها اليأس من إصلاح الإنسان للإنسان، اليأس من أن ينهض الإنسان بأى شىء لا بدولة، ولا أن ينهض به دين.. ولا أن ينهض هو بنفسه. فلا شىء حقيقى ولا مؤكد، لكن الوجود

المحدود هو الوحيد الأكيد، أما المجتمع والدولة والناس والجماعات والجماهير فهى جميعاً مسميات غير منطقية.. لأن المجتمع غير محدود.

الفيلسوف الأسبانى الوجودى «چاسيت» يقول: «إن ذبابة لها وجود محدد، له أول وآخر.. تراه وتلمسه وتحصره وتحاصره، لكن الجماهير.. ليس لها رأس ولا رجل ولا عين.. وإنك لا تلمسها.. ولا تستطيع أن تحصرها. والفلسفة الوجودية الدانمركية عند «كيركورد»، والألمانية عند «هيدجر» والفرنسية عند «سارتر» والإيطالية عند «ابانيانو» والأسبانية عند «أونامونو» والإنجليزية عند «كولين ويلسون»، والأمريكية عند «هربرت مركوزه» كانت كلها محاولات فى مواجهة القوى الغاشمة للسلطة والكتاب.. للدولة والكنيسة.. يعنى المجتمع والدين.

ولا شك أن كل حركة، وكل فلسفة.. وكل محاضرة من محاضرات «الوجوديين» أو معركة من معارك «الهيبيز».. أو جريمة قتل من جرائم «اليانكى» قد هزت الكنيسة الأوروبية هزاً عنيفاً، ولا شك - أيضا - أن تيقن الكثيرين فى أن الشباب أصبح مهيأ لقبول أى شىء ضد الدين.. أو أصبح مهيأ لأى دين غير الدين.. أو أنه مهيأ كى يخترع ديناً، ويبتكر عقيدة.. ويصدقها ثم يصدق نفسه، إما مرضاً نفسياً.. وإما «نكاية» فى الكنيسة التى ظل يعانى منها منذ القرون الوسطى حتى الحرب العالمية الأولى.

❑

سنة ٩٢، اكتشفت لجنة فنية شكلتها ٦ جامعات أمريكية بالتعاون مع مجموعة من رجال الدين، أن هناك أكثر من ٢٢٧ حركة عنصرية ودينية متطرفة ظهرت فى النصف الثانى من القرن الحالى وتشعبت هذه الحركات من الولايات المتحدة لدول أوروبية كثيرة.

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٩٩١، أعلنت هيئة العلماء التابعة للجنة الدراسات الإنسانية بجامعة ماساشوستس أن اللجنة المكونة من ٣٧ عالما وعالمة ورجل دين.. قد اكتشفت ضمن ٢٢٧ حركة ٨٧ كنيسة جديدة .

المفاجأة أن كل هذه الكنائس لم تكن لها أية علاقة لا بالدين المسيحى ولا الدين اليهودى ولا حتى ديانة «بوذا».. بالعكس.. فإن فى هذه الكنائس من كفّر المسيح

نفسه.. وكفّر كل الأنبياء والمرسلين.. وأن ٢٧ جماعة من هذه الجماعات قد اختارت لها نبياً جديداً.. وكتاباً جديداً، وطقوساً جديدة.. وفى معظم الأحوال اختاروا.. رباً جديداً .

كانت مفاجأة قاسية، أو مفاجأة عصفت بالرأى العام الأمريكى كله.. طلاب المدارس والجامعات والمراهقين، وعصفت أكثر برجال الكنيسة الأوروبيين.. ووقف المطران «باخوليوس» (أحد كبار رجال الدين بالكنيسة البريطانية) وهو فى زيارة للولايات المتحدة عندما سألوه فى مؤتمر صحفى عن تعليقه على النتائج التى وصلت إليها لجنة الجامعات المشكّلة فقال: كنا فى الماضى نعلم أن الرب واحد.. وأن المسيح نزل، وأن هناك ملائكة وشياطين.. وأن الخطيئة واضحة.. وحلال الرب أوضح، إلا أنه فيما يبدو أن هناك من لم يقتنع بهذه الحقيقة.. لذلك طالتنا المشاكل.. والكوارث. والمصيبة الكبرى أن المسيحية فى مهدها احتاجت لأكثر من ٧٠٠ عام حتى تدخل بلداناً كثيرة.. أما ديانة الأمريكيين الجديدة، فلم تحتج إلا إلى ٥٠ عاماً على الأكثر لتعم القارة الأوروبية انطلاقاً من تحت تمثال الحرية .

بالطبع لم تعجب تصريحات «باخوليوس» رجال الدين الأمريكيين، وفهموا أن أهم ما قاله أو كان يقصده «باخوليوس الإنجليزى» أن الأمريكيين أصبحوا «عالة» على العالم المتدين.. وأنهم لم يدمروا ويقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ.. ولم يقتنعوا أن يكتفوا بافتعال حروب متلاحقة كبيرة كى يجربوا أسلحتهم الجديدة فقط، إنما انصرفوا للتلاعب بالعقيدة.. وأصبح الأمريكى فتوة فى السياسة.. فتوة فى الحرب.. فتوة ـ فى الدين ـ أيضا، كل هذا يفعله وهو يأكل الأيس كريم.. الأكلة الشعبية الأمريكية .

لذلك فتح الكل ملفات الدين.. كل على هواه.. حسب ما يرى ويشعر.. والنتيجة ما وصلت إليه اللجنة الجامعية، بعدما سبق السيف العذل.. وانتشرت على الأرصفة مجموعة من «الرعاع».. تلعب الجيتار وتضع سلالاً أمامها فى محطات المترو.. ويقولون بلسان ثقيل بعدما يفيقون من الخمر، إنهم لا يعلمون من هو المسيح ولا ما الذى أتى به.

أما كلام المطران «باخـوليوس»، فلم يعجب الرهبان الأمـريكيين.. وكاد الأمر أن يتحول لعاصفة من «الكلام» و«الـسب» و«القذف» و«رمى الجمرات» و«الحرمان من التناول» عندما رد أحد الأساقفة الأمريكـان على «باخوليوس».. وفى مؤتمر صحفى أيضا.. قائلا وكأنه لا يعنى ما يقول: إنه لـيس من العيب على المجتمعات الجديدة أن تمسها السلبيات.. حتى لو تعلقت بالعقائد.. لأن فى النهاية الدين الصحيح هو الذى يطفو فوق المـاء.. ويغرق الباقى، أما المشكلـة الكبرى التى يجب أن يجد الـعالم لها حلاً.. فهى كيفية القضاء على مصدر العفونة فى أى مخزن طعام.

وأردف الأسقف قائلا: «لو كنت تأكل فى الغـرب وتشم رائحة نتنة، فمن المؤكد أن مصدرها البر الآخر».

وفهم الأسـاقفة الأوروبيـون الرسالة، وأن كلام الأمـريكى ـ بتـاع الآيس كريم ـ يؤكد أن المشكلة فى البر الآخر.. والبر الآخر للولايات المتحدة هو إنجلترا .. وأوروبا كلها.

ولما وصلت المشكلة للبابا.. كلف كبير أساقفة «كانتربرى» أن يقول فى بيان له إن المسيح سـامح وتسامح.. ولا ينبـغى لبعضنا أن يـفقد أعصابه.. المهـم أن نبحث وأن نعلم.. نبحث فى الأصول ولا نهتم فقط بلون الثوب.

أسقف كانتربرى كان يـوجه كلامه للجنة الأمريكية.. يقول: لا تـبحثوا فى شكل وطريقة وحياة ومعتقدات هذه الجماعات الغربية الجديدة.. إنما المطلوب هو أن تعلنوا وفى أقرب فرصة ما الأسباب، والظروف والملابـسات؟ لماذا أصر هؤلاء ـ ومعظمهم من الشباب ـ أن يخترعوا أدياناً جديدة؟!

كان الأسـقف عـلى حـق.. وقد الـتقـطت لجـنة الجـامعـات الخيـط، وقالـت فى صفـحات مـنشورة: إن المـشكـلة الأساسـية هـى نمط الحـياة فى أوروبـا وأمريـكا.. وأضافت أن السبـب الآخر والأهم هو الحروب، وما عاناه الإنسـان الأوروبى منها.. خصوصاً حرب فيتنام التى كره الأمريكى فيها نفسه وكره العالم.

قالوا إنه لا يـوجد سبب يجعل الأمـريكى المتدين يسـحق مواطنى العالـم الثالث بالمعونة مرة، وتحت جنازير الدبابات مرة أخرى.. إلا أن يكون فيه خطأ.. أو أن الخطأ

فى دينـه. فإما أن تتغـير الطريـقة.. وإما أن يتغـير الدين، وإذا كان المجـتمع لن يـغير الطريقة.. فإننا سوف نغير الدين .

أى أن الشباب أصـروا على أن يرفضوا الديـن ويرفضوا الآباء والكـهنة، وعادوا يمسحون أفـواههم بملابس الرهـبان.. واستقروا علـى أن يهدموا الأديرة وأن يطـعنوا القديسين بـالخناجر.. وليس بمستبعد أن يبعثروا هيـاكلهم العظميـة المحفوظة داخل سراديب الأديرة فى الشارع لتتحلل فى الأمطار.

قالت لجنـة «ماساشوستس» أن مـن الأسباب.. أو أحد أهم الأسبـاب أن المجتمع عندما يتحلل، وفى الوقت نفسه لا تستطيع الحكومة إقناع الشباب بمبرراتها السياسية الدامية.. فإن الأمر يصل لما لا يمكن أن يصدقه أحد.

أشهر الجماعـات التى شملها تقرير لجـنة «ماساشوستس».. جماعة «المـسيحيون الصـرحاء»، و«كنيـسة الوراء».. و«كـنيسة الـروح».. وأخيراً «كـنائس الصـمت».. وكلـها كنائـس قالت إن المسـيحية الـتى يعتـنقها الـعالم مسـيحية مـزورة.. ولا تمت للمسيحية الحقيقية بصلة.

«جماعة المسـيحيين الصرحاء» أسسهـا شخص اسمه «أجاويد رفلنـى»، الفرنسى الذى أصبح أمريكيا عام ١٩٧٨ .

«أجاويد» كان عامـلاً بأحد مناجم الفحم حـتى بلغ السابعة والأربـعين من عمره وفجأة.. وكما يقولـون اكتشف أنه لا فائدة من العمل ولا من الفـلوس التى يحصل عليها بعد الـعمل.. اكتشف أيضا أنه لا فائدة من الصـلاة، ولا أن يلبس رجال الدين لبساً مميزاً يميزهم عن بقية خلق الله.

فالمسيحية ليست ملابس وكنائس ورجال دين، إنما المسيحية شيء آخر.

وترك «أجاويد» عـمله.. وقيل إنه انتقـل من الجنوب الأمريكى للـشمال، وعاش متقشفاً فى بيته حتى مات عن عمر يـناهز الـ ٥٨ عاما.. كان قد جمع حوله أكثر مما يزيـد على ١٨٠٠ شـخص آمـنوا بما كـان يقولـه، وهو أن المـسيحـية التـى يعـتنقـها المسيحـيون حول العالم خطأ.. ومـفتعلة.. ولا صلاح ولا تقـوى إلا أن يعود هؤلاء ويصححوا مسيحيتهم.

وظهر «روكين رولان»، وهو فرنسى أيضا.. وأشهر جماعة وأطلق عليها اسم «المسيحيين الصرحاء»، وقام بتقليد «روح» أجاويد وسام القداسة.. وأعلنه قديساً للجماعة.

واستطاع «روكين» أن يضم للكنيسة أكثر من ٣٠٠ عضو معظمهم من الشباب.. وروكين نفسه كان شاباً، وعندما أسس الجماعة كان عمره ٣٢ عاماً.

قال «روكين» إن القديس «أجاويد» ترك عدة رسائل يشرح فيها وجهة نظره فى الدين المسيحى.. منها أن المسيح الذى ولد من العذراء مريم ليس هو الرجل النبى الذى تكلمت عنه التوراة، إنما هو رجل صالح فحسب يأتى على نفس شكله وملامحه وسماته أربعة رجال آخرين.. وعلى فترات زمنية مختلفة.. وينتهى الأمر بأن يظهر المسيح الحقيقى .

والمسيح الحقيقى من المفروض أن يظهر سنة ٢٠٢٥، وهو العام الذى قيل إن القديس أجاويد حدده فى الرسائل التى تركها.

وعام ١٩٧٩ أعلن «روكين» منزل «أجاويد» فى الجنوب الأمريكى كنيسة عامة، وعين ١٧ أسقفاً معنيين بالشئون المختلفة.. لكن يبدو أنه بعد فترة وجد عدد الأساقفة كثيراً جداً بالنسبة لعدد شعب الكنيسة (٣٠٠ شخص)، فأصدر مرسوماً يقضى بتخفيض عدد الأساقفة من ١٧ إلى ٦.. وترك الأساقفة أنفسهم يختارون الستة.. أما الباقى، فعليهم أن يخلعوا أنفسهم من الرهبنة .

واختلف السبعة عشر أسقفاً حول من يظل ومن يخرج.. ولما اختلفوا اعتصم ٨ منهم داخل منزل القديس أجاويد.. أو داخل هيكل كنيسة الصرحاء، ولما طلب الأساقفة الآخرون الدخول.. رفض المعتصمون.

وهدد الأساقفة فى الخارج، وتوعد الذين بالداخل.. إلا أن الأمر انتهى عندما أتى الأساقفة المطرودون بمجموعة من «چراكن» البنزين والسولار ، وحرقوا الكنيسة بالهيكل وبالمذبح وبالثمانية رهبان فى الداخل.

وقتلوا من حاول الخروج هرباً من الحريق.

ثم نصبوا شخصاً منهم يونانى الأصل اسمه «فرناندیس» أسقفاً عاماً، ولما وصل

الخبر للزعيم الكبير «روكين» فى الشمال، ركب مسرعاً وعاد للجنوب.. ولما قابل الأسقف العام مسح بكرامته الأرض، والجدران.. وشبابيك الكنيسة المحروقة. إذ كيف يعينون أسقفاً دون مشورته هو «البطرك».. «البابا».. وزعيم كل هؤلاء؟!

وكانت النتيجة أن شعب الكنيسة وأساقفتها وشمامستها قتلوا «روكين»، وقد وجد البوليس جثته عائمة على الماء بعد أيام من رجوعه للجنوب.

الجثة كانت عارية، وقال المحققون إن بها آثار تعذيب جنسى فى أماكن حساسة من جسده، وأن المعذبين استخدموا آلات حادة وأسياخاً حديدية مصهورة لتعذيبه.

وفى حين كانت التحقيقات على أشدها.. أعلن «فرنانديس» (الذى نصبوه أسقفاً عاما) أن كنيسة الصرحاء تلغى الفوارق بين الطبقات فى المال والشكل والمظهر.. ثم فى الجنس. وأباح الزنى .. وأباح الطلاق قبل وبعد الزنى، وأباح القتل ـ أيضا ـ على شرط ألا يكون القتيل من «المسيحيين الصرحاء» .

فى الوقت نفسه.. عندما كان فرنانديس يضع دستوراً جديداً «الكنيسة الصرحاء».. ظهرت «كنيسة الوراء». أو «كنيسة الروح».

وهى كنيسة «زنجية».. أو لا يصح أن يكون شعبها إلا من الزنوج.. يعنى كنيسة عنصرية تؤمن بأنه إذا كان لا يدخل الجنة غنى، فإنه لن يقربها إلا زنجى .

«والمسيحيون الوراء» يعتقدون أن آدم أبا البشر كان أسود البشرة.. وأن حواء هى الأخرى كانت سوداء. وأن الأصل والأساس فى الإنسان هو بشرته السوداء، أما البيضاء.. أو الإنسان الأبيض فليس إلا نوعاً من الألوان والأشكال والتخاريف الجديدة التى ظهرت فى العالم.

وقالوا أيضا إن البشر كلما ازدادوا إيماناً، اسمرّت ملامحهم، وأن البشرة السوداء تعلن ـ ببساطة ـ عن حياء الإنسان وأدبه أمام ربه .

«كنيسة الوراء» أسسها عام ٧٩ شخص اسمه «سياجو أولفور»، وفى نفس العام أعلن منزل خالته التى ربته بعد موت أمه كنيسة عامة للطائفة.. وفى إحدى الليالى.. تسلق سياجو ومجموعة من أتباعه سور إحدى الكنائس فى منطقة شمال كاليفورنيا وأيقظوا القسيس وطلبوا منه التوقيع على ورقتين.. الأولى تقول إن المسيحية التى

يعتنقها القسيس ليست صحيحة، والثانية تقول إنها فعلا صحيحة.. و لما استجاب القسيس تحت تهديد «الخرطوش».. ووقع.. قتلوه.

وخرجوا ينشرون قصة الورقتين.. ليؤكدوا أن رجال الدين ليسوا إلا مجموعة من أصحاب المصالح.

وقبض البوليس على «سياجو».. وحاكموه عام ٨٤.. وفى قاعة المحكمة طلب «سياجو» الإذن بالكلام.. وسأل القاضى قائلا: «سيدى هل أنت مؤمن؟!».. فرد القاضى:.. «طبعا مؤمن بالله».. فقال سياجو وهو يصرخ: «إذاً قل لربك أن يكف عن مضايقة ربى» .

وذهل القاضى، وطلب محامى «سياجو» أن يعرضوه على الطب النفسى وأن ينتظروا التقرير، ولما جاء التقرير أكد أن «سياجو» يعانى من اضطرابات فى الشخصية وأنه ملىء بالإحباط العام.

وأقفلت القضية عندما انتحر «سياجو» فى السجن.. ولما مات وجدوه ملقى على الأرض فى وضع الصلب، فاتحاً يديه وضاماً رجليه وقد ترك ورقة كتب فيها إنه اكتشف فجأة ـ ودون قصد ـ أنه المسيح .

وقتها تناقل الأمريكيون نكتة تقول إن «سياجو» أول زنجى أمريكى يتقلد منصباً مهما جداً فى الولايات المتحدة .

وضمن «الهجص» و«الكلام الفارغ».. ظهرت ٣٦ جماعة أخرى تنتظر يوم القيامة.. معظمهم قال إنه أول يناير سنة ٢٠٠٠.

وبدأ الكثيرون منهم الإعداد لهذا اليوم.

«جماعة الحالمين بالأطياف الأولى» مثلا سيخلعون ملابسهم كلها، شهر ٨ عام ٩٩.. وسيقفون «عرايا» عند سفح جبل «إرارات» بتركيا، انتظاراً لقيام القيامة بعد نزول «شيث» ابن آدم.. أول نبى فى التاريخ .

أما «الهارونيون».. أو «أولاد هارون»، فقد بدأوا الاستعداد لسنة ٢٠٠٠ منذ سنة ٩٥، بقيادة شخص اسمه «دارو انديانو». «دارو» وأصحابه مصرّون على أن النبى

موسى سرق النبوءة من أخيه هارون!! وأن هارون عندما «ركنه موسى على الرف».. اكتأب، وظل «لسانه لا يخاطب لسان أخيه» حتى مات الاثنان بعد خروج بنى إسرائيل من مصر.

«أولاد هارون» يزعمون أن الله قد وعد هارون أنه سوف ينزله للأرض من جديد قبل سنة ٢٠٠٠، حتى يستعيد نبوءته التى سُرقت منه. وأن العالم سينتهى بسرعة حتى لا يتمكن أحد من سرقتها مرة أخرى .

أما «أبناء الضوء».. فقد بدأوا الصمت التام.. وكفوا عن الكلام.. بعضهم صامت فعلا، وبعضهم لا يتكلم إلا قليلاً جداً. فالصمت سيساعدهم. على تحرير أرواحهم.. وسيساعدهم ـ أيضا ـ على التخلص من كل ما اقترفوه فى حياتهم من ذنوب.

معظم جماعات «يوم القيامة» بدأت تتحرك فعلا، وبدأوا التخطيط لقتل أكبر عدد من الناس ـ كل جماعة حسب تعاليمها، على أساس تحضير العالم لليوم المشهود.

أولى الجماعات التى تحركت.. جماعة «ايهود زائيفى» (٣٦ سنة).. ايهود دعا كل زملائه من كل أنحاء العالم للتجمع فى إسرائيل، وعلى أبواب القدس القديمة انتظاراً لنزول المسيح.. وقيام القيامة عام ٢٠٠٠.

لم يكذب زملاء ايهود خبرا، فانطلقوا يأتونه من كل فج عميق. وفوجئت السلطات الإسرائيلية عام ٩٨ بدخول ٢٠٦٠ شاباً من جماعة «زائيفى» خائفين من يوم القيامة.

«إلا أن جماعة «زائيفى» ليست خطرة، على عكس «أولاد هارون» أو «الحالمين بالأطياف الأولى».. الذين بدأوا فعلا فى القتل والاغتصاب وإتيان كل الفواحش لعدة أسباب.. القصة عند «أولاد هارون» مثلا.. أن نبى الله موسى عندما استعان بأخيه هارون كى يذهبا لفرعون مصر.. اتضح أن هارون ـ بعد مقابلة فرعون ـ أفضل من أخيه. لذلك طلب الرب من موسى أن يدع النبوءة لأخيه، إلا أن موسى رفض وتعلل بأن هارون ليس مقبولاً من قومه، ولا هو محبوب.

واستطاع موسى «بطريقة ما».. أن يقنع ربه «بلاش هارون» يعنى «بلاها هارون» «خد موسى».. ويقول «الهارونيون»، إن هارون لم يكن يعلم عن هذا شيئاً، وبعدما عرف.. أصابه «القرف» من أخيه، واكتأب وانطوى على نفسه حتى أنه رفض الخروج مع موسى واليهود من مصر أول الأمر .

لكن ملاكا من السماء جاءه، وبشره بأنه سيموت، وسينزل الأرض من بعد موته وقد دبت فيه الحياة من جديد.. وسيستعيد النبوءة والقيادة والمقام المحمود سنة ٢٠٠٠ بعد ميلاد المسيح.

يزعم أولاد هارون أيضا أن الملاك الذى نزل قال لهارون إن موسى يجب أن يسقط فى الامتحان.. وسقوطه فى الامتحان يعنى سقوط كل أتباعه ـ أى أتباع موسى ـ فى الخطيئة التى نهى عنها الله.

وهذا يعنى أمرين: الأول: هو أن موسى الذى تصدى للدعوة لم يستطع أن يلزم بها الناس، أما الثانى.. فهو أن هارون عندما يصعد للسماء لن يتكلم إلا بالخير عن أخيه.. إلى أن يأذن له ربه بالنزول مرة أخرى للأرض.. وتحقيق ما فشل موسى فى تحقيقه .

«أولاد هارون» يعرفون نسبهم حتى جدهم الأكبر هارون. وعليهم قبل مجىء سنة ٢٠٠٠ أن ينشروا الرذيلة والفساد والشذوذ الجنسى فى أتباع موسى.. بعد ذلك يقتلونهم جميعاً. لذلك فالجرائم واللواط والسحاق بينهم منتشر.. الشرط الوحيد ألا يمارسوا كل هذا ولا بعضه إلا مع من ليس من ملتهم!!

ومن مارس الرذيلة منهم مع «هارونى» أو «هارونية» مثله لن يُشفع له، ولن يدخل الجنة.. ولن يسلم على هارون يداً بيد عندما ينزل من جديد للأرض.

إنجلترا وحدها شهدت أكثر من ١٠٦ جرائم عام ٧٥ أبطالها «هارونيون»، كل جريمة يفاجأ رجال الشرطة أن المجرم فعل ما فعله من قتل واغتصاب لأجل «هارون».

وعندما يسألونه: هارون من؟! يجيب: هارون أخو موسى بن عمران الذى خرج باليهود من مصر.

أما «الحالمون بالأطياف الأولى».. فلا يصدقون أى نبى، ولا يقتنعون بأى كتاب.. لأن النبى الوحيد عندهم «شيث» أو «شيوس» ابن آدم.. وحده.

«وشيث» قال للمقربين منه ـ بعد موت آدم ـ إن العالم سينتهى بعد ميلاد المسيح بألفى سنة. وقال أيضا ـ فيما يزعمون ـ أن أحداً لن يصدق كلامه بعد موته.. أى بعد موت «شيث» نفسه، وأن المؤمنين به سيصبحون قليلين جداً.. حتى أنه لن ينتظر نهاية العالم عند جبل «إرارات» بتركيا غير مجموعة لا تتعدى الألف شخص.

والشائع بينهم أنه عندما قتل قابيل هابيل.. هرب القاتل وترك المكان بما فيه.. ترك أيضا زوجته وأبناءه يسكنون سفح جبل «إرارات» بتركيا.. وقتها كان «شيث» صغيراً فى السن، وعندما كبر تزوج من أخته «راياه» وسكن معها ومع آدم ـ الذى لم يكن قد مات بعد ـ على قمة نفس الجبل..

يعنى «شيث» وأبوه وزوجته فوق الجبل.. وأولاد قابيل وزوجته بأسفل.

وخلف «شيث» ابن آدم ١١٢ رجلا وامرأة، وعاش ما يزيد على ٦٧٠ سنة.. وفى آخر أيامه، كان يترك قمة الجبل كل فترة مجموعة من أبنائه بدعوى أنهم سيذهبون ليروا ماذا يفعل أبناء عمهم تحت الجبل.

طبعا لم يكن هذا هو السبب.. لأنه فى الحقيقة، كانت النساء من أبناء «شيث» قبيحات، على عكس النساء من أبناء قابيل.. وطبيعى أن يتسرب الرجال من فوق الجبل طمعاً فى الجمال والرقة.. ومات «شيث» بعد فترة، لم يكن معه فيها إلا ابنه «ايراب».. وعلى فراش المرض.. قال «شيث» ـ فيما تزعم جماعة الحالمين بالأطياف الأولى ـ إن كل البشر من نسل آدم ملعونون إلا نسل «ايراب» الابن، الذى منه سيولد رجال صالحون يقتلون الخطائين حتى يسلم العالم. وتبرأ الذمم. وتستقر الضمائر.

بعد موت «شيث» انزوى «ايراب»، وفصل نسله عن نسل الآخرين، وظهر من أولاده النبى «أخنوخ.. أو «إدريس».. ومن نسل أخنوخ ولد نوح.. ولما جاء الطوفان، استقر نوح بالسفينة على جبل «إرارات»، وهناك قال لأبنائه أن كل البشر ماتوا ماعدا نسله.. وأولاد «ايراب» «ابن شيث» الذين لم يصبهم الطوفان..

وأوصى أنه إذا لقى أحد أولاده أولاد «ايراب» عليه أن يتبعه.. لأنهم ـ أى أولاد ايراب ـ هم الوحيدون على الأرض الذين يعرفون متى تقوم القيامة .

أوصى نوح أيضا أن يفعل أبناؤه كل ما يأمرهم به أولاد «ايراب».

أما «ايراب» نفسه فقد لقن أبناءه أن العالم سينتهى فى تاريخ معين، وأنه عندما يأتيهم الهاتف من السماء مبشراً بقرب النهاية.. عليهم أن ينزلوا فى الآخرين قتلا وسرقة وعذاباً حتى يلقوا أباهم «شيث» أطهاراً .

وعام ١٩٨٧ ظهر بالولايات المتحدة «إرنست بويان».. وهو أرمنى الأصل هاجر والده للولايات المتحدة منذ زمن. وإرنست هو الذى اكتشف النهاية التى يقصدها ابن النبى «شيث». لذلك ألف «إرنست» جماعة من المخلصين اختصهم بالمعلومات عن سنة ألفين التى سينتهى فيها العالم.. وحلف هؤلاء أمام الزعيم.. الذى هو «ارنست» ألا يقول أي منهم أى كلمة لأى شخص عن الميعاد.. ميعاد قيام القيامة الذى اكتشفه «إرنست».. حتى لو كلفه هذا حياته.

بعدها بثلاث سنوات.. قبض البوليس على «ارنست» نفسه بتهمة إثارة الشغب، بعدما أمسكوا به سكران، ورفض دفع الحساب لصاحب إحدى الحانات.. ولما جاءت الشرطة قام وكسر كل زجاجات الخمور مؤكداً للضباط أنهم لا يعرفون من سيعتقلون.

ولما سألوه عن هويته.. قال إنه حفيد «شيث» وابن «ايراب».. حفيد آدم.

وبعد استجوابه أبلغ ـ ببساطة ـ عن جماعته، وأفرادها المقربين الذين اختصهم بالمعلومات وحلفهم ألا يخبروا أحداً عنها .

وعام ٩٠.. حاكمت محكمة «أريزونا» ٢١٧ شخصاً من «المنتظرين للأطياف الأولى»، وهرب عدد لابأس به لمناطق متفرقة.. وما أثار الرأى العام الأمريكى وقتها، هو أن عضوا بالكونجرس جاء اسمه فى التحقيقات.. كما جاء اسم ابن الممثل «ارسون ويلز»، وقيل إن «إرنست» «السكران» ذكر أكثر من اسم لضباط بالجيش الأمريكى ضمن أفراد جماعته.

المثير.. أن جماعة متمردى «الكونترا» (جماعة انفصالية بنيكاراجوا) أطلقت اسم

«إرنست» فور اعتقاله على إحدى عملياتها العسكرية.. واتضح أن هناك علاقة من نوع ما بين «إرنست» وبين عضو بمجلس الشيوخ، وبين صفقات أسلحة من نوع ما بين الولايات المتحدة.. ومتمردى نيكاراجوا.

وانتهى الأمر بإرنست فى إحدى المصحات النفسية بنفس الولاية، وعام ٩٤ حصل على بطولة المصحة فى الشطرنج. ومات سنة ١٩٩٧.. وقيل إنه مات من تأثير المخدرات، وقيل إنه مات من جرعة زائدة من «شم البنج».. إلا أن أتباعه قالوا إنه صعد إلى السماء يستعجل الهاتف.

وعندما يأتى الهاتف، سيقتل الحالمون بالأطياف الأولى كل من يجدونهم فى طريقهم.. وسيصلون جبل «إرارات» منتظرين أن تقوم الساعة..

❑

أما النازيون الجدد، فهم أغرب الجماعات التى ظهرت فى الغرب.. وهم أكثر من ٢٠ فصيلاً.. أهمهم وأشهرهم فصيل «الفولفانج» صاحب «الصبغة الدينية» الفريدة، والذى أعاد قراءة تاريخ الكتاب المقدس.

والفولفانج يميلون للعنف وصبغ الشعور بالألوان، مع الاستعداد لقتل كل مواطنى العالم.. ممن ليسوا آريين .

استعدادهم هذا شل أوروبا، وعكر صفوها، فزادت ميزانية البوليس البريطانى (سكوتلانديارد) ضعفى ما كانت عليه منذ خمسة أعوام. وطالب نائب فى مجلس العموم البريطانى بتكوين فرقة يطلق عليها فرقة مكافحة «شغب النازى».

أما هم.. فهم ـ كما بدأوا ـ مستمرون فى قتل العجائز واغتصاب النساء .

واخترعوا بدلاً من النظرية الواحدة عدة نظريات، بداية من تفوق الجنس «الآرى» على كل أجناس الأرض.. وانتهاء بأن الله عندما كلم أول إنسان على الأرض.. كان نازيا.

والفولفانج يرون أنه لو كانت نظرية «داروين» صحيحة، وثبت أن الإنسان أصله «قرد» فإن «الآريين» ليسوا من نسل القرود. أو هم جنس واحد أوحد فضله الله على العالمين.

أما «آدم» فهو أبو الآريين وحدهم، أما باقى الأجناس الأخرى «كالزنوج» و«النورد» و«الصفر» فإن أجدادهم هم الذين كانوا قروداً.

لقد أعادوا اكتشاف التاريخ من جديد.

وكان ـ بعد أن أعادوا اكتشافه ـ أن تغيرت الصورة فى عيونهم، كما تغيرت الكتب السماوية فى «أدمغة» آلاف من الأتباع «النازيين» فى أوروبا.. وحول العالم.

منذ عام ٩٣، والهيئات التشريعية الإنجليزية والألمانية تحاول سن تشريع جديد للحد من انتشار «الجماعات النازية» من خلال وسائل وشبكات المعلومات على مستوى العالم.

وعام ٩٥ عقد الإنجليز والألمان والفرنسيون أكثر من اجتماع للوصول إلى تقنين جديد لأوروبا يهدف لشل فاعلية آلاف الجماعات النازية ، ومع أن القانون فى معظم البلدان الأوروبية لم يحدث أن حرم أية معتقدات أو عقائد أو آراء تشرح وجهات نظر معتقديها ، إلا أنهم اعتبروا أن النازيين الجدد عنصريون وميالون للعنف.

وتبادل البوليس الفرنسى والألمانى مستندات تكشف أن جرائم الشباب النازيين قد تسببت فى قتل ٦٧٠ سيدة كبيرة السن على أراضى البلدين، وأن «الأفكار النازية» قد تسببت فى اعتقال ٥٧٠ شاباً مرة واحدة عام ٩٦ اعترضوا المواطنين فى الطريق العام على أساس أن هؤلاء المواطنين إما ضعاف لايصلحون للعيش فى مجتمع جديد وإما لأنهم ليسوا «آريين» وبالتالى لايحق لهم العيش فى المجتمع «الآرى» الجديد الذى تبشر به النازية .

والسلطات الألمانية ، بالرغم من أن قانونها يمنع تماما ترحيل أى شخص من أراضيها حتى ولو دخل بطريقة غير شرعية، إلا أنها سنت قانوناً جديداً يبيح اعتقال أى من أفراد النازيين الجدد وترحيلهم لبلدانهم فور الانتهاء من إجراءات ترحيلهم.

وبالفعل وصل عدد المعتقلين فى ألمانيا إلى ١٠٠٢ شخص من جنسيات مختلفة اتهموا بأنهم روجوا وحاولوا فرض الآراء الخاصة بالجماعات النازية وإيذاء المواطنين فى مدن ألمانية كثيرة.

وقبـض البوليـس الإنجليـزى على مجـموعة من أعـضاء جمـاعة «فولفـانج» فى إنجلتـرا، واكتشف أن هـؤلاء استخدمـوا شبكات المعـلومات «الانتـرنت» فى تنـفيذ ٦٧٢٠ جريمة ابتزاز وسـرقة وتزوير، إضافة لتسببهم فى نقل أفكارهم لما يزيد على ١٢٠ ألف شخص فى مختلف أنحاء العالم خلال ٧ ساعات .

واكتشفت إدارة «سكوتلانديارد» أيضاً .. أن جماعة «فولفانج» النازية والمتمركزة . فى الأراضى الإنجليزيـة والفرنسية قد تكلفت مـايزيد على ٢ مليون جنيـه استرلينى لنشر أفكارهـا بين الشباب، إضافة لشراء أسلـحة نارية للأعضاء بغرض تصـفية غير «الآريين».

وجمـاعة «فـولفـانج» أسسـها «مولـدر فولـفانج» عـام ٨٨ علـى أساس ديـني، فأعضاؤها لايعتبرون الـنازية الجديدة حركة سياسية بقدر تأكيدهـم أنها دينية صرفة، تقوم على بعض آيات فى الكتاب المقدس.. والعهد القديم.

وقد بدأت السلطـات الألمانية فى مطاردة أعضاء «فولفانج» مـنذ عام ٩٠، عندما وجهت لأعضائها تهمة قتل ٣٠ عجوزا فى مـدينة فرانكفورت شهر أبريل من نفس السنة.وبعد فـترة استطاعت السلطات الألمـانية القبض على «مولدر فـولفانج» نفسه أوائل عام ٩١، وتمت محاكمته وسجنه مدى الحياة.

وكانت صحيفة سوابق مولدر طويلة.

ومع تأكد البوليس الألمانى من عدم وجود أيـة علاقة بين «مولدر» نفسه والثلاثين عجوزاً المـقتولين فى فرانـكفورت، إلا أنه اكتشـف أن «مولدر» قتل وحده ٦ فـتيات زنجيات من جنسيات مـختلفة بعد تعذيبهن.. واكتشفـوا أيضاً أن «فولفانج» مصاب بمرض نفسـى اسمه «الوسواس القـهرى».. وأن جماعته تـتكون من مجمـوعة ألمان تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والـ ٣٩ عاماً.

وعلم البوليس أيضاً أن فولفانج أوصـاهم إن تم القبض عليه أن يفروا إلى خارج الأراضى الألمانية، وأن يستمروا فيما رسمه من سياسات للجماعة.

وبـعـدمـا دخـل «مولـدر فـولـفـانج» الـسـجـن... هـاجـر نصـف جـمـاعـتـه

لفرنسا..والنصف الآخر لإنجلترا والنرويج والدانمارك، وظهر منهم شخص اسمه «ردلفوزاير» فى انجلترا.

«وردلفوزاير» أرهق البوليس البريطانى لمدة ثلاثة أعوام، بعدما ارتكب جرائم قتل عرقية ضد غير الآريين فى سبع مدن إنجليزية.. وكانت الحصيلة ٢٧ سيدة مشوهة اكتشف الأهالى جثثهن. وأكدت تقارير البوليس أن السيدات القتلى تعرضن لاعتداء جنسى صارخ قبل وفاتهن، وأن القاتل كان يستخدم آلات حادة فى اغتصابهن . .فلو لم يمتن من الإعياء.. متن من النزيف .

اكتشف «سكوتلانديارد» أن «زاير» وراء تلك الحوادث، وعندما ألقوا القبض عليه قال أمام محللين نفسيين أثبتوا خللاً فى قواه النفسية والعقلية أنه فعل هذا تنفيذاً لأوامر ربه.

وقال إن ربه ـ رب النازية الجديدة ـ قد طلب ضرورة نشر النازية وتطبيقها فى كل أنحاء العالم.

والنازية الجديدة لاتؤمن بغير «الآريين».

والجنس «الآري» هم فقط الألمان، وجزء من الإيرانيين، ومجموعة من الأتراك إضافة لبعض سكان جنوب روسيا.. وما عدا هؤلاء ممن ليسوا «آريين» فيجب قتلهم جميعاً حتى يسود «الآرى» ويعلو، متخذاً المكانة التى وعد بها.

فبعد ما حاكموا «زاير» وقضت المحكمة بسجنه ١٠٣ أعوام، انتحر تاركاً رسالة لسجانه قال فيها: «أموت بعدما نفذت مشيئة النازية الجديدة.. لقد انتهت رسالتى فى الحياة ..وعلى النازيين الاستمرار فى تطهير العالم».

اكتشف المحققون أن «زاير» ترك مذكرات كتب فيها قصة الخلق ومن خلق الخلق.

ترك قصة العالم من وجهة نظره .

قال إن الله خلق العالم فى سبعة أيام، وخلق «الآريين» وحدهم فى اليوم الرابع، بينما خلق باقى البشر « أولاد القردة» فى اليوم السابع .

ثم بعد ذلك كلف البشر كلهم بطاعة «الآريين».

وإمعاناً فى التمييز... جعل الله آدم أطول من باقى البشر، فلما نزل من السماء ، وداست قدمه الأرض .. ظل رأسه يرى ما فوق السماء من طوله. فخافت الملائكة، وطلبت من الله أن يبعد آدم عنها أو أن «يسخطه» .. فهو أطول وأفضل وأجمل شكلا.

قال «زاير» أيضاً، إن باقى البشر تآمروا على آدم، وحاولوا قتله، إلا أنه علم بما يدبرون، فأنذرهم ثلاث مرات، ثم قتل منهم الألوف والألوف. بعدها ظل كل البشر خداماً لآدم.. وأبناء آدم «الآريين» ثم بنى آدم من بعده .

واستمر «بنو آدم» سادة شعوب العالم،واختلطت الشعوب، وضاعت الفوارق، وانتهت الطبقات حتى جاء هتلر. وهتلر ـ كما يقول زاير فى مذكراته ـ عدل الموازين، وأعاد لكل ذى حق حقه. فقتل الضعيف من «الآريين» وقتل العجائز.. ونادى بسيادة «الآرى» على كل العالم، لذلك تآمر عليه العالم، كما تآمروا على آدم من قبله.وانتحر هتلر بعدما تخلت عنه كل الشعوب «الآرية» .

فكما يعتقد «زاير» .. هتلر مات ضحية، قتلوه غدراً، قتلوه وكل «الآريين» النيام لم ينتبهوا لمؤامرة العالم على الجنس الآري.

كاتب نازى اسمه «هاير كرود فورات» قال إن الله عندما كلم إبراهيم النبى كان متأكداً فى كون إبراهيم« عليه السلام» «آرياً» ومن ثم كلم الله أول ما كلم .. النازيين، وبذلك شرفهم على كل خلق الله .

«وهايركرود فورات» تأكد تاريخيا من أن إبراهيم عليه السلام كان «آرياً» .. أو«آري».

فقد قدم ـ يقصد إبراهيم ـ للجزيرة العربية من أرمينيا،وترجع أصوله العائلية لشمال إيران .. فقد ولد أبوه هناك ، ونزح مع جده لمدينة ما بجمهورية أرمينيا الحالية..وهناك ولد إبراهيم.

وأكمل رحلته كما فى العهد القديم.. من مدينة «أور» لمدينة «حوران» ثم فلسطين ثم مصر.

وظهر شاب آخر قال كلاماً مثيراً.

الشاب اسمه «بامورا» وهو «نازى» أيضاً، قال إن معظم آرائهم مستقاة من الكتب السماوية والعهد القديم بالذات ، قال أيضاً إن الكتب السماوية تقدس إبراهيم النبى.. دون أن تعرف أنه نازى . وأنه من التناقض أن تقدس المسيحية النبى إبراهيم . وتحارب أبناءه النازيين فى كل البقاع الأوروبية.

«بامورا» قال أيضاً أن جد النبى إبراهيم كان فارسياً. . من شمال إيران. وأنه نظراً لحروب كثيرة وقعت فى تلك المنطقة، اضطر للفرار مع والده لأرمينيا. وهناك نشأ إبراهيم.. بعدها واصل رحلته المعروفة فى التوراة مع زوجته سارة.

قال «بامورا » إن سارة كانت «آرية» أيضاً،وأن تحرش كل الملوك القدماء بها لم يكن إلا لهذا السبب .وأن كل هؤلاء الملوك كرهوا إبراهيم لعلمهم المؤكد أنه زعيم «الآريين» القادمين ، الذين سيخرجون لقيادة الجنس الآرى ويتقدمون به على كل أجناس الأرض.

فقد كان إبراهيم قوياً، ودعا ألايبقى بين أهله ضعيف.. لهذا السبب تصر جماعة «فولفانج» على قتل الضعفاء والمرضى والمكتئبين. لأنه حسب وصايا «فولفانج» نفسه ، فإنه لامكان بين «الآريين» لغير القوى الجدير بقيادة جيل كامل من النازيين.. ثم قيادة العالم كله فيما بعد.

لنفس السبب قتل قابيل ابن آدم أخاه. مع ملاحظة أن الاثنين حسب «تخريف» فولفانج كانا أبناء آدم.

يعنى أن الاثنين كانا آريين .

أما لماذا قتل قابيل أخاه، فلأن قابيل كان قوياً، يخرج للصيد كل يوم، يعرف طرق الصيد ورمى الرمح.. وقطع الحجر، ثم يوزع الغنائم على باقى البشر من أهله. (على الرغم من أن العالم وقتها لم يكن فيه بشر).

أما هابيل.. فكان مزارعاً.. مستكينا، قليل الحيلة، يرمى البذرة فى الأرض، ثم ينتظر شهوراً كى تثمر، وتطرح، ثم يأكل مما تعطى الأرض.. ليس مما تعطى يداه.

لذلك قتل القوى الضعيف.

ويعتقد «فولفانج» أن الرب قد كافأ «قابيل» ـ كما يقول الكتاب المقدس ـ بأن جعل له علامة مميزة يضعها على رأسه. الفولفانج أكدوا أن تلك العلامة إشارة «لقابيل» بأنه القوى الوحيد. ابن «الآريين» الذى يهابه البشر، ويعمل له ألف حساب لقد كان قابيل هو هتلر.. وكان «هابيل» هو الآلاف من الألمان وغيرهم من الشعوب التى غزاها هتلر. [1]

لقد قتلوا لأنهم ضعفاء.

«والفولفانج» يكرهون كل «هابيل».. ويمقتون كل ضعيف.. ويعترفون بقتل آلاف الضعفاء فى عشرات المدن. ثم يقدسون كل قابيل.. وكل هتلر.. جديد.

وظهور «النازيين الجدد» دليل على أن الفكر الأمريكى تسرب لمجتمعات أوروبية عديدة، وأن «انحرافات» هذا الفكر وآثاره اللامعقولة انتزعت أيضا مجموعات من الشباب الأوروبى.. الألمان والفرنسيين وحتى الإنجليز المحافظين الأوروبيين.

وكأن هؤلاء اكتسبوا بعض نتائج التفكير الأمريكى بالرغم من ظروف ذلك التفكير الذى لم يمروا به. ولا تحولوا بتحولاته.. إنما فقط تحولوا بنتائجه. فالمجتمع الأمريكى مر بمرحلتين منذ أن كان مجتمع مهاجرين حتى الآن:

المرحلة الأولى.. هى التى كان لا يزال فى بداية تكوينه، ولم يصبح بعد مجتمعاً يؤثر ويتأثر بكل أفراده.. لأن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يتجاوزون حدود تجمع من نوع ما لأشتات شعوب مهاجرة.. وقتها زاد الاهتمام بكل شىء. بالأخلاق والمظهر والسلوك.. والدين. وعند معظم الأمريكيين.. كان الدين هو الأساس فى تحديد السلوك الاجتماعى؛ لهذا التجمع البشرى «الطارىء».. وحدث أن كانت هناك محاولات «متناثرة» ومحدودة لتطويع الدين لمزاج الأشخاص، ولحاجات المجتمع التى تتعارض معه. إلا أن هذه «المحاولات» وفى ذلك الوقت لم تكن تتخطى الحدود لتصبح ظاهرة مجتمع بكامله.

لكن مع هذا، كان الفرد هو الوحدة الأساسية للمجتمع، وكان هو المركز الذى تدور حوله المناقشات والنظريات، ولم تكن «الحرية» الفردية ـ فى هذا الوقت بالذات ـ لها أى معنى إلا ذلك الذى يتفق مع مزاج وطبيعة المجتمع ككل ـ علاوة

على «التقاليد» أو «المواريث» التى ورثها أفراد هذا المجتمع فى أوروبا فى عصور التنوير، وما «طبعته» هذه «المواريث» من قوانين «متمسكة» بعض الشىء بمفاهيم متحفظة لحرية الفرد.

وبعد تطورات كثيرة.. أهمها الحرب العالمية الأولى، ثم الحرب العالمية الثانية، وما أنتجته هذه الحروب من آثار.. وبعد أن وجد الأمريكان «الدور السياسى» الذى كان من المفروض أن يحققوا به ذات مجتمع وليد على العالم. جاءت المرحلة الثانية..

كان المجتمع قد نضج بشكل أو بآخر- أو كان مفروضا له أنه نضج، وتكونت أمة، وأصبح لهذه الأمة تكوينها «وسيكولوجيتها» المستقلة.. وتعددت الطبقات، وجمعت بينها - كأى مجتمع متناغم مع بعضه - مصالح مشتركة، لذلك كان على كل طبقة أن تعرف جيداً مكانها الصحيح فى هذا المجتمع، ثم مكان هذا المجتمع الصحيح فى العالم.

ثم رجعت هذه الطبقات بعد أن حددت مكانها من العالم، وربطت مصيرها بمصير أمتها.. أى اعتبرت أن مستقبلها ومستقبل بلادها واحد.. وأنها هى الممثلة للاثنين.

بعد هذه الفترة من «الاستكشاف»، ظهرت معالم «الاتفاق» و«التناقض» بين فئات مختلفة، لطبقات متعددة واتضحت معالم طريق كل فئة من الفئات، التى حاولت كل منها تجميع عوامل تعتقد أنها من شأنها أن تؤيدها وتساندها.. بعد أن اكتشفت كل فئة - أيضا - العوامل التى من الممكن أن تؤرقها.

وقتها بدأ المجتمع الأمريكى يعبر عن علاقاته وحاجاته بما يتجاوز القوالب الأخلاقية العامة، التى كان ورثها الأجداد الأوائل عن الأوروبيين. لذلك اختلفت المشاكل، وظهرت أشكال وحاجات اجتماعية جديدة.. وكان لابد من «أيديولوجية»، أو أن المجتمع الأمريكى قد احتاج فى هذا الوقت «لفكر عام» جديد.

وكان أهم ما يميز هذا الفكر أن يبرر وضعا ما، لمن أراد أن يغير مفاهيمه القديمة بمفاهيم جديدة. وأن يبرر - أيضا - أسباب «المحافظة» لمن شاء الإبقاء على الوضع القائم.. مع أن الفكر هو هو.. والطريقة هى هى.

بعدها بفترة ظهرت فلسفات متناثرة وقاصرة تحاول أن ترجع للمثل الأمريكية الأولى، إلا أنها فشلت.. وربما كان سبب الرغبة فى الرجوع الخوف من تفاصيل المستقبل لو تمادى المجتمع فى الطريقة الجديدة التى انتهجها للتفكير.

وفشلت تلك المحاولات، لأن المجتمع كله كان قد بدأ يتبنى نظريات جديدة فى السياسة والتجارة.. وأخيراً نظريات مستحدثة فى الدين.. وأصبحت «الغاية» و«النجاح» هما الحكم والفيصل فى كل الأمور. ولم تعد السياسة هى المعركة بين الخير والشر، إنما صراع المصالح. والمصالح متغيرة، لذلك فلابد للسياسة أن تكون هى الأخرى متغيرة.

ثم كانت التجارة كالسياسة، وشمل «التطور» أيضا الدين.. الذى أصبح هو الآخر ينظر له بمثل ما ينظر لأى شىء فى المجتمع الأمريكى. وأصبح الدين شأنه شأن التجارة والأعمال والعلاقات السياسية، لا يلتزم بمبادىء ثابتة.. إنما يلتزم بالمصلحة.

وساعدت على هذا التفكير، الحقائق التى بدت ثابتة فى المجتمع الأمريكى، إنه إذا ما تطلبت التطورات الخارجية تعديلاً على المبدأ فى الداخل، فإن هذا التعديل لابد له أن يحدث.. وبسرعة.

لذلك أصبح الدين مختلفا على الأقل فى طريقة النظر إلى أحكامه وتشريعاته.

هذه الحقيقة عبر عنها «جيفرسون» حين قال: «إن ما هو عملى يجب أن تكون له الغلبة والسيطرة على النظرية الخالصة» يعنى الالتزام المبدئى بنظريات وموروثات وتقاليد وأعراف ونصائح لابد أن يسقط، وبهذا السقوط يصبح الإنسان حراً فى حياته وعلاقاته.

فالإنسان.. وبسبب حركة المجتمع، يكون فى أمس الحاجة لإعادة تقسيم وتأويل التقاليد وكل ما ورثه من مثل عليا وأخلاقيات.. وتشريعات، حتى إن كانت هذه التشريعات قد وضعها «الكتاب المقدس» نفسه.

وبهذه الصورة، كان لابد أن يحدث «جو» من الشك وعدم «اليقين».. «الشك» فى كل شىء، وعدم «اليقين» من أى شىء.

وسنة ١٩١٤، مات الفيلسوف «شارلز بيرس» بعد أن وضع عدة مفاهيم. تؤك

أن معيار الحكم على فعلك هو ما يسببه لك من مصلحة فإن أمتعك أن تفعل شيئاً، فإن هذا «الشىء» الذى فعلته هو الصحيح. ولو سيطرت عليك فكرة معينة، ووجدت أن تطبيقها والاعتقاد فيها يشبع أحاسيسك، بينما لا تشبعه أى فكرة أخرى. فإن فكرتك هى الصحيحة.

و«شارلز بيرس» ابن لعالم الرياضيات الكبير بنيامين بيرس. وكان شارلز هو الآخر عالماً فى الرياضيات ومبادىء حساب المثلثات، إضافة إلى اجتهاده فى الفلسفة والمنطق. وقبل اشتغاله بالمحاضرة فى الفلسفة.. اشتغل لمدة عشر سنوات بالكيمياء. وبعد موته اكتشف بعض تلاميذه أوراقاً عديدة اعتبرتها الولايات المتحدة «مراجع بحثية» لما يعرف بعلم الإشارات أو «السيموطيقا».

وبحث «بيرس» طوال حياته عن مقاييس تمكننا من تحديد أفكارنا وتوضيح معانيها. وحاول أن يقدم إجابة لأسئلة كثيرة.

وقال «إن المفهوم يكون له معنى إذا أنتج موضوعه أثراً طيباً» .

وقال - أيضا - إن معنى وأهمية أى فكرة، هو السلوك المتولد عنها.

يعنى.. إن قيمة الفكرة فى نتائجها العملية.. والنتائج العملية عنده هى الإحساسات المباشرة التى يجلبها سلوك معين لصاحبه. وأضاف «أن فكرتى عن أى شىء هى فكرتى عن آثاره المحسوسة» .

يقول بيرس.. الذى قلبت أفكاره المجتمع الأمريكى، وبعده قلبت بلادا كبيرة على رؤوس وأدمغة شبابها وشعوبها إن «وظيفة الفكر هى فقط خطوة واحدة لتوليد عادات للسلوك». وهذا يعنى أن الفكر يتبع السلوك، أى أن الفكرة تتبع الفعل. والفكر هو الغرض الذى يطلبه السلوك، أو يجب أن يكون هذا هو الذى يحدث بين أفراد أى مجتمع، فى أى مكان.

فالمعنى الحقيقى لأى فعل.. لا يخرج عن النتيجة المنتظرة وإن تحقق المصلحة «والرضا النفسى» هو الحكم على صحة هذه الفكرة أو خطئها.

وقال «بيرس»، إنه لذلك فإن قيمة المعرفة رهن «بالمنفعة العملية».

«والمنفعة العملية» لا تعنى عنده إلا ما يحقق المصالح الذاتية للفرد.. وأحاسيسه المباشرة.

والأمريكيون نسوا «بيرس»، أو نسوا اسمه فقط، إلا أن هذا الفيلسوف فى حقيقة الأمر هو أحد أهم الذين ساهموا فى بناء عقلية المجتمع الأمريكى، حتى الفلاسفة والمفكرين الذين ظهروا فيما بعد، سواء فى أمريكا أو فى أوروبا، أخذ كثير منهم أفكاراً ومسائل معينة من عند «بيرس».. والنتيجة فى كل الأحيان كانت صورة الغرب.. اليوم.

ومثلما ظهرت «جماعات دينية» جديدة «تقهر» الأديان السماوية، ظهرت أيضا مجموعات «تقهر» الأخلاق وتصيبها فى مقتل. وطلبت هذه المجموعات حقوقاً، اعتقدوا أنه من الحق أن يحصلوا عليها فى ظل «النظم» والعلاقات المختلفة الجديدة.

فوقف الكثيرون ـ من أصحاب الحقوق الجديدة ـ أمام المحاكم ليحصلوا على أحكام تبيح الشذوذ الجنسى، ولا تجرمه. وجرى هؤلاء على الصحافة لعرض قصص مأساوية «لغرام لم ينته النهاية السعيدة.. لأن القانون يمنعه!!

وامتد هذا السلوك للهيئات والمؤسسات الأمريكية، وخرج المتظاهرون الشواذ فى الشوارع يطالبون بأنه يجب أن يتزوج «بيجى بمن يحب». أما «بيجى» فهو «روبى بيجال» أحد الشواذ جنسياً الذى عرض قصته على القناة التليفزيونية الأمريكية الخامسة.. وعلى الهواء.

أما من يحب، فكان «رولاند» .. و«رولاند» شاب عنده ٣٥ سنة عاش مع «بيجى» قصة حب رهيبة أراد الاثنان أن يتوجاها بالزواج، إلا أنها فوجئا أن القانون يمنع هذا الزواج.. وتنكره الكنيسة.

وفى البرنامج التليفزيونى قال «بيجى» على الهواء بعد ما أشار بيده بتعبير جنسى معروف.. ليذهب البابا للجحيم، وليذهب كهنة الكنيسة ليلعقوا فضلاتهم.. ولتبتعد عنى تعاليم المسيح الغبى وصاحبها.. أنا لا أريد أيا من هؤلاء، ليحترقوا كلهم.. فأنا أريد «رونى» ورونى بالطبع هو «رولاند».. وهو «عشيق بيجى» .

وبدأ الأمريكيون يتعذبون بقصص ومعاناة «الشواذ» الذين يقفون وحدهم أمام

قانون ظالم، وفى أحد استطلاعات الرأى أكد ١٧٪ من الأمريكان ضرورة أن تسمح المحاكم «بالزواج الشاذ»، وأن ترفضه الكنيسة لو ظلت على رأيها.. و ١٧٪ من هؤلاء نواة لنسبة أخرى أعلى - على الأكثر - بعد عشر سنوات. لأن نمط التفكير واحد. والقضية دائما ليست قضية تفاصيل.

وللتأثير على الرأى العام، والوقوف أمام سلطة الحكومة والكنيسة الغاشمة فيما يتعلق بالشذوذ الجنسى، ظهرت الكتب التى تؤكد أن «الشذوذ» ليس وصمة ولا هو عار. وإن هناك آلافا من «العباقرة» «والمرموقين» والأشخاص الذين قدموا لمجتمعاتهم خدمات جليلة.. كانوا شواذ.

وبدأت نبرة أخرى تعلو، وتوجه حديثها لبابا الفاتيكان، وتقول له لماذا ترفض الشذوذ؟ ! إن كنت تفعل، فأنت تقف فى وجه إرادة الله. فالشواذ خلقهم الله شواذ، وإنه لو أراد، لما كان قد خلقهم كذلك.

وأصدر «البابا» مرسوماً «باباويا» يبرىء فيه اليهود من دم المسيح، إلا أنه ظل على رفضه للشذوذ.. ولزواج الشواذ حتى الآن.. وحتى إشعار آخر.

ولما نزل كتاب «بول راسل» (أشهر شواذ العالم) الأسواق، طالب الكثيرون من طالبى «الزواج الشاذ» بضمه لملف قضاياهم المرفوعة أمام المحاكم الأمريكية والأوروبية. ولم يكن حجم الضجة الإعلامية التى أحدثها الكتاب، بقدر حجم الضجة القانونية ومساحة «الجدل» التى حدثت فى دوائر الرأى العام الأوروبى والأمريكى.

ولما نزل الكتاب الأسواق، كان بيل كلينتون يخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية أمام «قس» زنجى. وطلبوا منه التعليق على الكتاب، وطبعاً كان الصحفيون يودون أن يعرفوا رأى الرئيس القادم فى مشكلة «الشذوذ الجنسى».. وقال كلينتون إنه لن يستطيع إلا أن يقول إنه يعد الشواذ جنسياً بمواقع لهم فى صفوف القوات المسلحة.

وكان الجيش الأمريكى يرفض انضمام الشواذ جنسياً لصفوفه، الأمر الذى اعتبره الشواذ «عنصرية» فى حقهم.. واعتبروا كلام «كلينتون» خطوة جيدة.

أما «بـول راسل» صاحـب كتاب (أشـهر شواذ الـعالم).. فـقد تنـاول فى كتـابه شخصيات كثيرة لها وزنها.. وثقلها، ليس فى مجتمعاتها فقط.. إنما فى العالم كله.

وقال «راسل» فى مقدمة كتابه أنه استمر أكثر من عشر سنوات يجمع مادة كتابه، وهو لـم يقبض ثـمنه من الـناشر، إنما كـتبه فـقط كى يثـبت أن «الشواذ» وإن كـانوا «مكروهين» الآن.. فهم ـ بلا فـخر ـ من أسسوا، أو ساهموا بقدر كبير فـيما نسميه «حضارات الشعوب».

وبدأ «راسل» كتابه بسقراط.. فيلسوف الفلاسفة.

وسماه فيلسوف «الشذوذ»، وقال «راسـل» إن سقراط هو أول من فلسف الشذوذ الجنسى، وهو أول من علمه لتلاميذه.

فقد جمع هـذا الفيلسوف حوله ما يزيـد على ٣٥ فتى، لم يتعد أكبـرهم الثلاثين من عـمره، وناقـش معـهم كل شـىء.. أقنعـهم بأن يـعرفوا أنـفسـهم، وإلا يكـونوا «كالحمير» التى تأكل وتنام فقط.

ويقول «راسل» إن سـقراط أكد لتلاميـذه بعد أكثر من جـلسة أنه «شاذ جنـسيا»، وإنهم يجب أن يكونوا شواذ أيضـاً.. أو من أراد منهم أن يمارس الشذوذ.. فهو ـ أى سقراط ـ موجود .

وقد مارس سـقراط الجنس مع كل تـلاميذه، حتى أن بـعضهم كان قد طـلب من أستاذه «حفلا أخيرا» قبل إعدامه.. لكن سقراط كان قد زهد كل شىء .

وفلسفة سقراط كانت غريبة، فعلى الرغم من شذوذه.. إلا أنه كان يقدس المرأة.. ويحبـها، إذ كان يرى أن الجنـس مع الأنثى يدنـسها، ويصبـغها بلون مـادى بحت.. يجب أن تظل بـعيدة عنه. يعنى الجنـس يفسد جمال المرأة، ويجب إن لـم تبتعد.. أن يساعدها الرجال، للمحافظة على نفسها.

واقتـنع سقراط وأقـنع تلامـيذه بما يرى، فـاقتنعـوا واستجـابوا له، وساعـدوه فى تأسيس أول مـجتمع شاذ معـروف فى اليونان القديمـة.. وخلع سقراط علـى تلاميذه الألقاب، كل لقب حسب جمال صاحبه. فكان منهم الفتى.. والفتى الجميل، والفتى الجميل الصالح.. أما «القيثارة» فكان أوسع فتيانه جمالاً.. ورقة .

أما أوسكار وايلد.. فله قصة أخرى.

يقول «راسل» أن أوسكار وايلد كان عبقريا منذ طفولته. لذلك فقد نشر أول «ديوان شعر» سنة ١٨٧١، يعني في العشرينيات من عمره. ثم انتقل للندن عام ١٨٨٢.. وهناك نشر أربعة من دواوينه التي بشرت بريطانيا والعالم كله بشاعر قادم «رهيب».

وقد دخل وايلد أول علاقة شاذة له عام ١٨٨٤ مع الشاب «لويد»، ثم سرعان ما هجر «لويد» لشاب آخر اسمه «روبرت روس»، الطالب بجامعة أوكسفورد.

واستمرت علاقة «وايلد» بـ «روبرت» بضع سنوات، قبل أن يكتشفها والد «روبرت» الذي توعد أن يقلب العالم، ويكسر الدنيا على دماغ وايلد الجبان.

وقد فعل.. فقد «جرّس» وايلد. وفضحه في كل مكان، حتى ترك «أوسكار» المدينة كلها ورحل لمكان آخر بعيد.

وهناك.. في المكان البعيد، وقع وايلد في حب اللورد الشاب «الفريد دوجلاس».. ويظهر أن «الفريد» هذا كان غيوراً، ولم يكن أمام «أوسكار» إلا أن يترك «روبرت».. عشيقه القديم من أجل عيون اللورد الشاب.

وقد تعرض أوسكار وايلد للابتزاز أواخر أيامه، فقد سرق منه أحد عشاقه خطاباً «ساخنا» كان وايلد قد كتبه، وسلمه للمحكمة التي حكمت على «وايلد» بالسجن بتهمة الشذوذ.. ودخل السجن عام ١٨٩٥.. ظلما.. كما يقول مؤلف الكتاب.

والإسكندر الأكبر كان شاذا أيضا.

ولشذوذه، منع النساء من خيمته ستة أيام في الأسبوع.. وبالرغم من أنه تزوج ما يزيد على ٦٠ سيدة، ومعظمهن من الجميلات كما تحكى كتب التاريخ. إلا أن المؤلف يرجع إلى أن زواج الإسكندر من كل هؤلاء النسوة.. كان سياسياً. إما لربط أنحاء امبراطوريته، أو ليصبح جيشه، من أثر هذا الزواج، جيشاً واحداً.. وكانت النتيجة أنه تزوج من بنات وأخوات قواده العسكريين.

وأكد «بول راسل» أن الإسكندر لم يكن يقضى مع نسائه أى وقت، إلا فى الحفلات العامة.. وحياته الخاصة، كانت مع آخرين.

أما القـديس «أوغسطين».. فقـد ظهر ـ أيضا ـ ضمـن قائمة أسماء كـتاب «بول راسل».. الجهـنمية. وقـال المؤلف.. إن القـديس «أوغسطـين» قد دخل أولى تجـاربه الشاذة فى الرابعة عشرة من عمره.. وأشهـر من ارتبط به أوغسطين من تلاميذه، كان «لورى» الذى نمت علاقـة بينهما تحولت إلى حـب حقيقى وهو فى الثامـنة والثلاثين من عمره.

وفى الكتـاب نفسه.. أن مايكـل أنجلو.. الفنان الـعالمى، صاحب أجمـل الأعمال الفنية فى العالم كله.. كان هو الآخر «شاذا». ويقول المؤلف أن مايكل أنجلو ولد عام ١٤٧٥، وأنه توفى عام ١٥٦٤ قبل عيد ميلاده التاسع والثمانين بثلاثة أسابيع.

ويبدو أن ما أصاب «أنجلو» بالعقد النفسـية كانت وفاة والدته بعد أيام قصيرة من ولادته. وسرعـان ما تزوج أبوه مـن أخرى.. وهذه المرأة الأخـرى، اتخذها «أنجـلو» نموذجاً لأقبح وأسوأ ما يمكن أن تكون عليه امرأة. لذلك كره كل أنثى.

أو كرّهته زوجة أبيه فى كل نساء العالم، وكانت النتيجة أن هرب «مايكل» منهن داخل نفسه، أو هربت منهن نفسه لعلاقات وسعادة وفرح فى طريق آخر.

أشهر قـصص هيام «مايـكل أنجلو» كما يـقول راسل، كانت عـام ١٥٣٢.. ففى تلك الـسنة قابل الـنبيل «تـوماس كافاليـيه».. وكان يلتـقى بكافـالييه، بعـد أن عرفه جيداً.. أربع مرات فى العام، تستغرق كل فترة منها شهراً أو اثنين.. وبعد حياة حافلة من العلاقـة المشبوهة، والحمـيمة الصادقة فـى رأى بول راسل مؤلف الكـتاب ،مات «أنجلو» بين ذراعى «كافالييه» عام ١٥٦٤ .

أما الأستاذ فكان شاذا غـريباً. عرف ما يزيد على ٤٧ صبياً صـغيراً طوال حياته.. وعاش مـعهم جـميعاً فـى نفس الـوقت. والذى يـسميه «بـول راسل» الأستـاذ، هو «ليوناردو دافنـشى».. صاحب لوحة «المونالـيزا» أو «الجيوكاندا»، التى تـنظر فى كل الاتجاهات. ويـظهر من كـلام «راسل» أن اتجاهات «لـيوناردو» كانـت غريبة بـعض الشىء، وهـو ما دعا «راسل» إلى تـسميته «بـالأستاذ»، لأن «صولاته وجـولاته» فى عالم الجنس الشاذ كانت كثيرة.

«دافنشى» ولد عام ١٤٥٢ فى فينسيا، وانتقل لمدينة «ميلانو» الإيطالية سنة ١٤٨٢

وهو فى بداية الثلاثينيات من عمره.. وهناك رسم أشهر اسكتشاته الخالدة.. «عذراء الصخور» و«العشاء الأخير».

يقول «راسل» إن تفاصيل كثيرة من حياة «دافنشى» الخاصة غير معلومة، لكن الأكيد أن «المعلم» كرس حياته لما يزيد على سبعة وأربعين رساماً صغيراً.. كان أشهرهم «كاريو دى سيبستيانوا» و« بولترافيو» و«أندريه ساليانو»، كل هؤلاء مع الأرستقراطى الصغير «فرانشيسكو ماشيلو».. ثم «ميلزى»، الذى اتخذه «دافنشى» تابعه الخاص.. أو شيطانه الصغير، كما كان يسميه.

و«ميلزى» ـ كما يقول «بول راسل» فى كتابه ـ كان نموذج العشق عند «ليوناردو دافنشى»، إلى حد جعل معه «دافنشى» يصور هذا الفتى فى أكثر من ٤٧ عملاً فنياً.

الغريب أن «دافنشى» ظل يرسم «شيطانه الصغير»، حتى بعد أن سرحه من خدمته. وظل الصبى الصغير الذى كبر فى هيام مع أستاذه حتى مات فى الثامنة والثلاثين من عمره.

ومن «دافنشى».. لوليام شكسبير. أشهر شواذ الأدباء الإنجليز.

وشذوذ شكسبير ـ على حد معلومات مؤلف الكتاب ـ جعله يبتكر شخصيات عشقها فى حياته فعلا، وكانت النتيجة أنه حكى عن تلك الشخصيات فى قصصه.. على سبيل المثال.. «لوزنزو» الشاب فى قصة «الليلة الثانية عشرة»، كان شاباً فى العشرينيات، وعاش مع شكسبير أثناء كتابته أحداث تلك المسرحية. و«أورلاندو» أحد أبطال مسرحية «كما تحب».. كان أيضا شابا فى الثلاثينيات من العمر، اشتهر بالفحولة.. وذكره وليم شكسبير فى الكثير من أشعاره .

ويقول «راسل» إن الملكة «كرستين» ملكة السويد كانت شاذة أيضا، والملك إدوارد الثانى ملك انجلترا.. والأديبة «اميلى ديكنسون».. وبيتر شايكوفسكى الموسيقار الروسى المولود سنة ١٨٤٠.

بعدهم.. ينتقل «راسل» للشاعر الإنجليزى «بيرون»، ويمر بسيرة «اليانور روزفلت» زوجة «روزفلت» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. ويؤكد «راسل» أنه

قابل طبيبها الخاص، وأنه ـ أى الطبيب ـ حكى له وقائع إرغامها بعض موظفات البيت الأبيض على ممارسة الشذوذ معها .

ثم يتوقف «راسل» عند «روك هادسون» قليلاً.

و«روك هادسون» هو نجم سينما هوليوود اللامع الذى استطاع أن يخفى عن العالم كله شذوذه، بالرغم من أنه كان نجم النجوم ومحط أنظار وأخبار كل الناس.

ولد «هادسون» يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥، أبوه كان «ميكانيكى سيارات»، وأمه عاملة «سويتش». وقد مارس «هادسون» أول تجربة شاذة له على الأسطول الأمريكى فى الفلبين سنة ١٩٤٤.. وبعد انتهاء الحرب قرر أن يصبح ممثلا.. لكنه عمل سنوات طويلة، كعازف بيانو فى إحدى الحانات، ثم حمالا فى أحد الموانىء المكسيكية. ثم مندوب مبيعات لإحدى شركات الأدوية.. وفجأة فتحت له أبواب هوليوود.. دون سبب واضح.

ومع أن «روك هادسون» كان شاذا «متعصبا» ـ كما يقول راسل ـ إلا أنه استطاع أن يخفى عن العالم ما يدور بخلده، طوال ستين عاماً قضاها فى صداقات متعددة.. إلى أن عرف العالم بالمصادفة قصته. ومات «مفضوحاً» ، لأن هذا الرجل الذى كانت ترغبه كل نساء الدنيا، ومراهقات العالم.. كان شاذاً جنسياً.

ففى يونيو سنة ٨٥.. سقط «هادسون» فاقداً للوعى بغرفته بأحد الفنادق، وفوراً نقلوه للمستشفى على أساس علاجه من سرطان الكبد. إلا أنه سرعان ما اكتشف الأطباء مرضه بالإيدز.. وقتها عرفوا أنه مارس الشذوذ طوال حياته.

ويقول «راسل» فى تعليقه على شذوذ «هادسون».. إنه قضية هامشية، لأن «راحة» هادسون النفسية.. وتحقيق رغباته الجنسية، كان أحد أهم العوامل التى جعلت من هذا «النجم الموهوب» مثلا لمشاهدى السينما حول العالم. ويكفى أنه ساعد الملايين بفنه .

وذكر المؤلف قصة مادونا.. وكيف أنها كانت تميل للعلاقات الشاذة، وتفضلها على العلاقات السوية.. وكان رأيه فى مادونا مثل رأيه فى «روك هادسون».. يكفى أنها ـ أيضا ـ فنانة.

أما «مارتينا نافراتيلوفا» نجمة رياضة التنس. فيقول «راسل» إنها احترفت الشذوذ فى الثامنة عشرة من عمرها، وأنها لما بلغت الخامسة والعشرين من عمرها صادقت فتاة ألمانية اسمها «جرانيتا شولتز» تبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً. وانتهت علاقتهما معاً بعدما لم تتحمل «جرانيتا» علاقات «مارتينا» المتعددة.

و«نافراتيلوفا» من مواليد ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦.. مرت بتجربة عاطفية أليمة مع شاب نمساوى فى سن مبكرة، وخرجت على أثرها ـ كما يقول راسل ـ «كارهة» لكل جنس الرجال.

وبعد علاقتها العاطفية مع الولد النمساوى، تعرفت «نافراتيلوفا» على «سونيت»، واتفقتا على ألا تخون كل منهما الأخرى. لكن «نافراتيلوفا» صادقت رغم الاتفاق «سانيهل» و«مايوربنى» و«اديموندا» و«اليجانورسيف».

إضافة إلى أنها دفعت ٢٠٠ ألف جنيه استرلينى لمحترفة دعارة روسية، فى مقابل أن ترافقها أربع سنوات كاملة. وقد كتبتا عقداً وقعته الاثنتان عند أحد المحامين ينص على هذا. وكان لابد لـ «سونيت» أن تعلم، ولم تقبل أن تحتمل «منافسة».. الفتاة الروسية.

«راسل» لم يرد بهذا الكتاب إلا أن يقول.. أن الشذوذ عبقرية، أو أنه إحدى سمات العبقرية.

من ناحية أخرى يؤكد كتابه.. أنه لا ضرورة لا لدين ولا لأخلاق.. ولا لأى شىء. وإذا كان قدر هذا المجتمع أن يصبح «حرا» فإن الحرية هى أن يفعل الإنسان أى شىء.. مادام أن هذا «الشىء» يعطيه الإحساس «بالأمان» والاطمئنان.

وأن الفكرة ـ كما قال «بيرس» ـ ليست إلا سلوكاً.. وأن الحكم عليها ينبع من مقدار ما تحققه للفرد من «إشباع».

ولو حدث هذا.. فالفكرة جيدة. ولا داعى لا لدين ولا لأخلاق.. ولا «عازل طبى».. فالجنس الشاذ لا يمكن أن يسفر عن طفل غير شرعى .

فى الشرق.. كان الأمر مختلفا.. وداخل الكنيسة المصرية، كان أشد اختلافا. صحيح تعرضت تلك الكنيسة «لشطحات دينية»

إلا أن هذه «الشطحات »كانت قليلة.. وبسيطة.. وكانت هناك أسباب كثيرة أكدت عصمة الكنيسة ـ على الأقل ـ فى مواجهة هذه الشطحات.

وقد «سمى» الأقباط المصريون«الشطحات» «بالبدع»، ويحكى التاريخ القبطى أن هذه «البدع» لم يؤمن بها عدد كبير من الناس وقت حدوثها، إضافة إلى أنه لم تمض سوى فترات قصيرة ـ بعد كل بدعة ـ لتختفى.. هى وأصحابها.. وكل تابعيها. كأنها لم تكن.. وتنجح الكنيسة. كهنة وشعبا فى تدارك أثارها، وإعادة «تستيف» الأمور بما يمنع مثل هذه «الانشقاقات» من ترك أى أثر على العقيدة.

الأمر مختلف بين «البدع» التى ظهرت فى الكنيسة المصرية، «والبدع» التى ظهرت فى أوروبا.. «فبدع» الكنيسة المصرية لم تتصف «بالتطرف المطلق» و«الشذوذ الفكرى».. على عكس «البدع» الأوروبية.. التى وصلت إلى حد أن قام شخص اسمه «ويلست نارى» بتكوين جماعة عام ١٩٧٨ تؤكد ـ ضمن معتقداتها ـ أن المسيحيين ليسوا جسداً كباقى البشر، إنما لهم بعض «الجينات» المختلفة التى عن طريق تمارين خاصة يمكن أن تحميهم من كل الأمراض وبالتالى.. تضمن لهم عمراً أطول.

وعام ٨٠ أعلن «نارى» أن المسيح نزل أول يناير من نفس العام، وكلمه وطلب منه أن يختار له «عروسة» لأن المسيح قرر الزواج وقال «نارى» أن المسيح استقر فى صحراء أريزونا بالولايات المتحدة، وأنه كلف «نارى» بقتل كل المسيحيين الموجودين على وجه الأرض لأن أفكارهم وحياتهم مختلفة كل الاختلاف عما أراده المسيح للمسيحيين .

وبالفعل.. نفذ «نارى» ما «قاله له المسيح»، وقتل هو وأتباعه ما يزيد على ٤٧ ضحية، معظمهم من رجال الدين بالكنيسة البروتستانتية .

وعلى مر تاريخ الكنيسة القبطية المصرية، لم يظهر ما يزيد على ٢٠ «بدعة» أو

«فكرة» نبع معظمها عن «فلسفة» الدين، أو محاولة إخضاعه لقوانين المنطق.. ومقاييس «علم الكلام»، وهذه «الحركات» لم يكتب لها النجاح.

وعلى عكس ما حدث فى مصر، فإن هذه الحركات فى الغرب بدأت تتكاثر بمرور الوقت، وتستقبل كل يوم أتباعاً جدداً يتفننون على طريقة «صكوك الغفران» فى أن يستقطبوا أكبر قدر من المريدين والمؤمنين بأفكارهم.

فى الولايات المتحدة أيضا ـ وفى نفس الفترة ـ ظهر ٨٩٠ شخصاً كلهم ادعوا أن المسيح قابلهم، وأمرهم بتنفيذ مخططات «عنيفة» ضد شعوبهم، وظهر ١٢٧ شخصا ادعى كل منهم أنه المسيح.. ووصف ٧ منهم كيف أنهم بعد الصلب.. صعدوا للسماء وعاشوا هناك، ونزلوا بعدما تلقوا أوامر من الرب بضرورة «تعديل مسار» سكان كوكب الأرض.

وكانت المهزلة، عندما استطاع أحد البرامج التليفزيونية أن يسجل مع هؤلاء.. كل واحد على حدة، وأذاعوا الحوارات بعد تسجيلها.. وضحك الناس، واستغرب آباء الكنيسة، وتساءل الأطفال.

أما السبب. فلأن هؤلاء كانوا يقولون «كلاما مخبولا»، وثبت أنهم لا يعرفون عن دينهم سوى بعض آيات من الكتاب المقدس، وأنهم أخطأوا سبعا وثلاثين مرة فى تلاوة تسع من هذه الآيات أثناء حديثهم .

المهزلة أيضا.. أن أتباع كل من ظهروا فى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٩٤ زادوا على ٢٥٧ ألفا وسبعمائة شخص، إضافة لمن تكتم انضمامه لمثل هذه الجماعات بعد حملات شرسة رهيبة للبوليس الأمريكى، تلقى فيها أوامر ـ وللمرة الأولى فى تاريخ الولايات المتحدة ـ أن يطلق النار فوراً إذا شك أن أحد هؤلاء «أتباع المسيح» من المقبوض عليهم ينوى استخدام سلاحه.

وحصل البوليس من المحكمة الفيدرالية على تصريح «بقتل» هؤلاء حالة الشك، مع أن القانون قبل وبعد هذه الحوادث لم يكن يكتفى بمجرد شك الضابط لقتل المطارد.

وتزيد المهزلة.. لأنه فى نفس الفترة، ظهر ٩٧ شخصا ادعى كل منهم أنه «الله».

وأنه اضطر أن ينزل للأرض لبحث موضوع «الجماعات الغريبة» على أرض الواقع.. «فالتقارير» التى كانت تصله كانت «مشوشة».. وبها «تدليس». لذلك، ولأنه «العادل» أراد أن يختبر كل شيء على الطبيعة .

وظهرت فى نفس الوقت نكتة تقول إن أحد من يدعون أنه «المسيح» عندما استضافوه فى برنامج تليفزيونى على الهواء سألته المذيعة.. لماذا نزلت الأرض بعد الصلب. وفى هذا الوقت وهذه المدينة بالذات؟».

فكان أن أجاب بأنه نزل بأمر من الله.. وهنا صاح أحد الجمهور الذى وقف غاضباً فى الاستديو.. هذا الرجل كذاب.. وأحمق، فأنا لم آمر أحدا بالنزول للأرض.

آلاف من القصص تحمل نفس الوقائع، وتحمل كثيراً من الأرقام.

وبمقارنة ما حدث فى الكنائس الأوروبية، بما حدث مع الكنيسة المصرية.. نكتشف أن أحداث «الغرب» لا تكشف عن أشخاص «مجانين» بقدر ما تكشف عن مجتمع أصبح يملك مقومات «رفض الدين».. وأصابته الأمراض النفسية. بينما الكنيسة القبطية المصرية لا يصعب عليها أن تنسى «مجموعة قليلة جدا» فى محاولات الانشقاق.. التى باءت بالفشل.. والسخرية.

أشهر محاولات الانشقاق القبطية كانت محاولة «كرنيثوس» فى القرن الأول. و«كرنيثوس» يهودى المولد، تعلم الفلسفة فى الإسكندرية.. ورغم أنه لم يكن مسيحياً، إلا أنه حاول أن يضع «ديانة جديدة» عام ٧٣م.

واتفق «كرنيثوس» مع مجموعة من أتباعه على أن هناك نظرية جديدة فاتت على المسيحيين.. وأن هذه «النظرية» قد أخفاها المسيح نفسه عن أتباعه لأسباب فى نفسه.

وقال «كرنيثوس» إن مريم (العذراء) ويوسف النجار كانا قد تزوجا، وأنجبا ولداً سموه يسوع، وأن خالق العالم كان قد تضايق قبل ولادة «طفل مريم» من اليهود.. وأخذ يفكر فى طريقة ليرجع اليهود عن ضلالهم.. ويعودوا يتمسكون بشريعتهم كما كانوا من قبل.

ولما كان «يوحنا المعمدان» ـ يحيى بن زكريا ـ يعمد المسيح بنهر الأردن، جاءت

حمامة كبيرة شديدة البياض، ودخلت جسد يحيي أولاً، ثم خرجت منه ودخلت جسد عيسى واستقرت به، وبقيت داخل جسده.. من يومها تبدلت طباع عيسى تبدلاً كبيراً، وحتى شكله.. قد تغير بعد دخول هذه الحمامة البيضاء.

وبعدما كبر «عيسى»، اكتشف أن «الحمامة البيضاء» التى دخلت جسمه ليست إلا إله أصغر يختلف عن «الإله الأعظم» إله اليهود. اكتشف أيضا أن هناك اختلافا «كبيرا» بين ما ينادي به «الإله الأصغر»، وبين ما ينادى به «الخالق الأعظم» الآخر.. أو إله اليهود. لذلك بدأ «عيسى ابن مريم» ـ على حد زعم «كرنيثوس» ـ وبناء على تحريض من الإله الأصغر فى حرب «الإله الكبير».. ولما شعر «الإله الأكبر» بقوة عيسى ابن مريم، وأنه يمكن أن يفقده قدرته الكبرى، وأن يتغلب عليه عيسى دون مجهود كبير.. بحث «الإله الأكبر» عن سر قوة يسوع، واكتشف أنه يستمد قوته من الإله «الحمامة».. لذلك، حرض «الإله الأكبر».. اليهود على عيسى، وأمرهم أن يفتكوا به.

وهو فعلا ما نجحوا فيه، فقد أمسكوا به.. وصلبوه .

قال «كرنيثوس» إن «الحمامة البيضاء» لما رأت ما حدث، خرجت من جسد المسيح فوراً قبل صلبه وطارت للسماء .

قال «كرنيثوس» أيضا إن «الحمامة البيضاء» هى المسيح، وأن الذى صلب هو «يسوع».. يعنى المسيح لم يصلب، والذى صلب هو شخص يدعى «يسوع» هو ابن لمريم العذراء.. وزوجها يوسف النجار .

وأفكار «كرنيثوس» لم تنجح فى مصر، أو لم تلق رواجاً.. لذلك اختفت بعد فترة قصيرة جداً من موته، لكنها عادت مرة أخرى للظهور عن طريق مجموعة من «الفلسطينيين» أوائل القرن الثانى الميلادى. وهؤلاء أعادوا أفكار «كرنيثوس» ببعض التعديلات.

فقد قالوا أن مادة الجسم المسيحى أبدية.. أى أنها لا تفنى، وأن السيد المسيح شخصان وليس شخصاً واحداً. يسوع الإنسان، والمسيح ابن الله.

زعموا أيضا أن المسيح «الإلهى»دخل جسد يسوع الإنسان، لما كان «يوحنا» يعمده فى نهر الأردن. وأن المسيح ترك جسد «يسوع» قبل أن يلفظ «يسوع» أنفاسه الأخيرة فوق الصليب.

وهؤلاء «الفلسطينيون» قالوا: إن للمسيح «الإلهى» جسداً حقيقياً، وليس جسداً وهمياً.. وأن الجسد الإلهى لما دخل الجسد الإنسانى، تطابق مع شكله وحجمه.. وبقى الاثنان داخل بعضهما البعض إلى ما قبل الصلب بقليل.

وفى القرن الثانى الميلادى.. ظهرت طائفة «المنتخبين».. أو «الاكلتكتكيين» باللغة القبطية.. والكلمة أيضا تعنى نفس المعنى.. «المنتخبين».

وهؤلاء «المنتخبون» ظهروا فى مصر أواخر القرن الثانى الميلادى. معظمهم درس بمدرسة الإسكندرية.. وتفقهوا فى الفلسفة.. وعلم الكلام، وقرأوا الكتب اليونانية والإغريقية والرومانية القديمة. وبعدها قالوا إن الديانة المسيحية كلها تقوم على المجاز والرمز.. فالصلاة لا يجب أداؤها، لأنها فقط لرمز غير مطلوب القيام به فعلا.. والطهارة أيضا رمز.. ولا يجب أن يتطهر الناس. وكلام المسيح كله رمز.. وهو لم يقل كلمة واحدة يقصد بها معناها الحرفى، إنما كل كلامه مجاز فى مجاز.. ورمز فى رمز.

وبعد أن ألبسوا القواعد الدينية المسيحية ثوباً فرعونيا، عملوا على خلط الديانة المصرية القديمة ورموزها، بأسس الديانة المسيحية.. وأطلقوا على أنفسهم اسم «الفلاسفة المسيحيين».. و«المسيحيين الأنقياء».

وفى الوقت الذى حرّمت الكنيسة على أعضائها وأتباعها قراءة الفلسفة، والامتناع عن استخدام تفاصيل كثيرة من أساليب القياس والمنطق الأرسطى.. بدعوى أنه يشتت «العقل» ويبطل «الدين».. أعلن «الفلاسفة المسيحيون».. أو «المسيحيون الأنقياء» أن ما قالته الكنيسة كلام فارغ، لأن الفلسفة ليست إلا موهبة من عند الله «الفيلسوف الأكبر». ويجب على كل عاقل أن يطمئن لدينه.. وأن يعمل قدر الإمكان على اكتشاف المواطن الفلسفية فيه.. وأن يحاول ـ فى الوقت نفسه ـ أن يلجأ للقياس الأرسطى فى أى مشكلة عقائدية.

بعد فترة.. تحول «المنتخبون» إلى «مكنة تفريخ» للتلاميذ من «المسيحيين الأنقياء».. وظهر منهم «أمونيوس» و«باسيليدس» و«كربوكراتس» و«فالنتينوس».. رشحوا أنفسهم أساقفة بعد فترة قصيرة من إعلانهم حركاتهم المأخوذة من أفكار «المنتخبين».

«أمونيوس» مثلا ولد من أب وأم مسيحيين، إلا أنه رفض الدين المسيحى بينه وبين نفسه.. ولم يعلن رفضه ـ كما تقول الكنيسة ـ لأنه أراد أن يبطل المسيحية من داخلها.

وفكرة «أمونيوس» نابعة من رغبته أولاً وأخيراً فى أن يضم جميع الأديان ـ بما فيها المسيحية ـ إلى ديانة واحدة يعتنقها كل خلق الله. وآمن أنه لن يحدث هذا إلا لو كانت قواعد «ديانته الجديدة» مرضية ومثيرة لكل أهل الأديان المختلفة.. ولما أتته الفكرة حول كل تاريخ الآلهة المصرية الفرعونية والفارسية والهندية إلى قصص رمزية توحى بالمسيحية، وتوحى بها المسيحية. وقال إنه لا فرق بين إله المسيح.. وبين إله الايرانيين، و أن الاثنين يعملان معاً لخدمة إله آخر أكبر.. هو إله الكل. وأن على كل المسيحيين، كما أنه على شعوب إيران والهند وروسيا وأوروبا أن يتبع كل منهم إله الآخر حتى لا تصيب الآلهة الغيرة: من بعضهم البعض.. فيتحاربوا ويتقاتلوا ، ولا يجد «الإله الأكبر» من يعبده ويسبح بحمده .

وقال «أمونيوس» ـ أيضا ـ إن المسيح لا هو من روح الله، ولا ولد بإرادة الله المباشرة، إنما هو فقط «شخص صالح».. وإنسان له قدرات خاصة، وأنه لم يفعل ولا قال ما يعمل به ويقوله المسيحيون، فقد قال كلاما مختلفا.. لكن لما مات، صنع تلاميذه مسيحيتهم الخاصة.. وأدخلوا حكاية «الناسوت واللاهوت» على ديانته.

وبعد «أمونيوس» جاء «باسيليدس» بفكرة جديدة.

فقال إن للكون عائلة كبيرة، بدأت «بالأب»، الذى ولد «الفهم».. والفهم خلق «الكلمة الأولى»، والكلمة الأولى خلقت «الفطنة» و«الذكاء».. وخلق «الذكاء» كلا من الحكمة والقدرة. وبالتالى كانت «الحكمة والقدرة» والفطنة والكلمة الأولى والفهم أولاداً لله. الذى أمر عائلته بعد فترة بخلق الملائكة والسماء الأولى. وقامت الملائكة بخلق السماء الثانية وبعض الملائكة الآخرين، الذين خلقوا السماء الثالثة مع

بعض الملائكـة مرة ثالثة. واستمروا علـى هذه الطريقة حتى وصـلوا إلى ٣٦٥ سماء بمقدار أيام السنة.

قال «باسيليدس» أن إله اليهود كان رئيس ملائكة الرتبة الثانية.. أى السماء الثانية والملائكة الذين خلقهم ملائكة الرتبة الأولى. ولما أراد إله اليهود أن يستولى على كل شعوب الأرض، وأن يسخـرهم لعبادته وحده غضـبت الملائكة، واجتمعـوا لعصيان «الله»، وتـهديده بأنهم سـيذهبون بأهل الأرض وكـل المخلوقات، وهم أحرار فـيما خلقوا.. فهم الذيـن خلقوا السماوات كلها، وهم الذيـن خلقوا الأرض.. وهم أيضا خلقوا الإنسان.. ومن حقهم أن يعبثوا بخلقهم فى أى وقت.

إلا أن «الأب» (اللـه.. كبيـر عائلـة السماء) لمـا رأى الوضع كـذلك، أرسل ابـنه «نوس» لينقذ الناس من الملائكة الذين خلقوا العالم.

وقال «باسيـليدس» أن «نوس» هو هو يسـوع المسيح، وكانت له الـقدرة على أن يظهر بأى شـكل يريده، لذلك اتخذ صـورة سمعان، وأعطى سمعـان صورته لما أراد اليهود أن يصلبوه.. وعاد «نوس» للسماء بعد الصلب مباشرة.

والشـعبان مقـدس عند «باسيليدس»، أو فـى حكم «الصـالحين» فى ديانـته، لأن «الحية» هى التى أشـارت على حواء بالجنس.. ولولاها لما تكاثـر الناس، ولما عمرت الأرض. فلا حواء ولا آدم كانت لهما فكرة عن الجنس قبل أن تنبههما الحية.

والجنس يعنى حملا وولادة وأطفالا ثم صـبياناً ثم رجالاً وبنات. ودون جنس لا حياة، ولا أطفال ولا صبـيان ولا ناس.. يعنى «الحية» هى السـبب فى عمار الأرض، وولادة مئات الألوف والملايين من البشر.

بعد «باسيليدس» ظهر «كربوكراتس» و«فالـنتينوس». والاثنان كانا تقريباً يقولان كلاماً متشابها. وأهم ما فى كلامهمـا أن الإنسان يجب أن يفعل كل شىء يحبه، وأن يترك نفسه للشهوات واللذة، لأن المسيح هو الذى أمر بهذا. وقال للإنسان أن يتواجد حيث تتواجد «المتعة».

«كربوكراتس» أكد أن المسيح كان ابنـا ليوسف النجار.. وأنه ـ أى يوسف ـ لابد أنه تزوج مريم حتى ينجبه، لأن عند كربوكراتس لا أحد يأتى وحده .

أما الملائكة، فهم الذين خلقوا العالم.. وأنه حتى يصح إيمان كل الناس، يجب أن ينفس كل واحد عن «شهواته» و«طاقاته الحسية» التى يجب أن تطاع، فقد أمر الإنجيل ـ على حد زعم «كربوكراتس» ـ أن الشهوة هى العدو الذى يأمر الرب بأن نصطلح معه.

وآمن «كربوكراتس» بتناسخ الأرواح. فالنفس تنتقل لنفس أخرى، حتى ترتكب كل الأفعال البشعة «والشنيعة» فى حياتها، قبل أن تهدأ وتثور على الشر، وتتجه لله مؤمنة بقلب «من حديد». وقد سلم «المعلم» ـ كما سمى نفسه ـ أن نفس الإنسان تخضع للملائكة.. الذين تمردوا على الخالق الأكبر.. وأنه لابد أن يأتى اليوم الذى يستعيد فيه الله كل ملكه على كل مملكته.

والمسيح مقدس فى مذهب «كربوكراتس»، فقد كان يصلى له.. كما كان يصلى ويسجد «لفيثاغورس» و«أفلاطون» و«سقراط» ومجموعة كبيرة من الفلاسفة .

أما «فالنتينوس» فيظهرأنه هو الآخر كان «زير نساء».

«ففالنتينوس» لما لم يحصل على درجة أسقف، غضب من البابا وعارض الكنيسة، ولما طردوه وحرموه.. أنكر تجسد المسيح من السيدة العذراء.. وقسم الناس إلى ثلاث درجات.. درجة «اللحميين» و«الحيوانيين» و«الروحيين». وقال إنه هو ومجموعة صغيرة من تلاميذه من الروحانيين.. لذلك هم يستطيعون أن يفعلوا أى شىء، فى أى وقت دون أن يغضب منهم الله.

فهم «يزنون» و«يسكرون» و«يسرقون»، ولا داعى لأن يبتعدوا عن مثل هذه الأشياء رغبة فى الكمال. لماذا؟! لأنهم دون شك فى قمة الكمال، وهذا الكمال ـ ماداموا وصلوا إليه ـ لا ينقص.. وما دام لا ينقص، لا مانع من أن يفعلوا كل ما يريدونه .

ولما سألوا «فالنتينوس» عن درجة «اللحميين».. قال إنهم طبقة من الناس، لا تقبل منهم توبة.. ولا ترفع لهم حسنة.. وهم أشخاص خلقهم الله وجعل مكانهم فى الأرض معروفا، كما أن مكانهم فى الجحيم معروف أيضا.

والبابا أولهم.. لن تصلح له توبة، ولا صلاة.. ويستحسن له أن يحاول ألا يموت. لأنه لما يموت سيذوق أشد ألوان العذاب.

أما «نيبوس».. فكان صاحب «حكاية الألف سنة». تلك القصة التى تعتمد على تأويل لسفر الرؤيا، أن المسيح سوف يعود للأرض ويملكها ألف سنة .

و«نيبوس» كان أسقف أبرشية الفيوم. وبعد فترة من ولايته الأبرشية أخذ يعلم شعبها كلاماً غريباً، منه أنه قال أن الوقت قد حان لأن ينزل المسيح ويصير ملكاً على الأرض مرة أخرى ألف سنة، بعدها تقوم القيامة.

ولما هاج عليه المسيحيون المصريون، وقالوا إن سفر الرؤيا رغم أنه يقول فعلا بأن المسيح سيصير ملكاً، إلا أن هذا لا يعنى أنه سيحدث فعلا.. لسبب بسيط، هو أن سفر الرؤيا من الأسفار التى تدخل تحت باب المجاز. ولا ينفع أن تفسر تفسيراً حرفياً يحمل المعنى الحرفى للجمل والكلمات. إلا أن «نيبوس» استمر على ما يقوله.. ولما مات، تولى رأيه رجل اسمه «كراسيون»، إلا أنه سرعان ما تبددت تلك الحركة بعد فترة قصيرة من بدايتها.

هذه الحركات بالرغم من أنها حدثت فى الكنيسة القبطية فإن الفرق بينها وبين الحركات الأوروبية إلى حد ما كبير، نظراً لشخصية الكنيسة من جهة، ولإيمان المصرى ـ الدائم ـ من جهة أخرى.. مع حبه الاحتفاظ بعقائده على أكمل وجه.. أو كما يجب لها أن تكون وهذه الحركات وإن كانت قد ظهرت لسبب أو لآخر، فإنها سرعان ما اختفت.. وهرب الأقباط من مؤسسيها، أو هرب مؤسسوها من الأقباط.. إلى الحد الذى جعل كثيراً من رواد هذه الحركات يدعون «لدياناتهم الجديدة» فى السر خوفاً من بطش الأقباط وكهنة الكنيسة الأرثوذكسية.

ورغم كل سبب، وبالرغم من كل العوامل.. لم نسمع منذ بداية هذا القرن ـ على الأقل ـ بشىء مشابه تشعب من الكنيسة المصرية، فى حين أن عدد ما خرج من «حركات «شبيهة» فى أوروبا وأمريكا تحت مسميات مختلفة وبقيادات أيضا مختلفة.. لا يمكن حصرها .

❑

فى كل الأوقات.. كان واضحا أن الكنيسة المصرية تسير بقوة «الدفع الذاتية». كانت تدفعها الجغرافية.. والتاريخ. حتى مع الاختلافات الكثيرة والخلافات الأكثر التى حدثت بين حوائطها.. فقد ظلت منذ بدايتها لا تنشر «غسيلها» فى الخارج.

كل شيء داخلها لا سبيل لخروجه.. الفرح، الحزن.. الصوت العالى، تبادل الآراء.. والشتائم أيضا.. كله فى ضوء أن «البابا» «بابا»، وأن «رعايا الصليب» «رعايا الصليب»، وكلما مرت السنوات، ترسخ الاعتقاد بأن الكنيسة المصرية غير مستعدة لتقبل أى «رياح غربية» طارئة. لا على عقيدتها، ولا حتى على مستوى المراسم والأعياد.. وطقوس التناول.

وعندما قامت «كنائس الشيطان» «والسارايوجا» و«عباد الأهرام» وطوائفهم الكثيرة، واعتنق مذاهبهم مسيحيون كثيرون فى أوروبا.. لم تجد الكنيسة فى مصر أن الالتفاتة ضرورية. فمنذ عصور المسيحية الأولى.. والدين عند المصريين هو الوطن، والوطن هو الدين. والتاريخ يحكى أنه كلما كان أباطرة روما يمعنون فى الاضطهاد، يزداد المصريون التفافاً حول ديانتهم. وقد اختطف المصريون أسقفهم دنيس. وكان قد طلب أن يموت دفاعاً عن الصليب .

فقد كان لانتشار المسيحية بين المصريين أثر من أبعد الآثار فى تطور القومية المصرية.

وقد دفع الاضطهاد الدينى المصريين لمقاومة الاحتلال الأجنبى، حتى أنهم لم يقفوا عند حد الانطواء، والزهد.. إنما اتخذت المقاومة صورة غريبة عرفت فى العصر الحديث باسم «العصيان المدنى»، أو «المقاومة السلبية».. التى تحولت فيما بعد إلى «حركة روحية» انتهجها كل مسيحيى العالم فيما بعد.

«والعصيان المدنى» بدأه رجل صعيدى اسمه «بولا» أو «بولس»، الذى خرج للصحراء وحيداً يتعبد هارباً من الحاكم الظالم. وتلى الأنبا «بولا»، القديس «انطونيوس»، وفى الصعيد أنشأ الأنبا «باخوم» الرهبنة الجماعية.، وحول الرهبنة التى نشأت فى مصر، التف آلاف المصريين.. وتأسس «الدير الأبيض» قرب سوهاج، وتجمع الرهبان فى وادى النطرون ودير السريان ودير أنبا بيشوى.

ومن الكنيسة المصرية، خرجت الرهبنة للعالم. فوفد مليون من المعجبين «بالزهد» «والتقشف» وطلب رضا البابا المصرى، فوفدوا من سوريا والقسطنطينية وروما والبلغار وأسبانيا، ثم عادوا لبلادهم بعدما تعلموا ووضعوا أسس الرهبنة الأوروبية والآسيوية.

وكأن طبيعة الكنيسة المصرية قد فرضت عليها أن تكون الأقوى. أو على الأقل أن تظل كما بدأت، وعلى نفس ما بدأت عليه. ولم تستطع كل المحن أن تقضى على القومية الدينية المصرية، فكلما زادت المحن.. زاد التمسك بالقومية.. والدين.

البابا «اثناسيوس» بطريرك الكنيسة القبطية ـ على سبيل المثال ـ يصف محاصرة آلاف من جنود البيزنطيين للإسكندرية قائلا: «أما أنا فجلست على الكرسى الخاص بى، وقلت للشماس أن يتلو المزمور الثالث والثلاثين بعد المائة، وكان المصلون يرددون قائلين هو الرحيم إلى أبد الآبدين. وحان وقت الانصراف، وكان الظلام قد بدأ خارج الكنيسة، عندما فوجئنا بالعساكر البيزنطيين يطرقون الأبواب طرقاً عنيفاً، ثم فتحوا فجأة.. واندفعوا كالسيل الجارف متجهين إلى حيث أجلس.. فوقفت.. وأمرت الناس أن ينجوا بأنفسهم. لكن الكل حاول اعتراض طريق الجنود إلىّ، وألح القساوسة علىّ أن أجرى.. فألجو إلا أننى كنت متأكداً أن ثباتى سيجعل الجنود يكفون عن قتل الآخرين أملا فى الحصول على... فعولت أن أبقى حتى ينجو الشعب، إلى أن حملنى الرهبان والقساوسة للخارج».

و«لاثناسيوس» قصة من أروع قصص التمسك بالعقيدة، والقومية المصرية..

وهى نفسها السبب فى أن يتعذب ويستشهد الكثير من المصريين على يد حكام بيزنطة المسيحيين، فالحكاية أن مجمع نيقية عام ٣٢٥م كان قد أقر بأن المسيحيين «يؤمنون بإله واحد، الله الأب، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، ما يرى وما لا يرى. ونؤمن برب واحد. يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور. نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق، مساو للأب فى الجوهر.. والذى به كان كل شىء نزل من السماء. وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء. اتخذ شكله الإنس من أجل البشر وخلاص البشر. فتألم وصلب فى عهد بيلاطس البنطى، ودفن، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، كما جاء فى الكتب، وصعد للسماء».

إلا أن الآراء تشعبت بعد مجمع نيقية، والمسمى المجمع المسكونى الأول.. لأنه فجأة ظهر القس آريوس المولود عام ٢٧٠ م بشمال أفريقيا وقال إن «الابن يختلف عن الأب فى الجوهر، وأن الأب أقدم من الابن، لأن الابن مخلوق».

وكان ما قاله مناقضة رهيبة للقانون الذى اعتمده مجمع نيقية، لذلك رفض «اثناسيوس» ما قاله آريوس، بل رفض مناقشة أى شىء قاله «آريوس» مع أى شخص، ويبدو أنها كانت فرصة، فانضم امبراطور القسطنطينية مع «آريوس» ضد اثناسيوس.. الذى ظل يقاوم متمسكاً بالاعتقاد أن للمسيح طبيعة واحدة، وإن كان لم ينكر أن للمسيح طبيعتين قبل تجسد الكلمة، إلا أن الطبيعة البشرية اختفت بعد التجسد، وذابت كما تذوب نقطة الماء فى المحيط.. فهى موجودة وغير موجودة.. وظلت أقوال «آريوس» ومن يناصره كما هى.

وظل المصريون يكرهون بيزنطة.. لأنها محتل للأرض، وتعمل على احتلال الدين وهم معتزون بأرضهم، ومعتزون بكرسى «البابا» الرسولى. ثم إنهم لا يريدون لكنيسة الإسكندرية أن تتراجع إلى الصف خلف كنيسة القسطنطينية، فإذا كانت القسطنطينية هى عاصمة الامبراطورية بلا منازع، فإن الإسكندرية يجب أن تظل عاصمة المسيحية فى العالم.

والذى حدث أن روما تحالفت مع إمبراطور القسطنطينية ضد كنيسة الإسكندرية، وشعر بطريرك الإسكندرية الذى كان «ديستوريوس» فى ذلك الوقت بأن كفة الآخرين سوف ترجح، وما كان أمامه إلا أن يذهب ـ رغماً عنه ـ للمجمع المسكونى فى «خلقدونيا عام ٤٥١» الذى حكم بحرمانه ـ أى حرمان «ديستوريوس»، وإبعاده عن كرسى الإسكندرية. لأن كنيسة «ديستوريوس» ترفض أن يكون للمسيح طبيعتان.

وبالرغم من شلح «ديستوريوس» وحرمانه ظل المصريون على نفس المذهب، ونفس العقيدة.. سواء التى أكد عليها اثناسيوس، أو التى «شلح» من أجلها «ديستوريوس».. فهم ليسوا على استعداد لاختلاق وإدخال أفكار جديدة على الدين لمجرد أن الكل أجمع عليها.

والروح التى وقف بها «اثناسيوس» أمام العالم، لم تكن مجرد روح خلاف عقائدى، إنما كانت روح مقاومة وطنية.. وهى هى نفس الروح التى أملت على المصريين ترجمة الأناجيل إلى اللغة القبطية، وهى هى التى أخرجت حركة الرهبنة والانفراد للتعبد.

ويقال إن أول دير مسيحى تأسس عام ١٥١م حينما قرر «فرونيتنوس» هجر المدينة للصحراء، وزهد فى الدنيا.. وضم إليه جماعة من الراغبين فى الله، وسار بهم فى وادى النطرون.. وهناك قضوا بقية حياتهم فى النسك والعبادة.

لكن مؤسس الرهبنة الحقيقية، هما القديسان «بولا» المولود فى طيبة عام ٢٢٨، والقديس أنطونيوس.. المولود فى بنى سويف عام ٢٥١، ويقال إنه نشأ محباً للعزلة.. وخرج عام ٢٨٥ للصحراء الشرقية، ووجد كوخاً مهجوراً عاش فيه عشرين سنة خرج منه مرات قليلة، ولما تجمع حوله مجموعة من التلاميذ.. تركهم إلى مكان يصعب الوصول إليه فيه، وكان يعود لتلاميذه كل فترة، ويسافر إلى الإسكندرية ليواسى المضطهدين فى السجون قبل استشهادهم.. وعاش «أنطونيوس» حتى توفى عام ٣٥٦ عن عمر يزيد على ١٠٥ أعوام.

والرهبنة تطورت فى عهد أفيوس ومكاريوس، وتكون ما يعرف برهبنة «الشركة».. أى أن يشترك الرهبان فى المعيشة والحياة مع بعضهم البعض.. ويتعاونون فى الأعمال المنزلية واليدوية كلما فرغوا من صلواتهم وعباداتهم. ولما جاء «أنبا شنودة» و«أنبا باخوم».. نظما جمعيات الرهبنة، ووضعا لها القوانين والقواعد. وبدأت الرهبنة تعرف على ثلاثة أشكال.. رهبنة النساك وهم سكان الأديرة، ورهبنة الزهاد، وهم الذين يتحدون فى الصوامع الجبلية والصحراوية، ورهبنة المتبتلين الذين يجتمعون فى المدن اثنين أو ثلاثة.. ولا يتزوجون.

وأبو «رهبنة الشركة» هو الأنبا باخوم، منظم حياة الرهبنة الجماعية تبعاً لقانون واحد. وتحت رئيس واحد. والأنبا «باخوم» بطل مسيحى.. بدأ حياته جندياً وثنيا فى الجيش الرومانى، وحارب فى الحبشة. وفجأة ترك الجندية وذهب إلى أسقف دندرة، وهناك تعمد على ثم خرج إلى الصحراء.

وكان الرهبان يساعدون «البطاركة» فى دفاعهم عن العقيدة المصرية ضد أى دخيل، ضد الكنائس الأخرى فى أية اجتماعات كنسية عالمية. ولم تقف مقاومات رجال الدين المسيحى عند حدود التمسك بالعقيدة، بل تعدتها للثورة مع الجماهير.. وأهم الثورات فى التاريخ المسيحى القديم، ثورة «الإخوان الثلاثة»، التى قامت فى

أوائل حكم القيصر موريس.. عندما تحرك الإخوة أبو «سخيرون» و«مينا» ويعقوب».. (بزاوية صقر مركز أبو حمص بحيرة)، يحتجون على اعتقال حاكم سمنود لاثنين من عظماء القبط. ولما ثاروا.. ثار الأهل، والأهالى.. فاستعدت حامية الإسكندرية للقتال، والضرب والجلد. إلا أن الثائرين بلغوا أبواب الإسكندرية، وتمكنوا من منع أى مدد.. واستولوا على مراكب مخصصة لنقل الغلال للقسطنطينية.

وفى القرن السابع الميلادى، تولى كرسى «الإسكندرية» البطريرك الثامن والثلاثون.. بنيامين الأول سنة ٦٢٠، أثناء حكم الإمبراطور هرقل ـ وقتها ـ كان هرقل قد أرسل لمصر واليا بيزنطيا جديدا، عينه حاكما مدنياً وبطريركا من قبل القسطنطينية فى الوقت نفسه، على أساس أن «قوروش» ـ البطريرك والوالى الجديد ـ هو الذى سيعمل على توحيد مذاهب المسيحية على مبدأ جديد.

والمبدأ الجديد هو أن «المسيح واحد، وفعله واحد، ومشيئته واحدة» دون أية إشارة إلى وحدة الطبيعة أو ازدواجها. وكانت حيلة.. واكتشف المصريون أنها حيلة، ورفض البطريرك المصرى بنيامين الأول الاعتراف بممثل الإمبراطور، فاضطهده الوالى الجديد.. فهرب لوادى النطرون، بعدما أوصى أساقفته بالاختباء.. ومع أن الوالى الجديد أقام أساقفة كلهم «بيزنطيون» إلا أن الشعب المصرى رفض الاعتراف بهؤلاء الأساقفة.. وظل يدعو للأب الغائب فى وادى النطرون إلى أن انتهى الأمر بعدما توفى الإمبراطور البيزنطى «ماركانيادس»، وهجمت جماهير الإسكندرية على بطريرك بيزنطة (ذى الطبيعتين) ومزقته وقطعت جسده فى صحن كنيسة يوم الجمعة الحزينة.

فهم لم يكونوا ليسمحوا لدين جديد.. أن يبدل عقيدتهم، أو حتى يشككهم فيها. وتظل الكنيسة المصرية بعيدة كل البعد عن التأثر بأى حركات أخرى.

ويمكن أن نقول أنه بعد مجمع «خلقدونيا»، لم تعد القضية مجرد خلاف فى العقيدة، وإنما تحولت لتصبح صراعاً قومياً.. فقد تمسك الأقباط وأصروا على تمسكهم بمذهبهم واستقلالهم الدينى. صحيح أن مصر كانت قد فقدت استقلالها السياسى.. وأصبحت مستعمرة، لكن استقلالها الدينى الذى حاربت من أجله

أصبح فى ضميرها نوعاً ما من عودة الروح إلى استقلالها السياسى. استقلال فى القلب حتى وإن بعد هدف استقلال الأرض.

❑

وعندما ظهر الصليبيون فى المنطقة بعد خمسمائة عام من حكم العرب، فإن أقباط مصر لم يظهروا أى قدر من التعاطف ولا التعاون مع أن «الصليبيين» إخوان لهم فى المسيحية. جزء من ذلك رجع دون شك إلى أن الأقباط المصريين تذكروا على الفور أن هؤلاء الغزاة القادمين من الشطآن الشمالية للبحر المتوسط مثلهم مثل الرومان والإغريق، لم ولن يحملوا لهم لاخير ولا حرية.

هناك سبب آخر، وهو أن الصليبيين الكاثوليك كانوا قد اعتبروا عقائد أقباط مصر، وأولها عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح نوعاً من «الهرطقة». وتصرف الصليبيون كما توقع الأقباط المصريون، فقد منعوهم من زيارة القدس عندما سقطت فى أيديهم، ـ فى أيدى الصليبيين.

وعندما سقطت مدينة دمياط فى أيدى الصليبيين سنة ١٢١٩، فإن الصليبيين خطفوا كل أطفال المدينة وباعوهم لأسقف عكا الذى قام بتعميدهم وفق العقيدة الكاثوليكية.

وبعد ثلاثين سنة، وحينما استطاع الملك لويس التاسع ملك فرنسا أن يحتل دمياط مرة أخرى. فإنه رغم محاولاته للحذر فى التعامل مع الأقباط، فقد أساء إليهم إساءة بالغة، وعين قسيساً كاثوليكيا ليكون بطريركا للإسكندرية. وقرب نهاية الحروب الصليبية سنة ١٣٦٥، وحين تمكن ملك قبرص الملك بطرس أن يقوم بهجوم ناجح على الإسكندرية، فإن جنوده لم يكونوا يبدون أى اهتمام إلا بأمرين.. إما النهب والسرقة، وإما القتل المباح للأقباط واليهود والمسلمين على حد سواء.

بعد الحروب الصليبية جاءت الحملة الفرنسية، وقد فعل نابليون الكثير بقدومه لمصر.. فهو لم يلفت أنظار أوروبا وانجلترا على وجه الخصوص لمصر.. وإلى أهمية الطريق البحرى والبرى للهند والشرق، إنما ـ أيضا ـ لفت أنظار جماعات من

الرجال والنساء إلى دور ينتظرهم، ويبدأ بالتسلل الغربى إلى الشرق. وهؤلاء كانوا المبشرين، والإرساليات التبشيرية المسيحية الغربية.

الإرسالية التبشيرية البريطانية الأولى وصلت مصر سنة ١٨١٥، وهناك فوجئت بحائط صلب ومنيع يسمى الكنيسة المصرية.. ووجد الإنجليز أن المصريين لن يسمحوا لأحد أن يضيف إليهم حرفا، ولا أن يحذف نقطة فيما يختص بالدين المسيحى.. لذلك رحلت الإرسالية البريطانية دون أن تحقق أى شيء.

وبعد أربعين سنة، جاء الدور على الأمريكان.. وجاء مبشروهم كى يجربوا حظهم فى مصر، بعدما صنعوا لأنفسهم قاعدة متينة فى لبنان. وأول شيء فعلوه أنهم حاولوا مد فرع منهم إلى الصعيد حيث الكثافة السكانية للأقباط، وتصوروا - كما تصور الإنجليز - أنهم يستطيعون أن يمارسوا عملهم بكفاءة مائة فى المائة، إلا أن النتيجة كانت أقل بكثير.. وكثير جداً عما توقعوه.

لعدة قرون قبل قدوم الأمريكان، كان أقباط مصر يعيشون جنباً إلى جنب مع إخوانهم المسلمين. وفى معظم الأحيان كانت العلاقات طيبة، فقد كان أتباع الديانتين يعتبرون أنفسهم مصريين، وربما كان الأقباط - فى صميم قلوبهم - يعتبرون أنفسهم مصريين أكثر من بقية سكان مصر. لكن التفاوت العددى - بعد دخول الإسلام - بين الدينين كان يضع فى النهاية نوعاً من التوازن ضم الكل على أرض مصر فى إطار من السلام.

كان هناك شبه نظام قائم على عرف استقر لفترة طويلة لتحديد ودمج العلاقات بين أهل الديانتين . ففى كل قرية تقريبا كان هناك نمط واحد لا يتغير.. العمدة مسلم والصراف قبطى. العمدة مسئول عن سلطة الحكم، والثانى مسئول عن النظام المالى. وكلاهما لا يخشى منافسة الآخر.

وقت دخول الإرساليات الأمريكية، لم يكن سهلاً فى أى قرية تمييز المسيحى عن المسلم. بل إن القساوسة الأقباط كانوا فلاحين عاديين، وكان الواحد منهم يعمل «حافى» فى حقله طول الأسبوع، وفى يوم الأحد يفتح حجرة فى بيته يقود منها «القداس» والصلوات التى كان يحفظ نصوصها بالقبطية حفظاً مع أنه لا يقرأ ولا

يكتب ولا دخل مدرسة فى حياته.. كما أنه لا يعرف هذه اللغة التى يصلى بها من الأساس.. ولا يعرف طريقة كتابتها ولا قواعدها.

وفى يوم الاثنين.. كان القسيس يعود لعمله فلاحاً عادياً «زيه زى غيره» من مئات الألوف من الفلاحين.. وعرش البطريرك نفسه، لم يكن فى ذلك الوقت غير «حصيرة» صفراء يجلس عليها «البطرك» على الأرض، ومن فوقها يمارس سلطاته الدينية على كنيسة مرقص الرسول، الكنيسة الأرثوذكسية كلها .

وكان البابا «كيرلس الرابع» أول من تنبه بقوة للمخاطر التى تهدد الكنيسة القبطية واستقلالها الدينى من ألاعيب المبشرين الغربيين.. والبابا «كيرلس الرابع» كان ذكيا بالفطرة.. وكان لماحاً سريع البديهة.. وبدأ من أول يوم لاعتلائه «الحصيرة الباباوية» فى محاربة كل ما يتعلق بالعقيدة من أفكار غريبة دخيلة. وفى اليوم الأول لتوليه كرسى الكنيسة بدأ «كيرلس» الرابع فى محاربة نشاط التبشيريين، وتروى «ريتاهوج» ابنة المبشر الأمريكى المشهور «جون هوج» فى أحد كتبها، أن والدها جلس ذات مرة يحاول إقناع «كيرلس» الرابع بأن يرفع الحظر الذى فرضه على نشاط الإرساليات التبشيرية الغربية بين أقباط مصر.

وكان هوج قد أتى لمقابلة البابا «كيرلس» ومعه القنصل الأمريكى العام فى القاهرة كى يعطى كلامه وجلسته ومقابلته مع البابا وزنا وبدأ يهدد وينذر، لكن البطرك كان حازماً، ولم يكن «حزم» كيرلس سلبياً، لأنه قرر بعد هذه المقابلة بالذات أن يتحرك لمقابلة «تحديات عصرية» رأى أنه يجب أن يتصرف تجاهها بأكثر من مجرد حزم.

ورأى أن الحل فى الثقافة.. والثقافة فى الكتب. وهكذا أمر بشراء مطبعة لطبع الكتب الدينية وكتب أخرى. وعندما وصلت المطبعة للقاهرة، فإن البطريرك رأى أن يكون استقبالها فى احتفال يليق بها، ويعطى فكرة «للمبشرين» بما ينوى أن يفعله بالكتب التى سيطبعها.. وأنه بهذه المطبعة يعلن عن رغبته الجادة فى تجديد شباب «الكنيسة القبطية».

ودخلت المطبعة المبنى الذى أعده لها، والقسس والشمامسة يزفونها بالموسيقى ـ

كما أمر البابا ـ فى موكب كنسى رهيب، كان زفافاً بالمعنى الحقيقى، كما أنه كان كذلك بالمعنى الرمزى. وغنى الشمامسة ـ بناء على توجيهات البابا أيضا ـ ترنيمة «او بورو»، وهى الترنيمة التى كانت تستعمل فقط عندما يدخل الكنيسة المصرية شخص مرموق ومهم. لقد قرر البطريرك أن يجعل موكب المطبعة مناسبة كنسية وشعبية كى يعلن الأقباط أنهم يستعدون فعلاً لمواجهة تحديات تواجه كنيستهم.

هناك قصص كثيرة تروى عن البطريرك «كيرلس» الرابع، أشهرها ما حدث بينه وبين القنصل العام لروسيا فى القاهرة. فقد ذهب القنصل لمقابلة البطريرك كى يقول له إن الكنيسة الأرثوذكسية فى روسيا، شأنها فى ذلك شأن الكنيسة القبطية فى مصر لا تقبل أحكام مجمع «خلقدونيا»، وأنهم لا يؤمنون بمذهب الطبيعتين للمسيح. ثم يسأله ما إذا كان يرى مناسباً أن يضع رعاياه من الأقباط فى مصر تحت حماية القيصر الروسى العظيم. غير أن للموضوع أسبابا أخرى غير الأسباب التى فطن لها البطريرك فى أن ذلك العصر عصر تتسابق فيه كل الامبراطوريات على مواقع الاستغلال والنفوذ فى الشرق، فقد سأل «كيرلس» القنصل.. «وهل يموت قيصركم العظيم يا فخامة القنصل؟!»

فرد القنصل: «قداستكم تعلمون جيداً أن شأن جميع البشر أن يموتوا عندما ينتهى أجلهم».

فرد كيرلس: «إذن، لماذا أضع نفسى وأهلى تحت حماية من يموت، فى حين أننا جميعاً فى حماية حى لا يموت؟!..»

وعندما انتهت المقابلة، سحب كيرلس يده لما التقطها القنصل ليقبلها إمعاناً فى التبرك.. وقال كيرلس. «فخامة القنصل يتمتع بعطف وكرم قيصر عظيم، فلماذا يطمع فى البركة من فقير مثلى يحميه من ترونه أضعف؟!»

«وكيرلس الرابع» أول من فتح مدارس للبنات كما للصبيان فى القاهرة، وبعد وفاته حل محله البطرك «ديمتر يوس»، الذى لم يجلس على الكرسى الرسولى طويلاً لأن الموت عاجله قبل أن يترك أثراً باقياً فى تاريخ الكنيسة، ولفترة انتقالية قصيرة تولى كرسى البطريركية بالنيابة أسقف الإسكندرية مرقص.

فى نفس الفترة تطور إحساس المواطن القبطى مرات.. وبدأ البسطاء يشعرون أن شئون الكنيسة تعنيهم.

كان من بين الآراء الجريئة «لكيرلس» الرابع - الذى سموه «المصلح» - أن يكون لكل أبرشية مجلس يتولى أمورها يضم فرعين.. فرعا للشئون الكنسية يضم رجال دين، وفرعا آخر للشئون المدنية يضم مواطنين عاديين. وقد نظم هذا الفرع الأخير فيما بعد، ورتب نظامه بحيث يجرى انتخاب أعضائه كل خمس سنوات بالاقتراع العام. وأوكل إليه بطريقة واضحة دور الإشراف على المسائل المدنية والمالية للأبرشية. وقد أيد البطريرك مرقص هذا التنظيم الذى أصبحت له قوة القانون سنة ١٨٧٤، وتطور ليصبح المجلس الملىّ فيما بعد.

هذا النظام.. كان يقضى أن يرأس المجلس الملّى أرفع موظف قبطى فى الحكومة، وفى العادة كان هذا الموظف بدرجة وكيل وزارة فى إحدى الوزارات.

وسنة ١٨٧٥ جرى انتخاب بطرك جديد.

كان راهباً فى دير فى مديرية البحيرة، واشتهر باسم «يوحنا الناسخ»، لأنه قضى ثلاثة عشر عاماً من حياة رهبنته الأولى فى نسخ عدد من المخطوطات القديمة بهدف الحفاظ على تراثها.. وبالتالى تراث الكنيسة.

واتخذ «يوحنا الناسخ» لنفسه بعد أن أصبح بطرك اسم «كيرلس الخامس»، ولفترة طويلة فى ولايته كانت العلاقات بينه وبين المصلحين المدنيين طيبة، ثم ظهرت الخلافات فجأة بين الفريقين بسبب حقوق الإشراف على أوقاف الكنيسة.

واحتدم الخلاف.. وتحول إلى معركة، لأن البطريرك راح يقاوم تدخل المجالس الملّية فيما اعتبره اختصاصاً مطلقاً للكنيسة.. وبالتالى لسلطة البطريرك. أو هو تحد غير مشروع لسلطته.

فى نفس الوقت كان المصلحون المدنيون «المجالس الملّية» قد بدأوا يشعرون أن الأوقاف القبطية والمصالح المتصلة بها أكبر من أن تترك تحت السيطرة الكاملة لراهب واحد. وأصبح الصراع مريراً.

وقتها كان بطرس غالى باشا قد أصبح رئيساً للمجلس الملّى العام، وبحكم

منصبه.. حاول أن يحل الخلاف عندما طلب من الخديوى أن يتدخل فى الأمر.. والخديوى وقتها كان إسماعيل. فى نفس الوقت تألفت جمعية للتوفيق بين الفريقين أطلقوا عليها اسم «جمعية التوفيق القبطية». لكن كل الجهود لم تفلح. لاجهود بطرس باشا، ولا جهود جمعية التوفيق.

وسنة ١٨٩٢ لجأ بطرس غالى باشا ومعه أغلبية فى المجلس الملّى العام إلى الخديوى الشاب عباس حلمى الثانى يطلبون منه تنحية البطرك .

وحاول القنصل العام الروسى فى القاهرة أيامها أن يتدخل فى الخلاف، إلا أن جهوده لم تفلح.. لا لسبب، إلاّ لرفض «كيرلس الخامس» نفسه مع أن الكثيرين كانوا يرون أن تدخل القنصل الروسى سوف يكون بطريقة ما فى صف البطرك.

واستجاب «عباس حلمى» لطلب بطرس غالى ومجموعته.. وتقرر تعيين أحد الأساقفة «الأسقف اثناسيوس» من دير صنبو.. قائماً بأعمال البطريرك. وكان اثناسيوس موصوفا بأنه «رجل سياسة» وليس رجل دين. وأنه على «علاقة طموحة» ببطرس باشا غالى وأغلبيته فى المجلس الملّى.

إلا أن «كيرلس» كان أسرع من الكل، وبينما كان «اثناسيوس» يركب القطار من الصعيد فى طريقه للقاهرة، قابله على باب المحطة أسقف بنى سويف وقدم له رسالة من «كيرلس الخامس» قال فيها أنه تجاوز سلطاته.. وعصاه وقبل أن يكون بطريرك دون تعيين صحيح.. ومادام أنه ـ أى البطريرك كيرلس ـ لازال حيا.. فلا يصلح أن يكون هناك بطرك آخر. وهكذا فإن البابا «كيرلس» يأمر بحرمان اثناسيوس.. ويجرده من رتبته الكهنوتية.

وتصور «اثناسيوس» أنه يستطيع أن يتجاهل قرار الحرمان. فواصل السفر للقاهرة، لكنه فور وصوله.. وجد جماهير غفيرة تحيط بدار «البطرك خانة» وتمنعه من الدخول.

وضمن الهتافات التى صدمته قولهم: «اذهب اذهب يا محروم» قال لهم أنا البطريرك الجديد.. لم يسمعه أحد. و«انفعل»، لكن الجماهير ظلت على هتافاتها دون فائدة. وهنا.. بنصائح من المجلس الملّى وبطرس باشا غالى، وبالرغم من التأييد

الشعبى الكاسح للبطريرك كيرلس.. قـرر الخديوى عباس حلمى الثانى نفى كيرلس لأحد أديرة وادى النطرون.

وذهب أحـد الوزراء المسلمـين ـ رياض بـاشا ـ للـخديـو عباس لـيقـول له إن الدستور لا يعطيه الحـق فى نفى مواطن مصرى عادي، فكيف ينفـى زعيما روحياً له مكانة كـنسية رهيبة كمـا للبطريرك «كيـرلس الخامس». وعاد «كيرلس» مـن المنفى، وأتيح له أن يلعب دوراً بـارزاً فى الثورة الوطنية ضد الاحتلال البريـطانى فيما عرف باسم ثورة سنة ١٩١٩.

❑

أدى الاحتلال البريطانى لتغيرات عديدة فـى أحوال الأقباط المصريين نتيجة لفتح أبواب مصر للنفوذ الأوروبى فى عصر الخديوى إسماعيل.

وكانت الـثورة العرابـية إلى جانب ذلـك، ليست إلا رد فعـل مصريا أصـيلا تجاه زيادة النفـوذ الغربى، وقد انتهـى الصراع بين الوطنيـة المصرية والتدخل الأجـنبى فى ذلك الوقت إلى احتلال مصر بواسطة الإنجـليز، إلا أن مجمل ظروف العصر جاءت بظواهر كثيـرة ومختلفة.. منها ظاهرة نمـو طبقة متوسطة مصريـة راحت تحصل على جزء من الـثروة المتدفقـة من التجارة، وعـلى نصيب يـتسع يوماً بـعد يوم من ملـكية الأرض الزراعيـة. وبالطبـع فإن الطبقـة المتوسطـة المصرية الجديـدة التى بدأت تـنمو كانت من المسلمين.

ويمكن أن يـقال إن حظ الأقباط فـى هذه الظروف كـان ـ لأسباب متعـددة ـ أكثر ظهـوراً، فقـد أتيـحت لـهم ـ لأول مـرة ـ ملكـية مـساحـات شاسـعة مـن الأراضى الزراعـية، كما أن عـدداً كبيـراً من الوظـائف الرئيـسية فـى الدولة أتـيحت أمامـهم، خصوصاً فى عدد من وزارات الحكومة، كوزارة المالية والأشغال ومصالح كمصلحة البريد ومصلحة السكة الحديد.

ربما كان ذلـك اتساقاً مـع التقلـيد القديم، الـذى جعل شئـون الحسابات وجـمع الضرائب من نصيبهم خلال قرون طويلـة من تاريخ مصر. وطبعاً أحدث ذلك بعض الحساسـيات، التى زادت كثـيراً عندما وقع اخـتيار سلطـة الاحتلال الانجليـزى على بطرس باشا غالى كى يرأس محكمة دنشواى سنة ١٩٠٦.

محكمة دنشواى كانت محكمة عجيبة، وكانت ـ فى كل الأحوال ـ تمثيلا عملياً للإرهاب الإنجليزى. وكان رد فعل الأحكام التى صدرت عنها شديداً لدى كل جماهير الشعب المصرى. وتبلور رد الفعل فى فبراير سنة ١٩١٠ عندما أقدم وطنى مصرى اسمه «إبراهيم الوردانى» على اغتيال بطرس باشا غالى عقاباً له وقصاصا منه لدماء من حكم عليهم «الباشا» بالإعدام أمام أهاليهم.

فى هذا الجو.. حاولت سلطة الاحتلال أن تطبق مبدأ «فرق تسد» وأن تستغل المشكلة الطائفية، كما أن آخرين غيرها حاولوا نفس المحاولة، منهم بعض البعثات الدبلوماسية الأجنبية وبعض بيوت المال ـ من أصحاب المصلحة ـ الذين راحوا يتظاهرون بالعطف على الأقباط بدعوى أنهم أكثر قدرة على العمل وأشد جلداً وإخلاصاً.. ووطنية.

وفى مثل نفس الجو الذى أعقب اغتيال بطرس غالى، ومع عمليات الإثارة التى لحقت به.. جرت الدعوة لعقد مؤتمر قبطى عام تم عقده فى أسيوط، وبدأت فيه فكرة أو محاولة تعميق فكرة ما سمى فيما بعد بـ «حقوق الأقليات».

وكان الرد على المؤتمر القبطى.. بمؤتمر إسلامى عام.. عقد فى القاهرة سنة ١٩١١، يعنى السنة التالية لعقد المؤتمر القبطى. وحاول الإنجليز تعويض خسارتهم باغتيال «رجلهم» بطرس غالى.. بتعيين قبطى بارز آخر اسمه «يوسف باشا سليمان» لتشكيل الوزارة، إلا أن البطريرك «كيرلس الخامس» نصح «يوسف باشا» بعدم القبول.. لكن ضغوط الآخرين على يوسف سليمان كانت أقوى من نصيحة البطريرك.

وقبل يوسف سليمان تشكيل الوزارة، وتطوع وطنى مصرى آخر.. قبطى اسمه عريان سعد بأن يحاول اغتيال «الباشا». وفعلا قام بإلقاء قنبلتين على موكبه، نجا منهما يوسف سليمان بأعجوبة.. اقتنع بعدها أن رئاسته للوزارة لا تخدم إلا هؤلاء الذين يحاولون إثارة واستغلال الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط.

وسنة ١٩١٩، كان الجدل الدائر حول شكل الحركة الوطنية وكيفية تنظيمها بدأ يستقر نهائياً لصالح نضال موحد.. فى اتجاه هدف واحد.. هدف الاستقلال.

كانت مصر كبلد إسلامى تقع ضمن إطار الخلافة العثمانية، وبهزيمة تركيا فى نهاية الحرب العالمية الأولى.. فإن نظام الخلافة سقط. وبدا لفترة من الزمن أن الملك فؤاد ـ ملك مصر وقتها ـ تداعبه فكرة إرث الخلافة، لكن الفكرة بسرعة تبخرت بحكم الحقائق والظروف. وعلى أى حال، فإن التيار العلمانى فى ذلك الوقت أكد قوته. وتجمعت قوى الثورة ضد الاحتلال البريطانى على الأساس الوطنى.. وكانت ثورة ١٩١٩ بقيادة «سعد باشا زغلول» شديدة الوعى بحقائق الأمور.. لذلك رفعت شعار «الوحدة بين الهلال والصليب».

وأدرك أقباط مصر أن الاحتلال البريطانى ليس إلا عارضاً طارئاً فى تاريخها، ورغم أنهم لم يكونوا أكثر من عشرة فى المائة من السكان وقتها، إلا أن أقدارهم تصب فى نفس الوعاء الذى تصب فيه أقدار المسلمين. لذلك ساعدت المصالح الواسعة للطبقة المتوسطة ـ مسلمين ومسيحيين ـ على توحيد المواقف بأكثر مما استطاعت اختلافات الدين أن تفرق بينهم. فقد شعروا أن أى خلاف بينهم سوف يستغل بواسطة الانجليز لاستبقاء سيطرتهم.

وتبين الفريقان أن محاولات التفرقة لا ينبغى أن تنجح، وتعبيراً عن هذا التضامن والاتحاد الوثيق، فإن مشايخ الأزهر راحوا يحرضون على الثورة فى الكنائس، بينما راح القساوسة يشعلون المشاعر فى الجوامع.. ودخلوا الجامع الأزهر فى صلاة الجمعة كى يكون به أكبر قدر من المسلمين، لكى يخبروا العالم أن الدين يعنى وطن.. وأن الوطن للجميع.. كما أن الدين لله.

وبفضل قيادة سعد زغلول، الذى كان يعلم تماما أبعاد المشكلة الطائفية، وبفضل المبادىء التى وضعها «الوفد».. فإن حكاية «الفتنة الطائفية»، التى ظهرت بوادرها أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.. تراجعت، وبدا أنها حلّت تماما.

ومحاضر مناقشات اللجان التحضيرية لدستور ١٩٢٣، تحتوى على صفحات تشهد للمسلمين والأقباط ببعد النظر، وصدق التعبير عن الضرورات والحقائق الوطنية.

فقد رفضت لجنة الأقليات ـ التى تجمع مسلمين وأقباطا ـ مسألة التمثيل النسبى

للأقليات فـى البرلمان، على أساس أن ذلك سوف يـؤكد منطق التفرقـة بين مواطنين فى أمة واحدة.

وفى حزب الوفد تحت قيادة سعد زغلول، ومصطفى النحاس من بعده، فإن عدداً من أبرز أقطاب الوفـد كانوا من الأقباط.. منهم ويصا واصف وسـينوت حنا، وكان السكرتير العام للوفد تحت زعامة مصطفى النحاس.. مكرم باشا عبيد، الذى تولى وزارة المالية دائما فى كل وزارات الوفد حتى عام ١٩٤٢.

ومكرم عـبيد كان من ألمع الشخصيات فـى الحياة السياسية المصريـة، ومن أبرز وزراء الاقتصاد فى مصر.. ثم إنه كان من أبرز السياسيين المصريين الذين وعوا ـ فى تلـك المرحلة بالـذات ـ احتياجات مـصر الاجـتماعـية. فـهو الذى أطـلق شـعاره المشهور.. إذا كان واجبنا أن نحرر الاقتصاد المصرى من استغلال الأجنبى، فإنه علينا أيضا أن نعمل لتحرير المصرى من استغلال المصرى.

وفى الوقت نـفسه، وداخل الكنـيسة المصرية.. كـانت هناك صورة جديـدة تظهر وتتبلور.. وتـفور.. وتتضح معالمها يومـاً بعد يوم.. هذه الصورة التى يتـأكد معها أن الكنيسة المصرية ـ مهما كانت الظروف ـ غير قـابلة لا للتغيير عقائديا، ولا للتحول.. فى الوقت الذى كانت الكـنائس الأوروبية تتحول بطريقة مخيـفة، من فكرة لفكرة.. ومن تأويل للإنجيل لتأويل آخر لنفس الإنجيل.

فى الغـرب كانوا علـى استعداد دائـم لتقبل أى شـىء ، بينمـا أقباط مصـر كانوا مازالوا محتفظين بتراث عقائدى راسخ ومتين.

❑

بداية هذا القرن كان هناك موظف فى «البطريركية» اسمه «حبيب جرجس».

وحبيب جرجـس كان عمله متصلاً بـالتعليم الدينـى، لكن اهتماماته كـانت أبعد وأوسع.. لتشـمل كل نواحى الحياة لـلقبطى.. كيـف يعيش؟! وكيف يفـهم دينه؟! كيف يـفكر؟! وكيـف يجب أن يفـكر؟! كان «جرجـس» شديد الإحسـاس بميراث الكنيسة القبطـية، وبالتحديات التى تواجهها، والتى ستـواجهها ـ فى رأيه ـ سواء من المبشـرين الأجانب، أو من التـيار العلمانـى الذى ظهر فى مـصر مع ما سمى وقـتها «بحركة التنوير».

وألف «حبيب جرجس» مجموعة من الكتب والمنشورات، كلها تتناول ما يشغله من قضايا.. وكانت القضية الأولى بالنسبة له هى خصوصية أقباط مصر.. وتفوقهم واختلافهم عن كل مسيحيى العالم. كتب مرة يقول.. «نحن الأقباط المصريين يحق لنا أن نفخر بالدور القيادى الذى لعبناه فى تطور المسيحية».

كان ذلك صحيحاً دون جدال. فإن أى قبطى مصرى يذهب إلى «فنلندا» مثلا، سوف يكتشف أن المسيحية دخلتها فقط فى القرن الحادى عشر.. ولم يسمعوا عنها شيئا قبله.

بينما وجدت المسيحية فى مصر منذ أيامها الأولى.. وخرجت من مصر.. وأسست مصر نظما لها تعمل بها كل كنائس العالم حتى اليوم. ثم إن الكنيسة المصرية كانت طرفاً أساسياً فى الحوار الذى شكل العالم المسيحى منذ الأيام الأولى.. وحتى الآن.

«حبيب جرجس» أول من استعمل التعبير الجديد.. والخطير «الأمة القبطية»، الذى يعنى به شيئاً أكبر من مجرد الكنيسة القبطية ورعاياها. وبدأ «جرجس» حملة واسعة لإعادة بعث «اللغة القبطية القديمة». وبشكل عام.. يمكن القول أن دور «حبيب» بين المجتمع القبطى وبين الأقباط كان يتوازى مع الدور الذى قام به المصلحون الإسلاميون من أمثال «جمال الدين الأفغانى» و«محمد عبده».

ومن كتابات «حبيب جرجس»، فإن أوضاع الكنيسة المصرية كانت تؤرقه، خصوصاً بما لحق بها فى رأيه من عوامل قد تضعفها وقد تفككها. فالهرم الكنسى الذى يقف «البطرك» على قمته لا يزال على شكله الظاهر، لكن هذا الهرم كان يبدو «لحبيب جرجس» خاوياً خالياً من الحيوية والنشاط.

قاعدة الهرم تتكون من الشمامسة، والشماس هو الدرجة الأدنى فى سلم الكنيسة، ومهمته أن يساعد الكاهن فى الخدمة. وكان الأصل فى مهمة الشماس أن يكون متفرغاً لعمله، وعندما ساءت الأحوال داخل الكنيسة، فإن معظم الشمامسة أصبحوا صبياناً متطوعين. ولمدة ثلاثة أو أربعة قرون كان هذا هو الوضع.

فوق القاعدة العريضة من الشمامسة فى التركيب الهرمى، كان هناك الكهنة..

وهم العمود الفقرى فى الخدمة الكنسية. وهؤلاء الكهنة كانوا من القسس الذين يسمح لهم بالزواج.. ولقرون طويلة ـ أيضا ـ فإن معظمهم كانوا من فلاحى الريف الذين يعملون فى الأرض طوال الأسبوع، ويفتحون حجرة للصلاة يوم الأحد.

فوق القسيس(أو الكاهن) يجىء القمص. وهو عادة رئيس كنيسة كبيرة، يقوم بمساعدته ما بين ثلاثة لخمسة من القسس. وإذا لم يكن رئيس كنيسة كبيرة، فإنه عادة ما يكون مسئولا عن أكثر من كنيسة صغيرة فى منطقة واحدة.

وعندما يصل التركيب الهرمى للكنيسة إلى تلك الدرجة، فإنه يبدأ فى الاختلاف نوعياً فى اتجاهه نحو القمة. إذ يبدأ من هنا سلك الرهبان. فمنهم يجىء الأساقفة الذين يتولون الرعاية الكنسية على مستوى الأقاليم. والأساقفة لا يتزوجون باعتبارهم من الرهبان، وتعتبر «رسامة» (يعنى ولاية)كل واحد منهم على منطقته (أو أبرشيته) نوعاً من الزواج المقدس بينه وبينها.

والأبرشية هى منطقة الولاية الجغرافية لسلطة الأسقف، والذى يرسم حدودها المجمع المقدس، هذه الحدود غير قابلة للتغيير فى حياة الأسقف على أساس أنه وأبرشيته على زواج أبدى لا يفصله إلا الموت. وعادة، فإن تقسيم الأبرشيات كان يتسق فى مصر مع تقسيم المديريات والمحافظات فيما بعد.

ومن الأساقفة ـ الرهبان ـ يتكون المجمع المقدس، أعلى سلطة فى الكنيسة. وهو الذى يقوم بالدور الأساسى عادة فى اختيار البطرك.

هذا هو الشكل الهرمى بصفة عامة، وكان لا يزال على حاله منذ قرون طويلة، لكن «حبيب جرجس» بدأ يرى أن هذا الشكل فى حد ذاته يحتاج إلى إعادة بحث، ومن ثم إعادة تقييم. وباعتباره متصلاً بالشئون التعليمية فى «البطريركية»، فقد بدأ من النقطة التى يقف عندها.

ورأى حبيب أن كل قسيس فى القرية أصبح فى الواقع فلاحاً أمياً يتلو ترانيم ودعوات يحفظها بالسماع، دون أن يعرف لها قاعدة أو يدرك لها معنى. وكان ذلك فى رأيه طبيعياً.. لأن مسئولية التعليم القبطى فى القرى كانت تقع على عاتق عريف يتولى تحفيظ الأطفال صوت الترانيم ونبرات الأدعية، وكانوا فى كل القرى المصرية يدفعون له أجره فى المواسم.. ويدفعونه «بيضا ودجاجا».. و« بلحا».

لكن حبيب جرجس كان يرى أن الأمور تتغير بسرعة.. أو أنها يجب أن تتغير، فما كان يصلح فى الماضى، لا يمكن أن يستمر فى الحاضر.. ومن كانوا يقاومون أفكاراً كثيرة وبنفس الطريقة من قبل.. لا يمكن أن يظلوا يقاومون بنفس القدرة والعقلية فى المستقبل.

فالإرساليات البريطانية والأمريكية بدأت تتجه لبناء المدارس، والمستشفيات ودور الملاجىء لليتامى. وهؤلاء المبشرون أدخلوا لمصر أول إنجيل مطبوع أواخر القرن الماضي، وكانوا قادمين من لبنان. لم يكن الإنجيل هو المطبوع الوحيد الذى أدخله المبشرون، إنما كانت هناك مطبوعات أخرى عن أدبيات مسيحية أخرى تباع فى السوق بأسعار رخيصة.. على عربات «الكارو» وفى شوارع وحوارى المدن والقرى. وكانت نسخة الإنجيل تباع على هذا النحو فى أسيوط بنصف قرش. وبهذه الطريقة.. فإن الإرساليات بدت وكأنها تعمل سواء مباشرة أو من وراء ستار فى المناطق القبطية الحساسة فى صعيد مصر. واتضح أن جهود هؤلاء المبشرين يمكن أن تنجح.

ومع أنه كانت هناك محاولات مستمرة من جانب الكنيسة القبطية لمواجهة هذه التحديات الجديدة، إلا أن حبيب جرجس كان يرى أن الأمر يحتاج إلى ماهو أكثر من ذلك.

كانت الكنيسة القبطية قد شملت بالرعاية جمعية اسمها «جمعية أصدقاء الكتاب المقدس»، وكان على هذه الجمعية أن تستعمل مطبعة «البطريركية»، وأن تنشر كل ما تستطيع نشره من تراث الكنيسة القبطية.

ورأى حبيب جرجس أن الضرورة تحتم العودة للبداية، أى البدء من التعليم فى أول مرحلة. وعلى هذا الأساس اقترح ودعا لإنشاء مدرسة دينية فى أحضان «البطريركية». . وتأسست هذه المدرسة بالفعل باسم «المدرسة الإكليريكية» سنة ١٩١٠ . وفى البداية فتحت أبوابها لأبناء عدد من القسس.

رأى حبيب جرجس أن هؤلاء الأطفال، وبحكم نشأتهم أقرب وأكثر استعداداً لتلقى التعليم الدينى عن غيرهم من الصبيان.

المؤهل الوحيد المطلوب أول الأمر لدخول المدرسة الإكليريكية ذلك الوقت كان

شهادة الدراسة الأولية. ومع تقدم التعليم العام فى مصر، ارتفع المستوى الدراسى عند القبول ليصبح الحصول على البكالوريا.. أو الثانوية العامة . لكن حبيب لم يسعفه الوقت كى يرى المدرسة وقد تحولت إلى كلية ، ثم الكلية وقد تحولت لجامعة دينية قبطية كبيرة.

لم تكن هذه فقط جهود حبيب، إنما كانت له جهود أخرى.. أهمها إنشاء مدارس الأحد، تلك المدارس التى قدر لها أن تلعب.. أو أن يلعب أبناؤها دوراً بارزاً فى تاريخ الكنيسة القبطية.

وقد أنشأ «حبيب» مدارس الأحد فى القاهرة فقط أول الأمر.. ومنها انطلقت لكل المحافظات . وفكرة «مدارس الأحد» هى أن الأطفال يذهبون إلى الكنيسة مع آبائهم يوم الأحد، لكنهم عندما يصلون إلى هناك.. ينفصلون عن الأهل ويذهبون مع غيرهم من الأطفال إلى غرفة أخرى. ولما ينهمك الكبار فى الصلوات ، يكون «الأطفال» منهمكين فى دروس مكثفة .. لاتشمل هذه الدروس الإنجيل فقط، إنما تمتد إلى تاريخ المسيحية،والتاريخ القبطى .. وأولاً وأخيراً التراث القبطى المتميز للكنيسة المصرية .

لابد أن يقال إن كلاً من الخطوتين: «المدرسة الإكليريكية»، و «مدارس الأحد» قد أثرتا معاً لتصنعا تياراً قوياً له تأثير محسوس على الكنيسة المصرية هذا التيار الذى زاد الكنيسة رسوخاً عقائدياً من ناحية، ونظمها وأعطاها ثقلا من ناحية أخرى.

وتزايد التأثير مع مرور السنين، ومع زيادة عدد الخريجين من المدرستين، الذين خرجوا للحياة فى مختلف التخصصات.

وبدأت الأجيال الأولى من خريجى «المدرسة الإكليريكية» ومن «مدارس الأحد» تصل لمواقع التأثير فى الثلاثينيات والأربعينيات . فى هذا الوقت كان الشباب كله فى مصر وغيرها يتلفت حوله بقلق .. باحثاً عن حلول سياسية لمشاكل اجتماعية ملحة. كان ذلك حال الشباب من المسلمين، فاتجه بعضهم إلى الإخوان المسلمين والتنظيمات اليسارية، وفيما يتعلق بشباب الأقباط.. فقد بدا أول الأمر أن الحركة الشيوعية جاهزة لاستقبال كثيرين منهم.

فهم لم يكونوا بالطبع مستعدين للانضمام للإخوان المسلمين، ولم يكن هناك فى ذلك الوقت تنظيم على نمط الإخوان المسلمين بين الأقباط يستقطب نشاطهم.

ولسنوات قبل الحرب العالمية الثانية، وخلالها، برز فى الحركة الشيوعية المصرية، وفى التيار الأكثر شدة وصلابة فيها ـ تيار التروتسكيين ـ عدد من الشباب الأقباط.

وفجأة حدثت ظاهرة لافتة للنظر.

فقد طرأت بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات ملحوظة،وبدأ عدد كبير جداً من الشباب القبطى فى الجامعات من كليات الهندسة والطب والحقوق، ومن الآداب والفلسفة يقدمون أنفسهم للأديرة طالبين الالتحاق بسلك الرهبنة.

الظاهرة كانت مفاجئة، كما كانت لافتة.. ولم يكن لها أن تكون مصادفة..

إنماكان وراءها بالتأكيد منطق محدد. وهدف فى مخيلة هؤلاء المتقدمين للأديرة.

اتضح بعد ذلك أن هذه المجموعات آمنت، وتأكدت من أن الكنيسة القبطية لاتزال هى العنصر الأساسى فى حياة الأقباط فى مصر. وكان واضحاً أيضاً أن هذه المجموعات من الشباب تعتقد أن السيطرة على شئون الكنيسة تتركز فى أيدى الرهبان الذين يرأسون الأديرة، أو يشغلون مناصب الأساقفة.. وبالتالى يكونون المجمع المقدس.

واتضح ـ للمرة الثالثة ـ أن هؤلاء الشباب يرون أن القوة لمواجهة تغيرات العصر.. ومكافحة كل وأى فكر «دخيل» تكمن فى الكنيسة، ومن ثم القوة فى المجتمع القبطى .. تكمن فى الأديرة.

❑

وفى الأربعينيات أيضاً .. لاحت فى الأفق إشارات تستحق الالتفات. فقد ظهر تنظيم اسمه «جماعة الأمة القبطية»،وبدأ هذا التنظيم يوزع منشورات .. المنشورات تحمل دعاوى مثيرة..بينها طلب الحكم الذاتى للأقباط.

وسنة ٤٥ قام رجل اسمه« إبراهيم هلال»، عضو بنفس التنظيم، بمغامرة من النوع الممتلىء بالإثارة والمفاجآت .. كان إبراهيم هلال فى الرابعة والثلاثين من عمره، وكان من خريجى مدارس الأحد.. يعمل بالمحاماة.

وفى فجر أحد الأيام، قام إبراهيم ومعه خمسة من الشبان الأقباط بهجوم مسلح على «المقر البابوي» . فقد اقتحموا بوابة دار البطريركية بقوة السلاح بعد أن جردوا حرسها من عصيهم وشقوا طريقهم إلى الداخل بسهولة منقطعة النظير .. ولم يجدوا صعوبة من أى نوع فى الوصول لغرفة نوم البطرك العجوز الأنبا «يوساب».

وأيقظت مجموعة إبراهيم هلال البابا بغلظة، وعندما قام من نومه . .وجد نفسه أمام ثلاثة من المسلحين ، الذين تركوا واحداً منهم على بوابة دار البطريركية لمنع أى أحد من طلب النجدة، بينما تركوا آخر على مدخل جناح البطرك كى يعطل أية محاولة للاقتراب من حجرة النوم التى اقتحمها بقية المهاجمين.

ولدهشة «البابا» الكبيرة، فإنه لم يحاول لا الاستغاثة ولاطلب سكرتاريته ولاحتى مناداتهم .. واستجاب بكل استسلام لطلب مهاجميه بالإسراع بارتداء ملابسه لأنه سيذهب معهم. فارتدى ملابسه بسرعة، واستعد ليذهب معهم إلى أى مكان يريدونه.

وقبل أن يأخذوه.. أخرجوا مجموعة من الأوراق وطلبوا توقيعه عليها، لم يكن أمامه أى طريق آخر غير التوقيع، وهكذا وقع على وثيقة مطولة ومسببة عن تنازله عن العرش «البابوي»، ووثيقة أخرى ـ مطولة أيضا ومسببة ـ بدعوة المجمع المقدس والمجلس الملّى لإجراء انتخابات لبطرك جديد.

ووثيقة ثالثة ـ وقع عليها الأنبا يوساب ـ توصى بتعديل لائحة انتخاب البطريرك، بحيث يشترك فى انتخابه مجموعة من رعاياه الدينيين.

بعدها.. خرج«إبراهيم هلال» ومجموعته بالبطرك.. أحدهم يحتضن يده اليمني، والآخر يده اليسرى، بينما شخص ثالث يضع «مسدسا» فى ظهره.. ويؤمّن خروجهم اثنان.. واحد من الخلف وواحد من الأمام مسلحين بالمدافع الرشاشة، بينما شرع السادس فى قيادة السيارة التى اتجهت لدير وادى النطرون.. وهناك سلموا البطريرك العجوز لراهب الدير الذى منعته الدهشة والمفاجأة حتى أن يسأل عن تفاصيل الموضوع.

وأمر «إبراهيم هلال» راهب الدير أن يجعل البطرك لديه« معززا مكرما»، لكن

رهن الاحتجاز، وأن يتفرغ للصلاة والعبادة فقط . لأنه قد تنازل عن العرش وكرسى الكرازة المرقسية.

وعادت المجموعة مسرعة للقاهرة، وأصدرت بياناً أرسلته إلى كل الكنائس والصحف وبعض المؤسسات والجهات الرسمية تعلن فيه تنازل البطريرك وإقراره بضرورة أن ينتخب الشعب القبطى بطركاً آخر بدلاً منه . وحذرت المجموعة سلطة الدولة «من أى تدخل فى الشئون الداخلية للأقباط المصريين».

المغامرة كلها لأى مراقب محايد لم تكن إلامحاولة يائسة لاتحتوى على أى عنصر من عناصر النجاح، وبالفعل ... فإن الحكومة سرعان ماتدخلت.. فألقت القبض على مختطفى البطريرك، وأطلقت سراح الأنبا يوساب من مكان احتجازه.. وأعادته للمقر الباباوى ليواصل ممارسة سلطته.

لكن مهما كانت عناصر اليأس فى المغامرة، فإنها كانت إشارة إلى أشياء تجرى وتتفاعل فى المحيط القبطي.

وفى أواسط الخمسينيات، بدأت ظاهرة أخرى لافتة للنظر..وهى الهجرة الواسعة المكثفة لعدد كبير من شباب الأقباط ، الذين ذهبوا يحاولون بناء حياة جديدة فى الغرب .. خصوصاً فى الولايات المتحدة وأستراليا .. وكندا ..وعلى عكس نظرية الهجرة على وجه العموم. فقد كان هؤلاء نوعاً جديداً من المهاجرين، لأنهم كانوا مؤهلين علميا وعملياً بأعلى الدرجات فى تخصصاتهم . وكانت البلاد التى هاجروا إليها على استعداد للترحيب بهم وبأى أعداد من أمثالهم.

وعندما جاءت موجة القوانين الاشتراكية.. ثم ما سمى «بالتأميم»، لحقت بالموجة الأولى من المهاجرين.. موجة أخرى.. وكانت هذه الموجة مؤهلة أكثرمن الموجة الأولى، عملياً وثقافياً.. ومادياً.. وهذا هو الأهم.. فقد كانت هذه الموجة مؤلفة من جماعات كثيرة من أثرياء وأغنياء الأقباط.

وذهبت عائلات بأكملها استطاعت أن تنقل أجزاء لابأس بها من ثرواتها للخارج.. كى تخوض حياة أخرى فى عدد من البلدان الأوروبية، والتى لم تكن أنماط الحياة فيها بعيدة عما ألفته هذه العائلات.

ووجد هؤلاء المهاجرون لأنفسهم مقار جديدة فى سويسرا وفرنسا وإنجلترا وأستراليا وكندا والبرازيل.

وكان من نتيجة هذه الهجرات «الشرسة»، أن الكنيسة القبطية المصرية أصبح لها فروع كبيرة ومؤثرة وغنية عبرالبحار، فالمهاجرون لم يأخذوا معهم تخصصاتهم العلمية أو ثرواتهم المنقولة فقط، إنما أخذوا ـ أيضاً ـ عقيدتهم الدينية ، وأصبحت بلدانهم الجديدة مراكز متقدمة للكنيسة الأم فى مصر، تتبع تعاليمها .. وتبعث إليها بمساعدتها، وتتوقع فى مقابل ذلك أن يكون لها بعض التأثير على توجهات الكنيسة ذاتها.

وقد بدأ هؤلاء ـ ومن الخارج ـ يشكلون نوعاً من جماعات الضغط.. حتى فى مواجهة السلطة المصرية، وكان من حقهم أن يرفعوا أصواتهم بالشكاوى ضد أى «ظلم» يتصورونه .. ولم يكن فى مقدور أى سلطة ـ حتى سلطة الدولة ـ أن تسألهم عما يقولون.

إلا أن «البابا» ظل عند هؤلاء مقدساً.

ورغم عميق الاختلاف فى أمور إدارية ، لم يكن هناك أى خلاف.. أو «فكرة عن خلاف» فيما يتعلق بشخص «البابا» .. وحكمته.

وتوافقت تطورات هجرة الأقباط المصريين،مع اهتمام مسعور فى الغرب ـ خصوصاً الولايات المتحدة ـ تجاه كنائس العالم.

كان هناك ما تألف سنة ٤٨ تحت مسمى «مجلس الكنائس العالمى» وكان لإنشائه قصة تتعلق بطريقة معقدة وطويلة الشرح باشتداد «الحرب الباردة» بين المعسكرين.. الغربى والشرقى . فيما كانت عملية إنشاء هذا المجلس تعكس دون شك رغبة جهات أمريكية معينة..(مجلس الأمن القومى الأمريكى ووكالة المخابرات المركزية) فى أن يقوم الدين بدور رئيسى ومؤثر فى الصراع ضد ماكانت هذه الجهات تسميه «الإلحاد الشيوعى» .

فى الواقع .. كانت معركة سياسية، حتى بالرغم من سمك الغطاء الذى تتغطى به. والتحقيقات التى جرت فى الكونجرس ـ فيما بعد ـ أثبتت أن مجلس الكنائس

العالمى ، كان أحد أهم الجهات التى حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية (C.I.A)، ضمن الصراع بين واشنطن وموسكو.

ولم تكن مصادفة أن الجلسة الافتتاحية لمجلس الكنائس.. قد أجلست «جون فوستر دالاس » بين الجالسين على منصة الرئاسة.

دالاس لم يكن ابن قسيس فحسب، بل كان من أبرز نجوم الحرب الباردة وأصبح وزيراً للخارجية الأمريكية مع الرئيس الأمريكى «أيزنهاور»، إضافة لذلك كان شقيقه «آلان دالاس» هو الرئيس «المستمر» لإدارة المخابرات المركزية الأمريكية.

ليس صدفة أيضاً ما قاله دالاس يومها. فقد كان ضمن ما قاله: إننا إذ نبشر بالمسيحية . فهذا يعنى أننا نبشر بالحضارة الغربية. وهذا الكلام لم يعجب أقباط مصر. فالمسيحية مصرية أكثر منها أمريكية.. ثم إن دالاس ليس «بابا» العالم ..ولاهو «شماس» الرب.

البطرك المصرى وقتها كان الأنبا« كيرلس السادس» ..وكان قد انتخب سنة ١٩٥٩ ولعب شباب الجامعاتّ الذين التحقوا بالأديرة من قبل دوراً كبيراً فى انتخابه.

كان «كيرلس السادس» راهب دير وادى النطرون الذى فتح لهم أبوابه، فى الوقت الذى تشكك فيه غيره من رهبان الأديرة فى رغبات هؤلاء الشباب . لذلك قفلوا كل الأبواب فى وجوههم .. ورفضوا قبولهم.

ووقف هؤلاء الشباب ـ شباب الأديرة ـ بحماسة وراء انتخاب «كيرلس السادس» بطركاً، وحركوا واستخدموا كل مواقع تأثيرهم ونفوذهم .. خصوصاً فى مدارس الأحد كى يضمنوا اعتلاءه الكرسى «البابوي».

هؤلاء الشباب لم تكن تربطهم أى رابطة بالممثلين الرسميين للأقباط فى الحكومة.. على العكس . فإن الممثلين الرسميين كانوا من أكبر المتشككين فى جيل الرهبان الجدد ..واعتبروهم من المتشددين إلى الحد الذى جعل بعضهم يسمى هذا الجيل بالذات «الإخوان المسلمين ، الأقباط ».

ومع أن هذا الجيل من الرهبان الشباب لعب دوراً نشيطاً فى انتخابات «كيرلس السادس» ، إلا أن تأثيره بعد عملية الانتخابات ظل محصوراً داخل نطاق معين.

لهذا بـدأت العناصر النـشيطة فى هذا الجـيل، تلح علـى «البابا» (أصبح لـه لقب «البابا» بعد تدشين كاتدرائية القديس مرقص الجديدة) أن يسمح لهم بقسط أكبر من النشاط.

فقط ساعدوه على تولى «العـرش البابوي» ، وآن الأوان بدوره أن يساعدهم فى خدمة الكنيسة كما ينبغي.

أهم مطالبهم كانـت أسقفيات جديدة تعطيهم مكانـاً.. وقوة فى المجمع المقدس . ولأنه لم تكـن هناك أسقفيات خالـية، فإن البابا نفـذ خطوة جديدة وغيرمسـبوقة فى الكنيسة القبطية. فقد أنشأ أسقفيات جديدة لاتمثل مناطق جغرافية. وحمل أصحابها لقب «أساقفة دولة» كمـا جرى التعبير فى ذلك الوقت، وهم أساقفـة يتفرغون لمهام معيـنة دون أن يرتبـطوا بمناطـق جغرافية أو سـكانية مـحددة. وهذه الخطـوة فى حد ذاتها، عبرت عن قوة رياح التغيير داخل الكنيـسة القبطية، كما أنها عبرت عن اتساع دائرة ووصول نشاط الرهبان الجدد.. خارج حدود مصر.

كانت تعبر أيضا عن مطامح مستجدة لجيل مختلف من الشباب الأقباط.

أبرز نجوم هذا الجـيل، الذين أصبحوا أساقـفة «سعد عزيز» خريـج كلية الآداب، الذى أصبـح راهباً باسـم «مكارى السـيريانى» نسـبة إلى دير الـسيريان، ولمـا أصبح أسقفاً .. تحول اسمه إلى الأنبا«صموئيل» . وعين أسقفاً للخدمات .

والأنبـا صموئـيل كان المـسئـول عن العـلاقات الخارجـية للـكنيـسة الـقبطـية ، والاتصال مع الكنائس الأخرى.. مثل «روما» و«كـانتربرى» ..ومع مجلس الكنائس العالمي، ومع الكنائس القبطية التى بدأت تنتشر فى المهجر خصوصاً أوروبا وأمريكا.

وأصبح الأنبا «صموئيل» ـ أيضاً ـ مسئولاً عن الـشئون المالية للكنيسة، ومع بداية سياسة الانفـتاح .. أظهر «صموئيل» براعة مـلحوظة فى إعادة ترتيب الشـئون المالية لعدد من العائلات المشهورة التى فضلت البقاء فى مصر.

وكان صـموئيل مـسئولاً عن إيـجاد فرص عمـل ضخمة لأبـناء هذه العـائلات، وفعلاً استطـاع ـ بعد فترة ـ قصيرة ـ أن يجيـئهم بتوكيلات عديدة لأكبـر البنوك فى العالم .. خـصوصاً بنوك ألمانـيا الغربية .. الـتى بدأت فى ذلك الوقـت تلعب دوراً

ظاهراً فى نشاط وتمويل وتوجيه مجلس الكنائس العالمى خصوصاً أن موارد مجلس الكنائس من الولايات المتحدة، كانت قد تأثرت تأثرا حادا نتيجة لانكشاف علاقته «الوطيدة» بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، (C.I.A.)، وعندما قتل الأنبا صموئيل فى حادث المنصة مع الرئيس السادات أثناء العرض العسكرى يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١، وجدوا حساباً باسمه فى أحد البنوك السويسرية رصيده ١١ مليون جنيه استرلينى.. وكانت هناك ورقة محررة بخط يد الأنبا «صموئيل» تؤكد أن هذه الأموال ؛أموال الكنيسة المصرية .. ولا حق لأحد فيها إلا ورثتها الحقيقيين .. يعنى الكنيسة المصرية. وبالفعل دخلت كل الأموال حساب الكنيسة، ورفض الرئيس مبارك أن تنطبق عليها ضريبة التركات.

ومن أبرز نجوم جيل الأساقفة الجدد أيضاً «وهيب عطا الله» الحاصل على الدكتوراه فى فلسفة اللغات..وقد رسم «وهيب عطا الله» أسقفاً باسم الأنبا «غريغوريوس » وعينه البابا كيرلس أسقفاً للبحث العلمى.

وقام «غريغوريوس » ـ وفى إطار مهمته ـ بإنشاء معهد عال للدراسات القبطية.. وشكل لجنة لإصدار نص نهائى للكتاب المقدس، ثم عمل على تكوين هيئة علمية ضخمة لوضع دائرة معارف قبطية.

وبدأ «غريغوريوس» محاولة طموحة ومجهدة لإعادة تسجيل الترانيم القبطية التى كانت تنتقل بالسماع من جيل لآخر حتى يتم حفظها، تمهيداً لبعثها نصاً مسجلاً لإعطائها حياة جديدة. وفى الوقت نفسه. استطاع «غريغوريوس» ترتيب اعتمادات طائلة لتنفيذ كل هذه العمليات .

أما النجم الألمع فى هذا الجيل .. فقد كان «نظير جيد».

و«نظير جيد» هو الذى عرف فيما بعد بالأنبا شنودة..أو البابا شنودة بطريرك الأقباط المصريين.

«نظير جيد» تخرج فى كلية الآداب، وعمل صحفياً وكاتباً وشاعراً قبل أن يدخل سلك الرهبنة ..ولما ترهبن، عين أسقفاً للتربية الكنسية. ودخل فى اختصاصات الإشراف على كل كليات اللاهوت ومدارس الأحد.

وعندما أنشئت الكاتدرائية، فإن الأنبا «شنودة» استعاد تقليداً كان مشهوراً ، وهو

درس الجمعة ..وأصبح هذا الدرس مناسبة مهمة جداً للألوف من الشباب الأقباط الذين بدأوا «يتظاهرون» كل أسبوع لسماعه، وبعد فترة. أصبح الأنبا شنودة معبود كل الشباب القبطى.

ومع «لمعان» الأنبا شنودة كان هناك لامع آخر فى نفس الجيل.

إلاأن هذا «اللامع» آثر أن يظل فى الدير .. بعيداً عن الأضواء ..ولم يصبح مثل بقية زملائه .. أسقفا بغير أبرشية محددة.

هذا «اللامع» اسمه «يوسف إسكندر» ، وكان قبل رهبنته قد حصل على بكالوريوس الصيدلة ، وأنشأ صيدلية ووقف يبيع فيها الأدوية قبل انقطاعه للرهبنة . واختار «يوسف إسكندر» لنفسه بعد الرهبنة اسم «متى المسكين» واستقر فى دير أبو مقار قرب الإسكندرية. وبفضل «متى المسكين» تحول الدير إلى منشأة إنتاجية. استصلحت مساحات شاسعة من الأرض حوله وأتته التبرعات من كل مكان فى العالم ، فلم يعد ديره مجرد مكان للعبادة، ولا فقط منشأة إنتاجية فحسب، لكنه أصبح أيضاً مركز اتصالات واسعة، ومؤثرة فى شئون الكنيسة.

وسنة ١٩٧١ مات البابا كيرلس.

وبعد وفاته ..خلفه البابا «شنودة» و«البابا شنودة» ليس فرداً واحداً، إنما جيل كامل من الأساقفة.. «جيل الرهبان الشبان».

ومع أن الكنائس فى العالم كله كانت تمر بحركات ارتدادية وتيارات غريبة تدخل لتحل محل تعاليم المسيحية . كانت الكنيسة المصرية قد تبلورت فى آخر أشكالها الفولاذية التى ـ بالرغم من أية خلافات، وكل الخلافات ـ لم تكن لتسمح بأن تؤثر على مستوياتها العقائدية أى تيارات أو أفكار غريبة.

وبفضل جيل الرهبان الجدد.. الذى تولى القيادة، وبفضل سيطرتهم الكاملة ـ منذ بداية ثلاثينيات هذا القرن ـ على مدارس الأحد وكليات اللاهوت ـ تكون نوع من المناعة ثلاثية التأثير على عقيدة الكنيسة المصرية.

وكان كل هذا طبيعيا، ليس بعد تاريخ طويل للمسيحية فى مصر، إنما ـ أيضاً ـ بعد فترات طويلة من البناء العقائدى السليم.

2

كنيسة السارايوجا ومسيحية الهنود!!

دار الخيّال

مخابرات وجنس .. وديانة «السارايوجا»

سنة ١٩٦٧ أسس الأمريكى الهندى الأصل «شوكى الاما» معتقدات جديدة، ونشرها بين الجالية الهندية المهاجرة للولايات المتحدة الأمريكية .

كان «شوكي»ـ الذى كان يدين بالمسيحية ذلك الوقت ـ قد اكتشف أن السيد المسيح ليس إنسانًا مثل باقى البشر، كما أنه ليس إلها.. ولا هو إنسان وإله فى جسد إنسان.

إنما ـ على حد اكتشاف «شوكي» ـ كان السيد المسيح مجموعة من الذبذبات، أو «ذرات» مختلفة طارت من جسد الخالق الأكبر لهذا العالم، والتصقت هذه الذبذبات بجسد شخص اسمه سمعان، وإن سمعان هو الذى صلبه اليهود، وقبل الصلب. طارت ذبذبات الخالق الأكبر ـ الذى كان يضم فى جسده أكثر من إله ـ وهامت فى الفضاء. وإن الذبذبات حلت بجسد «بوذا» وجسد «زرادشت» الفارسى.. وأن هذه الذبذبات بعد أن مات كل هؤلاء.. ستظل هائمة.. وطائرة فى الفضاء حتى تطمئن لجسد جديد تنزل إليه.

ولما مات «شوكى» بولاية «الباما» الأمريكية عام ٧٢. حملت ابنة أخيه.. واسمها

«سارايوجا» لواء تعاليمه..وبعد فترة ،أخذت مجموعة من هذه التعاليم..وخلطتها بمجموعة من المعتقدات الشرقية القديمة..سارايوجا ـ قديمة ـ زرادشتية على بوذية على فرعونية قديمة..وضمت كل هذا لديانة جديدة أطلقت عليها اسمها «سارايوجا» مختلفة عن السارايوجا الأصلية.

وخلال الثمانينيات .. رجعت «سارايوجا» للهند.. وهناك بنت شبه «كنيسة» وعمدت ٦ من أتباعها .. وطلبت إلى هؤلاء أن يسبقوها للولايات المتحدة وستلحق بهم بعد أن تنتهى من تصفية بعض الأمور المادية.

وعادت «سارايوجا» لأمريكا.. أسست جمعية أطلقت عليها (Caracrist) أو (Saracristianty) أو المسيحية على طريقة «السارايوجا» .. وبدأت تنحرف بعض الشيء عن مسار «شوكى» وفى محاضراتها قالت إن الذبذبات عندما خرجت من جسد «المسيح» و«بوذا» و«زراد شت» لم تستقر فى الفضاء.. لكنها ذهبت واستقرت بأقدم الأماكن على وجه الأرض.. يجوز أن تكون المعابد الفرعونية، ويجوز أن تكون هذه المبانى هى المعابد الصينية القديمة.

وسنة ٨٦ كان أتباع سارايوجا بالولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ١٧ ألف سارايوجى غير مجموعة «سارايوجيين» فى مختلف بلدان العالم.

وعام ٨٩ .. أعطت «سارايوجا» أوامرها لأتباعها أن ينشروا ديانتها فى كل بقاع الأرض، وتحت إشرافها شخصياً.. لأنها سوف تزور كل بلدان العالم لعدة أيام وتعرف كيف تسير الأمور.. هل علم تلاميذها «السارايوجا»؟! وهل شرحوا الدين الجديد كما ينبغى؟! وهل تسير الخطة بالخطوات الثابتة التى تبشر بمولد غالبية عظمى من «السارايوجا» فى العالم كله؟!

وكان أن وصلت لمصر الأسبوع الأخير من عام ١٩٩٧ الفتاة الألمانية أندريا.. وأندريا تبلغ من العمر ٢٧ عاما.. أرسلتها «سارايوجا» لمصر للتمهيد لنشر تعاليم ديانتها وحصلت الفتاة الألمانية على «فيزا» لدخول مصر كدارسة متخصصة فى علم الاجتماع.. وبدأت فور وصولها إعداد قوائم طويلة بأسماء قوى المعارضة السياسية بمختلف الجنسيات داخل مصر.

وبدأت بالسودانيين.. دراسة حالتهم ، وحالة اللاجئين منهم.. وما يلاقونه من

متاعب وصعوبات واستطاعت ـ أندريا ـ في وقت قصير عقد صداقات مع مجموعات كبيرة منهم.

كل «بوابين» مصر الجديدة عرفوها.. وصاحبوها وصادقوها.

لا أحد يعرف إن كانوا قد عرفوا عن «السارايوجا» شيئا.. أم لا، أو ربما قالت «أندريا» بعض الأشياء.. إلا أن أجهزة الأمن سرعان ما علمت بالأمر وسافرت أندريا عائدة لبلادها قبل أن تتم إقامتها فى مصر شهرين.

واتضح أن «أندريا» لم تكن الأولى.. يعنى ليست أول «سارايوجية» تنزل مصر، فقد زار مصر أكثر من «سارايوجى» ضمن مئات الأفواج السياحية لعقد صلواتهم الخاصة فى المعابد والأماكن المصرية القديمة.

ويتناقل عدد لا بأس به من المرشدين السياحيين قصصاً شهيرة لهؤلاء «السارايوجيين» .. أشهرها قصة «درومان» و«بليما» . «درومان» دانماركى الجنسية.. اتفق مع «بليما» الكرواتية على القدوم لمصر عن طريق الخطابات مع أنه لم ير أحد منهم الآخر من قبل. واتفقا على أن يكون اللقاء داخل معبد الكرنك الساعة الخامسة يوم ١٧ سبتمبر.

وتم اللقاء.. فى الموعد والمكان المحددين، ليغادرا مصر بعد حوالى ٣٦ ساعة فقط من وصولهما.. فقد أديا الصلوات الخاصة، وقاسا عدد الذبذبات القديمة داخل جدران المعبد واتفقا على أن يأتيا للإقامة فى مصر، بعد فترة فذبذبات معبد الكرنك مناسبة .

القصة الثانية كانت بطلتها «شاسا» السويدية.

و«شاسا» جاءت لمصر شهر أبريل عام ٩٧ للغرض نفسه. فهى «سارايوجية» ، تحمل معها دائما نموذجا لتمثال مصرى قديم للإلهة «سخمت» إلهة الشر عند الفراعنة القدماء.

وعلى عكس «الدانماركى» و«الكرواتية» «درومان» و«بليما» أقامت «شاسا» بمصر أكثر من خمسة شهور ، خلالها حاولت ضم عدد لا بأس به من عمال المراكب

والمرشدين لديانتها الجديدة إلا أنها رحلت بعد عدة فضائح جنسية.. وقيل إنها كانت حاملة لفيروس الإيدز.

موقع فى شبكة «انترنت» قالت أن «السارايوجا» أصبحت فى التسعينيات أداة لأحد أجهزة المخابرات فى العالم والتى لم تفصح مواقع إنترنت عن اسمها وأن هذا الجهاز قد استغل هذه الديانة وأفرادها حول العالم للوقوف على عدد أعضاء التنظيمات المعارضة فى مختلف البلدان العربية والأوروبية ونشاطهم وتكتلهم .. إضافة لحصر الأعضاء المنشقين عن هذه التنظيمات.

وقد حدث بالفعل بعض ما يدل على أن هذا الكلام كان صحيحاً.

فقد رحّلت السلطات العراقية عام ٩١ ثلاثة أجانب غير مرغوب فيهم ، بعد اختلاطهم بأفراد من منظمة «خلق» الإيرانية المعارضة داخل الأراضى العراقية.

السلطات العراقية قالت إن هؤلاء الأجانب عملوا على نشر ديانة هندية اسمها «سارايوجا» وأن أحدهم رفض الترحيل ، وطلب حق اللجوء السياسى إلى الحكومة العراقية.. التى لم تمنحه هذا الحق.

الأمر نفسه حدث بالأردن وتونس والمغرب ولندن وكلها بلاد شهدت ترحيل «سارايوجيين» دخلوا بطرق غير مشروعة فى بلدان أخرى وطلب كثيرون منهم حق اللجوء السياسى.. لكن طلبهم قوبل بالرفض من جانب الحكومات.

ودخلت «السارايوجا» قوائم بوليس «اسكوتلانديارد» ضمن أسماء الحركات غير المرغوب فيها داخل الأراضى الإنجليزية. وبقدوم عام ٩٥ كانت بريطانيا قد اعتقلت ما يزيد على ٤٧٠٠ «سارايوجى» يحملون جنسيات مختلفة ويحملون أقراطا ذهبية.. فى آذانهم .

«فالسارايوجا» ديانة تميل للعنف واستخدام السلاح انشقت عن الديانة «البراهمية» الهندية وخلطت بينها وبين ديانة «بوذا» لذلك يعتقد «السارايوجيون» أن العالم ليس له إله واحد ، فالكون ليس إلا مجموعة من الذبذبات القديمة لمجموعة من الآلهة.

والسارايوجى الحقيقى هو الذى يكتشف أين تقع تلك الذبذبات .. وفى أى مكان بالضبط.

وقتها يكون وصل لما يريده «السارايوجيين» على كوكب الأرض. وفى المكان الذى يكتشف فيه الذبذبات ، يتأكد أن الآلهة كانت هنا يوماً ما ، عليه أن يجلس منتظراً أن يكتشف المكان آخرون من أقرانه «السارايوجيون» أما إن اكتشفه ما يزيد على ١٣٠٠ «سارايوجى»، فإنهم ينتحرون مرة واحدة.. فى وقت واحد حتى يأخذ آخرون فرصة معرفة مكان تجمع الذبذبات.

وهم بموتهم يخلصون أرواحهم من أجسادهم، فتفنى الأجساد وتبقى الأرواح، لأنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح وانتقالها من جسد لآخر بعد الوفاة.

والذبذبات تكلم عنها العلم الحديث. فمنذ أربع سنوات حصل عالم مصرى على براءة اختراع عدة أجهزة لقياس الذبذبات المتصاعدة من الجسم الإنسانى واستخدم هذه الأجهزة فى علاج بعض الأمراض .

وقتها.. شكلت وزارة البحث العلمى عدة لجان لمناقشة اختراعه الجديد، وأقرت تلك اللجان بجدية الاختراع.. وسجلته باسم الدكتور المصرى فى السجلات، تحت اسم «ذبذبات الجسم البشرى» وإمكانية انتقالها من جسم لآخر.

وقامت الدنيا وقعدت فى القاهرة، على الأقل فى الأوساط العلمية، مع أن الأمر لم يكن عام ٩٤ شيئا جديداً، فقد أثبت بعض علماء جامعة «ماساشوستس» الأمريكية عام ٨٥ إمكانية توجيه الذبذبات البشرية من جسد لآخر ثم إحداث نوع من الالتقاء بين ذبذبات «شخصين» فى مكانين مختلفين من العالم واحد فى أمريكا.. وآخر فى الهند .

والطريقة تشبه طرق تنمية قدرات التخاطب عن بعد.

ولما نجح هؤلاء العلماء عرفوا الذبذبات على أنها نوع من الطاقة الداخلية التى تربط مختلف الخلايا العضوية فى الجسم البشرى. وأن لكل جسم طاقة معينة مختلفة عن أى طاقة لجسم آخر.

أى أن تلك الطاقات تشبه البصمة الصوتية. وبصمات الأصابع ويمكن توجيه تلك الطاقات من جسد لآخر لإحداث تغيرات فى الجسم البشرى. ويمكن عن طريقه تحويل مريض الاكتئاب المزمن لشخص طبيعى جداً عن طريق شخص آخر لا يعانى من الاكتئاب.

أما الطريقة فهى إحداث «وصلة» بين الذبذبات البشرية للأول، والذبذبات البشرية للشخص المريض، وتسليط ذبذبات الشخص العادى وتقويتها لتتغلب على ذبذبات الآخر. ومن ثم تحويله لإنسان عادى.

أما علماء إحدى جامعات «هنشو» اليابانية ، فقد توصلوا أيضًا لسر الذبذبات البشرية وأكدوا عام ٩٣ أن لكل جسم طاقة من نور تحوم حوله .. وأن كل طاقة نورانية لشخص تختلف عن طاقة شخص آخر.

وصنفوا الطاقات لنوعين:

«طاقة سالبة» أو طاقة شريرة، وأخرى موجبة .. يعنى جيدة وأكدوا أن الطاقات كلها سواء شريرة أو خيرة، موزعة على كل أعضاء الجسم البشرى .. وأنه لو تم تجميع كل الطاقات فى مكان واحد.. بطريقة ما، فإن الطاقة الخيرة لابد أن تتغلب على الطاقة الشريرة وتهزمها .

لذلك حاول هؤلاء العلماء قياس ذبذبات كل الأشخاص الذين يقعون فى محيطهم.. مثل جيرانهم ، أصدقائهم، أقربائهم، ولو ثبت بقياسهم أن ذبذبات شخص ما «شريرة» .. «أو سالبة» ابتعدوا ، لأن الذبذبات السالبة قد تفسد أرواحهم النظيفة وتلوثها. أو تحدث «خلخلة» فى ذبذبات الأجسام ، والنتيجة.. «خلخلة» كاملة فى طاقة الجسم البشرى .

المثير.. أن علماء «هنشو» أجروا تجاربهم على الآلاف من الرجال العاجزين جنسياً واكتشفوا أن ٩٦٪ من هؤلاء الرجال تعرضوا لطاقات وذبذبات أخرى سيئة وأنهم لو تعرضوا لذبذبات أخرى «خيرة» قد تحل مشكلة عجزهم الجنسى .

ووصف علماء إحدى الجامعات السوفيتية الجسم البشرى على أنه مجموعة من

«الكابلات» الكهربائية تنتج مجالاً مغناطيسياً حولها. وقيل إنه يمكن تجميع ذلك المجال المغناطيسى مرة أخرى، حتى بعد موت الجسم البشرى. ومن أى بعد.

لذلك اجتهد العلماء السوفييت فى تطبيق النظرية نفسها على الصوت، وبدأوا محاولات عام ٨١ لإعادة سماع أصوات الأنبياء .

يعنى.. تجميع الأصوات القديمة من الفضاء.. وتسجيلها على جهاز «كاسيت» ، ثم سماعها مرة أخرى.

النظرية نفسها استخدمها المهندس المصرى د. إبراهيم كريم.. ابن العلامة المصرى سيد كريم ، الذى استطاع باستخدام الأشكال الهندسية ، علاج ما فشل فى علاجه الطب. اعتمادا على نظرية قريبة الشبه بنظرية «الذبذبات». فالجسم عند د. كريّم مجموعة من الموجات ذات التردد... التى إن اتصلت بموجات جسم آخر ، حدث نوع من «الرنين» أو الاتصال بين الاثنين.. على سبيل المثال تنتقل الأوجاع من الأول للثانى ، أو العكس.. وبذلك يمكن التحكم فيما يعانيه أحد الجسمين من الآلام.

د. إبراهيم اكتشف علاقة كهربية بين الإنسان والشكل الهندسى، فهناك مبنى يريح شخصا ، ولا يريح آخر.. والعكس صحيح.

لذلك بدأ د. إبراهيم فى البحث عن أنسب الأوضاع الهندسية التى تشمل زوايا ونسباً مختلفة تؤثر على جسم الإنسان «بالإيجاب».

والإيجاب معناه ارتفاع الطاقة الروحية داخل النفس البشرية.. مما يضفى راحة نفسية كبيرة.

فى الماضى كنا نسمع عن نسب متعددة للجمال البشرى وكانت هناك «نسبة ذهبية» وهى تلك النسبة التى تكون عندها الملامح «متناسقة» و«مريحة» للآخرين.

نفس الكلام.. ونفس النظرية.

لقد توصل د. ابراهيم للغة الزوايا والأشكال الهندسية وانعكاسها على الأشخاص .. ثم تأثيرها على الطاقة النفسية للبشر وأصبحت لديه لغة تجمع العلاقة ما بين الشكل الهندسى .. وطاقة الفرح داخل الإنسان.

وما دامت لدينا أشكال هندسية نستطيع أن نتعامل بها مع الطاقة داخل أجسامنا .. أصبح لدينا علم نستطيع تطبيقه على مجالات عديدة، منها التأثير على الوظائف الحيوية فى الجسم.. باستخدام هذه الأشكال.

لكن كيف يمكن قياس طاقة الشكل الهندسى؟

د. كريم رأى أنه مادام هناك شكل هندسى يحدث تأثيرا، فالمشكلة ليست التأكد من هذا التأثير.. إنما قياس درجاته المختلفة. أما عن كيفية قياس نشاط الشكل الهندسى قبل تجربته على الإنسان فقد لجأ د. إبراهيم إلى علم «الراديسينزيا».. وهو علم شبيه بعلم الوتريات فى الموسيقى.

نفرض أن عندك آلة معينة، تعزف عليها نغمة معينة.. فإن لكل نغمة رنينا معينا.. ومن ثم يصبح سهلاً إطلاق اسم على كل نغمة .. واسم على كل وتر.. ويصبح الوتر هنا هو أداة القياس. مقياس للنغمة.

لأن كل وتر يطلق نغمة مختلفة.. وقد اعتمد د. إبراهيم على نظرية شبيهة لقياس الأشكال الهندسية فأخذ الوتر الموسيقى، ووضع أسفله ثقلاً.. وأصبح لديه آلة قياس اسمها «البندول» استطاع ـ كما يقول ـ قياس أى تغيرات على جسم الإنسان من ذبذبات ثم نوع العلاقة بين الذبذبات والأشكال الهندسية.

فبالبندول.. يدخل الجسم فى تأثير ذبذبى مع مجال الشكل الهندسى والبندول يهتز مع نوع التأثير.

سواء ارتفعت الطاقة الداخلية للإنسان. أو سواء انخفضت .

❑

«وللسارايوجا» كتاب مقدس مكتوب باللغتين الألمانية والإيطالية.. وأصله مكتوب باللغة الهندية. و«السارايوجيون» يضعون صورة «سارايوجا» أمامهم وهم يصلون.. وكتابهم المقدس ملىء بصور عديدة لأوضاع مختلفة للجسم الإنسانى، كل جسم يدل على رغبة معينة.. و«السارايوجى» يفكر بشدة فى رغبته قبل أن يصلى، ويجلس فى وضع الرغبة.. فتتحقق .

أما الخالق.. خالق الخلق فهو الخير .. بينما الشيطان هو إله الشر.

وهم غير مقتنعين بأية تغييرات أخرى ولا هم مؤمنون بأى دين آخر. وكل ما تقوله «سارايوجا» أو تبعث به لتلاميذها من الهند .. مقدس.

«وللسارايوجيين» اثنان من الأنبياء.. بوذا وزرادشت اللذان تقمصتهما روح السيد المسيح.

أما «بوذا» فقد أخذوا أفكاره .. ثم خرجوا عنها بعض الشىء ، أو حرفوها! ولم يعملوا على كل ما جاء بها.. إنما صنعوا بوذيتهم الخاصة.

وبوذا ولد ومات قبل أن تظهر السارايوجا بثلاثة قرون.

وقد كان شخصاً عادياً إلى أن أيقن ذات ليلة فى جلسة رطبة أنه أصبح «بوذا».. أو الإنسان المستنير الذى عرف الحق وتساقطت عند قدميه هموم الدنيا كلها.. وانكشفت أمامه الحقائق. واهتدى إلى الطريق لحلها ..كل هذا فى ليلة واحدة .

أما الحل.. فكان الأخلاق والإيمان بأنه لا حياة دون نظرة صحيحة لجوهر الأشياء.. فكرة صحيحة وفهم صحيح ثم عمل صحيح وأخيراً كلمة صحيحة وعليه تأكد من ثلاثة أشياء:

أولها.. أن الحياة تعيسة، وأن مصدر تعاستها هو أنانية الإنسان ورغباته وشهواته.. بينما لن يستطيع أن يتخلص الإنسان من كل هذا إلا بالزهد والتقشف .. حرب الحياة وحرب الرذيلة والرفض ليعلو ويرتفع ويقترب من الكمال.. أو التجرد الذى هو أصل العالم.

فبالزهد يصعد الإنسان سلم الخلود.. والخلود آخر مرحلة بعد انعدام شهوات الإنسان ورغباته حيث كل شىء عدم.

والسمو.. هو الارتفاع لمرحلة رفض المادى من كل الأشياء.

لذلك زهد بوذا فى حياته وترقب «العالم الجديد» و«الإيمان الجديد» فما إن بلغ ابنه الأول شهره السابع، حتى هجر الأمير «سيدهارتا» (اسمه الأصلى) بلدته متفرغا للتأمل والبحث عن حقيقة الأشياء وتحول من ابن لحاكم إحدى مدن شمال الهند إلى هائم متجول.

واستقر للدراسة على يد أحد رجال الدين بالتبت، واكتشف على أثرها أن الحلول التى يتقدم بها هؤلاء الرجال لحل مشاكل الدنيا ليست كافية.. وأن مزيداً من الزهد مطلوب للوصول لحل أسرع وأفضل.

فزهد .. وامتنع عن الأكل والشرب.. لكنه سرعان ما اكتشف أن ما يفعله لن يفيد بقدر ما «يجوع» أما ما يفيد فعلا، فهو دعوة الناس لاكتشاف أخطائهم وردهم إقناعاً وترغيباً إلى الصواب.

فمشى مبشرا بين الناس من جديد، ولم تكد تمر سنوات حتى انتشر مذهبه دون أن يراه أحد. حتى تابعوه، لم يعودوا يرونه.. لقد ذهب دون عودة..

قيل إنه رفع للسماء وقيل أيضا إنه بمكان ما على الأرض ينتظر ساعة الخروج.. ومع أنه اختفى إلا أن كلماته مازالت على أعلى معبده بهضبة التبت تقول: «الحياة تعيسة.. شهوة الإنسان مصدر التعاسة، فأهمل كل شيء حتى ترتقى «للنيرفانا» .

وبعد اختفائه انتشرت البوذية باتساع فى كل أرجاء القارة الآسيوية، وشبه جزيرة الهند. وفى القرن الثالث قبل الميلاد تحول الإمبراطور الهندى اشوكا من «البنچيا» إلى البوذية الأمر الذى أدى لانتشارها فى دول سيلان وبورما والملايو وأندونسيا وأفغانستان ثم الصين وكوريا واليابان.

وبعد فترة، بدأت البوذية فى الانحسار فى سنة ٥٠٠ ميلادية واختفت بصورة شبه كاملة سنة ١٢٠٠ فى مختلف الدول الأوروبية والآسيوية.

وعام ١٩١٨ أعلن مجموعة من الهنود.. تبديل ديانة «بوذا» بديانة «السارايوجا» وقالوا إن بوذا عندما دعا للبوذية إنما أراد إعداد الناس لديانة العصر الحديث.. ديانة «السارايوجا»

ومنذ عام ٩٥ أصبحت الديانة البوذية موضة العصر. وراح نجوم هوليوود يبحثون عن آثار بوذا مع «السارايوجيين».. وتحولت الموضة الدينية إلى لعبة سياسية تستغلها جهات أخرى فى أوروبا والولايات المتحدة.. وتجعل منها أدوات للضغط على الصين خصوصا أن النجوم الذين عرفوا الموضة تحولوا إلى زعماء لحقوق الإنسان..

ويطالبون بالحرية لـلتبت واستقلالها عن الصين ومن ثم اسـتقلال مقر «الدلاى لام زعيم البوذية الروحى على نفس الهضبة.

فلم يكن يعرف البوذية حتى خمسينيات هذا القرن سوى القليلين إلا أنها صار منذ فـترة موضة حتـى أن السياسيـين فى أوروبا خرجـوا يؤكدون دعمهـم «للدلا لاما».. ونجد هولـيوود تصور أفلاماً ضخمـة عن «شانجرى ـ لا» أو المدينة الـفاضا فى البوذية.

ومن يزر مـدينة «دهرامزاى» الـهندية يمكـنه أن يصادف النـجم العالمى «ريـتشار جيـر» جالسا عـلى أحد المـقاهى المتـواضعة.. أو يرى سـياسيـين أوروبيين فى شـتى الاتجاهات ، لأن تلك المدينة هى مقر حكومة التبت فى المنفى بزعامة «الدلاى لاما».

لقد بـلغ الهوس بـالبوذية درجة كـبيرة، حتى أن مـن يزر منزل «شـارون ستون سيجـدها زينت بـيتها فـى لوس أنجلوس بتـماثيل لـبوذا وببعـض تماثيل المـعبودات الأخرى فى الشرق الأقصى.

وبين نيويورك وسان فرانسيسكو ينشأ بين الحين والحين مركز تلو الآخر للبوذية.. وتلك المراكز يذهب إليـها ممثلون ورجال أعمال وسياسيون ليشعـروا فيها بما يقولو إنه الهدوء النفسى.

و«مادونا» أشهـر من يتردد على مـثل تلك المراكز. وقيـل إنها تكلمـت مع بعض الرهبان البوذيين فى رغبتها بأن تصبح راهبة بوذية لكنهم رفضوا وقالوا إنها عاصية.

أما ممـلكة «التـبت» فأصبـحت القـاسم المشتـرك بين نجوم الـترفيه وحـماة البيـئة وأصبحت هيئات متعددة الاهتمام مثل منظمة العفو الدولية واتحاد النقابات العمالية، تحاول الحـصول علـى دعم سيـاسى من أجـل نضـال الحرية لـصالح «الـدلاى لاما» الزعيم الروحى للبوذية الحديثة.

وعندما زار الرئيس الصينى «يانج زيمن» الـبيت الأبيض فى واشنطن أقام الرئيس الأمريكى مأدبة عشاء رسمية تكريماً للرئيس الصينى، رد عليها الممثل «ريتشارد جير» «المعتنـق للبوذية» بمأدبـة عشاء أخرى تندد بالمحـتل الصينى يـقصد الرئيس الـصينى الذى يعترض على انفصال إقليم التبت عن الصين.

لقد فاق الانبهار بالبوذية كل الحدود ليس عند الأمريكان فقط لكن فى أوروبا أيضا، ففى ألمانيا بدأ اعتناق البوذية ينتشر بقوة بين رجال الاقتصاد وأساتذة الجامعات ، وعلى مستوى نجوم السينما.. تقول مارى لويز ماريان الممثلة المعروفة: «لقد اعتنقت البوذية لأن كل شىء فيها مسالم جداً».

والنجمة «انجا كروز» تقول: «أخيراً وجدت الإجابات التى لم أجدها لدى كنيستى الإنجيلية».

أما «سيجمار زولياخ» فيقول: «لم تشن حرب أبداً باسم البوذية».

وانتشرت الأفلام والروايات التى تتضمن أحاديث عن رموز بوذية فى أغلب المقاطعات الألمانية حتى أنه يقدر عدد معتنقى البوذية من الشعب الألمانى ما بين ٣٠٠ ألف إلى نصف مليون شخص ويبدو ذلك واضحاً من خلال جماعات وجلسات التأمل الروحانى. إضافة إلى ١٢٠ ألف بوذى من دول آسيا يعيشون فى ألمانيا يمارسون شعائرهم فى مراكزهم الخاصة.

وبدأت الكتب البوذية تملأ أرفف المكتبات .. كتاب مثل «خمسة أشخاص من التبت» ظل على قائمة الكتب المطلوبة فى ألمانيا لمدة ٣٠٠ أسبوع على مدار عام ٩٦ ـ ٩٧ وأصبح زى التبت موضة بيوت الأزياء العالمية، وظهرت عطور تحمل أسماء بوذية.. وفى الشهور الأخيرة من عام ١٩٩٧ شاهد ما يزيد على ٢ مليون مشاهد فيلم «سبع سنوات فى التبت» للنجم الشهير «براد بيت» وتلى ذلك فيلم «كوندن» للمخرج المشهور مارتين «سكورسيزى» .. وهو فيلم يصور الحياة فى التبت من خلال استعراض قصة حياة «الدلاى ـ لاما» وقد تم تصوير الفيلم فى المغرب بسبب رفض السلطات الصينية تصويره على أراضيها.

والسؤال.. ما السر الذى يختفى خلف شغف الغرب بتلك البلاد البعيدة ، ودينها .. وملكها المقدس «الدلاى ـ لاما».

هذا السؤال طرحته مجلة «دير شبيجل» الألمانية على «الدلاى ـ لاما» نفسه بعد أن انتهى من ممارسة طقوسه اليومية.. هذه الطقوس التى تبدأ باستيقاظه مبكراً ثم جلوسه أربع ساعات للتأمل ، بعدها يتناول طعامه من الشعير المهروس ، ثم يجلس

ليشاهد نشرة أخبار محطة «بى . بى. سى»، ويمارس الرياضة على دراجته الأمريكية ثم يرتب هندامه ويطرد الحشرات من عليه دون أن يقتلها، فالبوذيون لا يقتلون أى شىء.. حتى لو كانت حشرة.

كذلك يفعل السارايوجيون.

قال «الدلاى ـ لاما» إن الانبهار الشديد بالبوذية ناتج عن سوء فهم ، فالغرب يبحث عن كل جديد ومثير.. ورأى أن البوذية مثيرة، مع أنها ليست هكذا».

ويسافر «الدلاى ـ لاما» كثيرا إلى الخارج.. أى خارج التبت ويلتقى بمندوبين عن الاتحاد الأوروبى والرئيس الأمريكى.. وفى رحلاته يحصل على كثير من الأوسمة ويفتتح مراكز جديدة للبوذية.. ويدون كلمات الإهداء على كتب الروحانيات مادامت دار النشر ستساهم بأعمال خيرية فى التبت .

و«الدلاى ـ لاما» لا ينكر أن شعبيته قد ازدادت من خلال هوليوود، ولا هو ولا من سبقوه من «الدلايات» شاهدوا أى أفلام تصور حياة «الدلاى ـ لاما».

و«الدلاى» الحالى تم تتويجه دينيا وهو طفل عام ١٩٤٠ فى القلعة الضخمة ذات الألف حجرة، وفى عام ١٩٥٠ تم تتويجه قائدا عاماً لشعب التبت وبدأ صراعه المبكر ضد الصين لنيل استقلال بلاده، وفى عام ١٩٥٩ انفجرت ثورة شعبية أدت لهروبه للهند، ومعه ٨٠ ألفا من شعبه ونفذ الجيش الصينى مذبحة لقى فيها ٨٧ ألف شخص مصرعهم.

ومنذ ذلك الوقت والدلاى «يعيش» فى المنفى.

وهو متفائل بعودته لوطنه مرة أخرى.. وهو قد حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٩ وقال إن قدوته ثلاثة: غاندى .. والمستشار الألمانى ويلى برانت.. والرئيس التشيكى «فاسلاف هافيل».

أما عام ١٩٩٥، فقد بدأ «الدلاى» فى البحث عن الطفل الذى سيخلفه ، وبالفعل اختار طفلا عمره ٦ سنوات ، إلا أن السلطات الصينية قامت باختطاف الطفل وحبسه.

وقد نشأت بعض الطوائف المتأثرة بالبوذية، لكنها تتميز بالعنف.. مثل طائفة «السوكاجاكى» و«السارايوجا» التى تحدثنا عنها من قبل.. وتضم طائفة «السارايوجا» من بين أعضائها أيضاً لاعب الكرة «روبرتو باجيو» ونجمة البوب الأمريكية السمراء «تيناتيرنر» ويبلغ عدد أعضاء «السارايوجا» فى اليابان ٦٠٠ ألف مواطن، وفى الهند بلغوا أكثر من ٣ ملايين يملكون ثروة قدرت بـ١٠٠ مليار جنيه استرلينى.

خبير الطوائف الدينية الألمانى قال معلقاً على «السارايوجا» إنها تقدم للباحثين عن الرومانسية وللمحللين العقلانيين وطناً وديناً. فهم يبحثون عمن يعيد لهم عشق عالم بارد بلا قلب .

وكل شيخة هندية أو زعيمة لتلك الديانة يسمونها «سارايوجا» ولا نعرف متى ولدت أول «سارايوجا».. ولا متى ماتت؟ ولا أين؟

أما الأكيد، فإن أول «سارايوجا» كان اسمها «مانا سارايوجا» و«مانا سارايوجا» لم تتكلم عن الله أو الملائكة إنما قالت بأن للكون مجموعة «أوتار» أو مجموعة خيوط تتجمع كلها فى يد واحدة آخر الأمر وأن هذه اليد لها ذبذبة جبارة.. أى أن لها قوة كبيرة تنفر منها باقى الأجسام .

والسماء والأرض والإنسان والنبات والحيوان ، ليست إلا مجموعة من الذبذبات المترابطة، من هذه تتكون النباتات ومن تلك تتكون الأرض ومن هذه السماء.. وهكذا.

أما الذبذبة الكبرى ، فلا يعرفها أحد.. هى فقط التى تعرف الناس، فتعرف الإنسان الصادق وتعرف الكاذب.. وتعلم أيهما أحق بأن يكافأ أفضل المكافآت.

ونادت «مانا سارايوجا» بتغيير حياة الأشخاص، أو تبديل طريقة حياتهم للأفضل. ثم تشكيل نظام وسلوك اجتماعى ممتاز جديد. هذا السلوك يقوم فيما بين «السارايوجيين» على «الرحمة» و«الرقة» والحب .. حب الناس والأدب ونظافة اليد واللسان.

يعنى احترام الكبير واجب.. لأن ذبذباته أعلى وأنقى من الصغير، لذلك فإن

احترام الصغير للكبير واجب مقدس، فالأسرة «كيان مقدس» .. لابد من الحفاظ عليها حتى يصل كل سارايوجى لمعرفة مكان ذبذبات الآلهة.. ثم ينتحرون وتنتحر معهم الأسرة .

وطاعة الزوجة لزوجها فى الانتحار واجبة.. وفى الحياة أيضا.. فالزوجة مقدسة بالنسبة لأولادها .. وزوجها مقدس بالنسبة لها. وعليهم كلهم أن يسعوا لمعرفة مكان الذبذبات التى غالبا ما تنتشر فى الأماكن القديمة غير المأهولة بالسكان.

والحاكم الصالح للأرض، هو الحاكم القدوة الحسنة لشعبه. أما إن لم يكن، فهو يعطل شعبه عن الهدف الأساسى الأول ، الذى خلقوا من أجله: معرفة أماكن ذبذبات وتجمع الآلهة قبل بدء الخلق.

والآلهة عندهم كثيرة، تظهر أحياناً «للسارايوجيين» قبل الانتحار وإن لم يكن الحاكمقدوة فيحق «للسارايوجيين» قتله. والقصاص منه لألوف المعذبين الذين أضاع عليهم فرصة الانتحار وجعلهم مشغولين بالبحث عن الأكل والطعام.

و«السارايوجى» الذى لا يحب لأخيه ما يحبه لنفسه..كافر، والكافر مارق .. والمارق أحمق يجب قتله، لو تعارضت مصالحه مع مصالح «السارايوجا» أما إن لم يكن ، فالأفضل البعد عنه واجتنابه لذلك يفضل «السارايوجيون» الانزواء وعدم التعامل مع المجتمعات.

و«سارايوجا» تعتقد.. أن العصر الذهبى للإنسان مضى. هذا العصر الذى اتصل فيه الإنسان بالآلهة وكلمها وجهاً لوجه، إلا أن هذه الآلهة بعدما غضبت على الإنسان لعصيانه تبدلت عصور النور ظلمة.. واسودت الدنيا، وهاجت المحيطات وكان على الإنسان حتى آخر أيامه أن يكفر عن خطاياه.. بالزهد والتقشف .. وكره الماء.

«فالسارايوجى» لا يستحم .. ولا يغتسل.. ولا يقرب الرجل زوجته لو استحمت أو وقعت فى الماء بدون قصد.

يقال إن «سارايوجا» الأولى ولدت عام ١٩٠٢ .. ويقال قبل ذلك بمائة عام

والأكيد أن أباها كان فقيراً هندياً.. وأمها كانت عمياء، وبعد بلوغها العام السادس عشر تفرغت للبحث عن حقائق الحياة.

وتأكدت من ضرورة أن يكون للحياة معنى آخر.. وهدف آخر، وخالق آخر غير خالق الديانة «الهندوسية» والديانة «البراهمية» وغير كل عقائد ٢٧٠ ديانة فى الهند.

وعندما تزوجت، هربت من زوجها وهى حامل منه فى الشهر الثانى، وذهبت لإحدى الغابات حيث ولدت بنتاً وقطعت ثدييها وقطعت ثديى ابنتها.

واعتقدت أن الغريزة الجنسية تكمن فى الثدى. إلا أنها عادت ومارست الجنس مع طفل تائه فى الغابة، انتظرته حتى أصبح رجلاً.. شاباً قوياً، وولدت منه ٧ أبناء لم ترضع واحدا فيهم.. وهؤلاء نشأوا فى الغابات يبحثون أيضا عن حقيقة العالم الذى لابد أن له حقيقة أخرى.. ومفهوماً آخر.

فالإنسان يخشى الحيوان والحيوان يخشى الإنسان.. الكل يخاف الكل، والكل يهاجم الكل مع أن الكل من أصل واحد.. ويعيش على أرض واحدة.

فى الثلاثينيات من عمرها.. ذاع صيتها، وكثر مريدوها.

وانطلق عشرات الهنود يبحثون عنها فى الغابات إلا أنها كانت تواعدهم وتخلف وعودها.. وعندما يصلون لمكان الميعاد يجدون وصية تركتها لهم مع حيوان معين.

ويقول «السارايوجيون» إن «سارايوجا» الأولى قابلت بوذا فى الغابات.. ووعدها بأن تظل دائماً فى ظله ووعدته بأن تخلص له مع بعض التعديلات.

وقيل إنها تعيش حتى الآن مع «بوذا» فوق إحدى قمم الجبال الصينية. وقيل إنها تركت أبناءها الثمانية لخدمته ورحلت ويزورها أبناؤها فى ميعاد ومكان تحدده كل عام.

أما كهنتها حتى اليوم فما زالوا بمناطق متفرقة بالهند والصين يحثون الناس على معرفة مكان الذبذبات الإلهية فى أى مكان توجد فيه.

وقد أفلح من عرف.. وعلم .. وانتحر بعد ما تأكد أن الحياة رذيلة كبرى .

لذلك فالانتحار فضيلة كبرى والميت عندهم لا يحرقونه ولا يدفنونه إنما يتركونه

على الهضاب لتنهشه الجوارح والصقور. وبهذا تتشتت الروح مع كل قطعة يلتقطها طائر ما بين منقاره.

ومع أن للحياة خالقا واحدا جبارا، إلا أن هذا الخالق تشاركه مجموعة آلهة صغرى لا تكف عن حياكة الدسائس له. ولعباده.. فتمنعهم عن الدين.. وتحثهم على حب الحياة فيرفضون الانتحار، وبرفضهم هذا يتوقف الباحثون عن معرفة مكان الذبذبات، ومن ثم انتحارهم هم الآخرين.

وللسارايوجا تعاملات غريبة.. ومعتقدات أغرب. فالسلاح الذى يقتل به «سارايوجى» لابد أن يُعدم.

وإذا حدث وقتل «سارايوجى» برُمح فإن هذا الرمح يجب أن يكسر ويحرق لتهدأ روح القتيل.

فهم يعتقدون فى أنهم إذا أهملوا هذا، فإن هذا الرمح سيقتل ويقتل... سيستمر فى القتل ويضيع أبرياء كثيرون بسببه.. قبائل شرق أفريقيا تفعل الشىء نفسه.. وقد تحدث كاتب إنجليزى اسمه «كات دور» عاشر بنفسه بعض القبائل الأفريقية وقال: إن الأهالى هناك ينظرون للسلاح الذى قتل شخصا منهم نظرة خوف وفزع. لأنه إذا كان قد تسبب فى جريمة قتل مرة، فإنه يصبح بعد ذلك مصراً على القتل دائما.. مادام أنه لم يتلق عقابا. لذلك فإن قبيلة «اكيوكويو» و«أثيراكا» تأخذان فى ضرب الرمح حتى ينثنى، وبعد ذلك يدفنونه. ويضعون شاهداً على قبره يقول: هنا دفن الرمح الذى قتل فلانا.. الآن فقط فلان القتيل ترتاح روحه.. وتصعد للعالم الآخر.

و«السارايوجيون» يتعاملون مع الحيوان على أنه إنسان يعنى لا فرق عندهم بين إنسان وحيوان فهذا روح وهذا ـ أيضاً ـ روح. بل إن الحيوان أكثر صراحة.

فالحيوانات لم تتعلم الكذب والخيانة والضحك على الذقون بعد. لذلك فهذه الحيوانات هى دليلهم الذى لا يخطىء إلى فهم الإنسان مرة أخرى.

فإذا كان القرد ليس له مستقبل فى أن يكون إنساناً، فإن الإنسان أيضا لا يملك أن يكون قرداً.. لا فى صفاء القرد، ولا فى صراحته ، فالقرد يركب ظهر أنثاه أمام كل الناس والأنثى تستمتع بزوجها أمام أطفالها وأطفال جيرانها.. وأمام جيرانها وأمام

كل الناس فى جبلاية القرود. حياتها كلها كذلك، ليس لديها ما تخفيه ولا ما تخاف أن يطلع عليه آخرون.

«السارايوجى» متأكد أن للإنسان ماضيا وأن الإنسان زمان كان كالحيوان، وهذا الماضى لاتزال حروفه الغامضة يمكن قراءتها فى حديقة الحيوان. فإذا لم تكن هذه الحيوانات جدودنا ، فهم ـ على الأقل ـ قريبون من جدودنا.

وإذا كان الإنسان قد اكتسب عادات جديدة من مئات الألوف من السنين، فإن العادات القديمة التى عاش بها من ملايين السنين لاتزال حتى الآن محفوظة فى أقفاص الحيوانات.

العالم «ديزموند موريس» له كتاب عنوانه «القرد العريان» من أروع الكتب التى صدرت أخيراً فى العالم بلغات متعددة.

وإذا كان الكتاب لم يلق التأييد الكامل من علماء الحياة والأحياء والدراسات الإنسانية وعلوم الحيوان، فهذا لأنهم ـ عادة ـ لا يتفقون على رأى واحد. فالكتاب به نظرات جريئة وجديدة. وديزموند يقول فى كتابه إن هناك ١٩٣ نوعاً من القرود ، بينما نوع واحد فقط ليس جسمه مغطى بالشعر. هذا القرد العريان له صفات غريبة أخرى، من بينها مثلا أنه يقضى نصف عمره بحثاً عن معنى سلوكه وتصرفاته.. لماذا فعل هذا؟ ولماذا لم يفعل هذا؟ ثم يقضى النصف الثانى من عمره، يحاول أن ينسى ما توصل إليه من معان ونظريات.

هذا القرد العريان يعتبر نفسه عاقلا.

وهو أكثر الحيوانات شراهة جنسية، فالحيوانات الأخرى معتدلة من هذه الناحية وكلها تخجل من الجنس.. فالذكر لا يواجه أنثاه وهو يعانقها إلا أن هذا القرد لا يخجل.. فهو يعتقد أن الجنس أساس الحياة، أو لو لم يكن هناك جنس لما كانت هناك حياة.. ولو لم تعد هناك حياة.. لانتهى الجنس أو انقرض.

أى أن هذا القرد إنسانى النزعة، قردى الشكل.

وأديبة فرنسا الجميلة «كوليت» هى التى قالت إنها لولم تكن إنسانا لتمنت أن تكون حيوانة . ولما سئلت: أى الحيوانات تختارين؟! قالت: قطة تلعب مع كلب فى

قفص قرود على جبل النمور.. وسئلت مرة أخرى: لماذا؟ فقالت: «كوليت» كى أعيش بغريزتى.. بلا خوف بلا حدود ولا سدود ولا تدخل من أحد من رجال القانون أو الدين أو أولاد الكلب بتوع الضرائب .

أرادت كوليت أن تتعرى من حضارة الإنسان.

فلم تكن كوليت ترى أن الإنسان أسعد من الحيوان، فالطائرات ليست أخف من الطيور ولا الرجال أشجع من الأسود والنمور والفهود. قالت إنها لا تصدق أن الإنسان هو أجمل وأذكى وأقوى المخلوقات على الأرض.. فهى كلما عرفت الحيوان ازدادت احتراماً له. واحتقرت الإنسان.

لهذا ـ أيضا ـ تعامل ديانة «السارايوجا» الحيوان بندية فهو عاقل ومسئول تماما مثل الإنسان فإذا كان الحيوان يعيش فى غابة أو مكان غير مأهول ثم حدث أنه قتل شخصاً.. فإن هذا الحيوان يعاقب بالقتل.. ويمتد الأخذ بالثأر إلى حيوان آخر من نفس النوع له .

فالجاموسة التى قتلت رجلا يحكم عليها بالإعدام.

فالحيوان ليس مختلفا عن الإنسان إلا فى منظره الخارجى.. وإذا كان الحيوان لا يستطيع الكلام ، فلأن فمه غير فم الإنسان، وإذا كان يجرى على أربع فلأن يديه تختلفان عن يدى الإنسان .

فإذا قتل التمساح شخصاً فإن أسرة القتيل تقتل فى مقابله تمساحاً ، أى أنها إما تقتل التمساح القاتل أو أحد أفراد أسرته فإذا كان عدد التماسيح المقتولة أكبر من عدد الرجال فإن التماسيح يصبح لها الحق فى القصاص ويصبح «السارايوجيون» على يقين من أنهم سيفعلون ذلك فيقتلون أى «سارايوجى».

وإذا لم يتسلم الكلب نصيبه من الغنيمة فى الصيد الذى اشترك فيه، فإنه له الحق فى أن يرفض الاشتراك فى صيد غنيمة أخرى للظلم الذى وقع عليه.

ويبدو أن عادة «السارايوجا» انتقلت للقبائل الأسترالية البدائية، أو أن «السارايوجا» اكتسبوا تعاليمهم مما كان يفعله هؤلاء الأستراليون القدماء فقد كانوا

ينظرون لحقوق الحيوان نظرة أكثر وعياً مما يفعله الإنسان الأوروبى وتوصل الاستراليون القدماء إلى أن التندر بالحيوان إثم وحقارة، وكانت معظم القبائل القديمة تشن حملة شعواء على إنسان يلبس رأس قرد مصنوعة أو يهم بلبس قناع يشبه إلى حد ما رأس السيد قشطة .

أما «البوجويون» وهم قبيلة تسكن ضواحى شمال أثيوبيا، فهم أيضا يحكمون على الثور أو البقرة التى تقتل شخصاً منهم بالإعدام بقطع الرأس.

وقد رأى النمسوى «توورداى» عند مدخل قرية «بايكا» التى تقع فى وادى الكونغو مشنقة بسيطة وصغيرة علق عليها كلب ميت، علم أهالى القرية أن هذا الكلب كان يسرق البيوت ليلاً، وأنه قتل ابن أحد المزارعين بعدما سرقه.

لهذا علقوا جسده ليكون شاهداً للناس على خيانته.

وإذا قتل حيوان شخصاً عند عرب مدينة البتراء الأردنية القديمة فكان يتحتم على صاحب الحيوان أن يطرده ،ولا يمكن أن يسترد ملكيته لهذا الحيوان بعد ذلك إلا إذا دفع دية الدم لأهل القتيل.

وقد نص كتاب «زرادشت» الذى يتضمن قانون الفرس القدماء «المجوس» على أن الكلب المسعور الذى يعض دون أن ينبح، فيؤذى خروفا أو يجرح رجلا، فإنه يحاسب على عمله هذا بوصفه عملا متعمداً فإذا آذى رجلا .. بترت أذنه اليسرى وإذا آذى رجلاً آخر قطعوا أذنه اليمنى.

فإذا فعلها مرة ثالثة ورابعة قطعت قدمه اليسرى ثم اليمنى فإذا استمر .. قطع ذيله ثم ربطوه فى عامود فى جانبى طوق، يحيط برقبته، لأنهم إذا لم يفعلوا هذا تسبب هذا الكلب فى جرح الآخرين بقصد أو دون قصد.

وقد كانت أثينا تحاكم الحيوانات والأشياء التى تتسبب فى قتل الكائن الحى محاكمات علنية . فإن القضاة يبعدون الشىء، الذى سقط على رأس أى مواطن فقتله إلى خارج الحدود.. وكان قانون جزيرة «ناسوس» يقضى أن يحاكم أى شىء مادى وقع على شخص ما وتسبب فى قتله، فإذا ثبتت التهمة ضد هذا الشىء، فإنهم يرمونه فى البحر.. ويحكى أن تمثالا برونزيا ضخما كان يقف وسط الجزيرة تقديرا

لصاحبه الملاكم «ثياجينيس» - «وثياجينيس» كان من أشهر الملاكمين فى عصره، وفى حياته حصل على جوائز عديدة لبطولته فى حلبة الملاكمة ومـن ثم تعلق به الناس.. واعتبروه ألمع معالم جزيرتهم.. المهم، كان يـجىء كل ليلة رجل حقير.. سكير ويظل يضرب ببلطـته قدمى التمثال ويشتمـه ، فلم يكن هذا الرجل يحب «ثيـاجينيس» فى حياته، ولا أعجبه تكريمهم له بعد وفاته.

لذلك استمر على ما يفعل قرابة العامين.. حتى ضعفت رجلا التمثال وتضعضعتا وسقط التمثال على هذا الشخص.. فقتلـه.. عندها رفع أهل السكير قضية ضد تمثال «ثياجينيس» متهمينه بارتكاب جريمة قتل.

وعقدت المحاكمة للتمثال حسب قانون الجزيرة.

وترافع عنه ستة محامين إلا أنه أدين وحكم عليه بأن يقذف فى الـبحر، وبالفعل شكلت المحـكمة لجنة، وحملـوا التمثال وقذفوا بـه من فوق مركب صيد فـى البحر، وجرمت المحكمة من ينتشله أو يعيده لمكانه .

فى أوروبا أيضـا كانت الحيوانات المـنزلية تحاكم أمام المحـاكم الجنائية لارتـكابها جرائم قتل وكان يحكم عليها بالإعدام.

أما الحيوانـات المتوحشة، فكـانت تخضع لسلطة الكنيـسة فى القرن الرابـع عشر الميلادى. وكـان يحكـم عـليها بـالنفى أو المـوت أو حرمانهـا من تبعـية البابـا . وكان القديس باتريك يقود الحشـرات بنفسه ليلقى بها فى البحر تنفيذاً لـعقوبة معينة.. بعد إدانتها.

والقديس «برنـارد» أعلن حرمان الذباب من تبعـية كنيسته.. فقد كان يـطير حوله ويزعجه بطنينه.. وأزيزه.

وقد كشـف الباحثون فى الآثـار الفرنسية الـقديمة عن سجـل يحتوى على اثـنتى عشرة محاكـمة ،قدمت لقضاة فرنـسيين فيما بين القـرنين الثانى عشر والسـابع عشر وكانت آخر متهمة بقرة طبق عليها أقسى بند فى هذا القانون عام ١٧٤٠.

وقيـل إنه إذا عـانى سـكان حـى من الأحـياء - فـى ذلك الـوقت - مـن غارات

لحيوانات متوحشة أو حشرات مؤذية.. فإنهم وببساطة يرفعون شكواهم ضدها للقضاء الكنسى.

وكانت المحكمة تعين وقتها خبيراً لتقصى الحقيقة.. وتقديم تقرير عن شكل الموقف.. هل يطن الذباب طنينا مزعجا؟! وهل ضايق السكان فعلا؟!

بعد ذلك يعين محام للدفاع عن المتهمين.. محام للنمل والجراد والنحل ويدلى هذا المحامى بالسبب الذى من أجله لا يجب أن تستدعى هذه الحشرات للوقوف أمام المحكمة..

فإذا لم يكن سببه منطقياً يقبله القضاة فإن أمين سر الجلسة ينادى على الكائنات ثلاث مرات ، فإذا لم تجب فى المرة الرابعة فإن تهمتها تضاف إليها تهمة الإهمال.. وازدراء المحكمة.

وقد دامت الدعوى بين سكان مقاطعة القديس جوليان وحشرة «البق» فترة تزيد على اثنتين وأربعين سنة.

ولما زهق السكان اقترحوا أن يصالحوها.. وأن يسلموا إليها جزءاً من قطعة أرض تعيش فيها وعلى قطع أقمشة قديمة فى وسطها.

إلا أن محامى «البق» اعترض.

وكان اعتراضه منطقياً.

وقد قبلته المحكمة.. فتحديد قطعة أرض بالذات يحد من حرية موكليه.. الذين يرغبون فى حكم عادل.

وعينت المحكمة مستشاراً من عندها ليعاين الأرض ويقول رأيه.. هل تتناسب المساحة مع كمية أصحاب الدعوى من الحشرات؟! ولما أثبت أن الأرض تملؤها الغابات وتتوافر فيها المياه.. أمرت المحكمة بنقل ملكية الأرض «للبق».

إلا أن أمراً غير متوقع حدث.

فقد اكتشف محامى «البق» أن الأرض التى نقلت ملكيتها تحتوى على منجم فحم، وأن هناك أصحابا للمنجم يملكون حق المرور بالأرض الأمر الذى يقلق أصحاب الأرض الجدد.

فعرضت المحكمة شراء الأرض من أصحابها القدماء.

لكنهم رفضوا وثار محامى الحشرات وتمسك «ببطلان» العقد الجديد، وطلب حكماً جديداً فى القضية، ففتحت المحكمة الملف من جديد.

وعينت مستشاراً وكتب تقارير ورفضها محامى «البق». وشكلوا لجانا رفضت وقارنت وتوصلت وألغت. أما كيف ومتى انتهت هذه القضية ، فلا أحد يعرف.

فالسجل الذى عثر عليه مشوه والمؤكد أن المحاكمة بدأت عام ١٤٤٥م وانتهت عام ١٤٨٧ . مات خلالها ثلاثة قضاة وأربعة مستشارين.

وهم يعتقدون فى أن الحيوانات أيضا تبحث عن مكان «ذبذبات الآلهة» وتجدها.. أو يجدها بعضهم.. وأن من يجد تلك الذبذبات ينتحر، وأن تلك الحيوانات تماما كالإنسان.

منها الكافر.. ومنها المؤمن.

منها كل دين وملة.. ولكل ملة تيارات ، ولكل تيار دراويشه. والفائز من كل هؤلاء.. هو السارايوجى الطيب.

ويحكى أن مشاهير فى التاريخ دانوا «بالسارايوجا» من هؤلاء.. «أتيولا» امبراطور شعوب الهان.. وقيل إن أرشميدس اتبع نفس نظرياتهم.. وعقائدهم، أو ربما هم الذين استخلصوا أفكاره غير الرياضية ونظموها فى شكل عقيدة «سارايوجية».

ويقال إن أرشميدس عندما حدث غزو أجنبى لبلاده، كان يحل إحدى المسائل الرياضية ويكتب النتيجة بأصبعه على الرمال.

فناداه أحد الضباط الغزاة وهو يقف فوق رأسه. ولما لم ينتبه العالم لما يحدث أخرج الضابط سيفه وهدده، فقام أرشميدس دون أن ينتبه فدخل السيف خاصرته.. ومات عن عمر يفوق السبعين عاماً.

أما القيصر إيفان الرهيب.. فيقال إنه كان «سارايوجى» أيضا.. وايفان ولد عام ١٥٣٠ وعاش ٥٤ عاما وتوج على عرش روسيا عام ١٥٤٧ .. وكان عمره ١٧ سنة،

وتزوج من الأميرة أنستاسيا ابنة أحد الشرفاء، بعـد تتويجه ملكاً بسبعة عشر أسبوعاً، أصيب بعـقدة نفسية شك فـى زوجته، وخادمه وطبـاخه والشماشرجى الـذى يخلع ملابسه كل يوم.

شك فى نفسه.. وخاف عـليها، واعتقد أن كل العالم يتآمر عـليه، وأن الكل يريد أن يقتله.

كلهم يـريدون قتل القيـصر.. فقتلهـم جميعاً.. قتـل كل من شك فيه، حـتى ابنه وولى عهده.. قتـله بعد ما انهال على رأسـه بسيف مسموم. ويقال إنـه أصبح يحب لـون الـدم آخر أيـامـه. وقـيل إنـه كـان يـشـرب الدم ـ وأنـه كـان مـريضـا بمـرض «البروفيريا».. وهو مـرض يصيب الإنسان فيشتهى شرب الدم. تماما كما كان يفعل الكونت «دراكيولا».. وقد اكتشف العلماء أن مريض «البروفيريا» يحتاج لمواد معينة غير موجـودة إلا فى الدماء البشـرية، وأنه عندما يـشرب الدماء، تهدىء تـلك المواد أعصابه..

وبعد أن قتل إيفان الـرهيب ابنه.. استولى عليه الغضب والحـزن، وتلذذ بقتل كل أصدقاء ولى العهد.

ولـم يفـق بعد ذلك مـن حزنه.. حتـى مات عام ١٥٨٤ . عنـدما لمح فى الـسماء شهاباً يـدخل المجال الجوى للأرض ويحـترق. وتنبأ العـرافون أن القيصر سـيموت، ولم يجـرؤ أحد أن يقول له.. أنـك ستموت، لكـن القيصر كـان يعلم.. وقيـل إنهم وجدوه ملقى فى غرفته عارى الجسد.. ميتا. وقـيل إن أحد حراسه قد قتله بعدما قتل أباه وأمه وأخته ولم يجرؤ أحد أن يعلن أن القـيصر مات إلا بعد أن تأكد الجميع من أنه قد مات فعلاً.

فقد كان إيفان الرهيب.. رهيباً بالفعل.

أما الـشاعـر الإنجليزى «روبـرت بروك»، فـقد كـان «سارايـوجيـا» هو الآخـر. «سارايوجى» و«بوذى» و«زرادشتى» و«مانيشتى» و«كل الديانات الغريبة».

الهندوس يقـولون إنه كان هندوسيا.. يـقدس الأبقار والأفاعى، والبهـرة يقولون

بل «بهرة» ومسلم شيعى. أما السيخ فيؤكدون أن بروك كان «سيخى»، وكان لايأكل اللحم.. ويطلق شعره ولايعمل فيه مقصا أبداً.

والحقيقة أن بروك كان كل شىء إلا أن يكون مسيحيا. وبروك خدم بالبحرية الملكية الإنجليزية فى الحرب العالمية الأولى، وعلى ظهور السفن كتب أحلى أشعاره.. ومات بالدوسنتاريا على ظهر مدمرة إنجليزية فى بورسعيد عام ١٩٥١ .

أما الفنان الفرنسى الشهير «تلوز لوتريك».. فقد عرف المرض منذ طفولته، وكانت خالته «جيان» تدين بالديانة السارايوجية.. وقد ذهبت للهند فى حياتها أكثر من مرة.

ولأن ابن أختها كان دائما مريضا، فقد أوصته بأن ينفذ تعاليم «السارايوجا» التى ستحفظه حيا وميتاً. ووعدها بأن يكون «سارايوجيا».. لكنه لم يكن أى شىء. فقد كان لوتريك ملحداً..

و«لوتريك» كان قزماً.. قصيراً جداً، فقد وقع وهو صغير على ساقيه، ولسبب ما توقف طولهما، ونمت باقى أعضاء الجسم.. فلما كبر، كان منظره غريبا.. جسم عادى جداً، ورجلان قصيرتان جداً.

ولم يفلح أى طبيب فى علاجه.

فغضب على الدنيا والناس.. على والديه، على الدين والكنيسة وتفرغ للرسم.. وسنة ١٨٩٠ رسم حى «مونمارتر».. الناس و«الكباريهات» و «بيوت الدعارة» و«المومسات».. ثم جن جنونه، وسار فى الشوارع يهذى بكلمات غير مفهومة.

فقالوا أن الجن لبسه، وقيل مجنون.. وأدخلوه مستشفى الأمراض العقلية، ثم أفرجوا عنه بعد تدخل أحد أصدقائه لدى السلطات الفرنسية، إلا أن تلوز مات بعدما فاجأته أزمة قلبية وهو سائر علىٰ قدميه.. سكران.. ينظر للسماء كى يشتم الله.. ورسله.

ومات فى السابعة والثلاثين من عمره.

مات .. كما عاش قصيراً جداً.. قصير القامة، وفناناً رائعاً.

وآخر الدراسات قد أكدت أن فى حياتنا ٢٧٤ خرافة، منها ما يسيطر على البعض

ويحركه ويوجه سلوكياته.. وأفكاره. ومنها ما يلجأ له البعض باعتباره القشة.. التى تنقذ.. الغريق.

والفقراء والجهلاء ليسوا وحدهم ضحايا الخرافات، فالقائمة تضم أيضاً أغنياء. فعندما تفتح ملف الخرافة.. تنقب وراءها، ستجد أن هناك كثيراً من المفاجآت.

وستعرف أن «السارايوجا» شيء عادى.. وأن كل شعب له «سارايوجا».

فى دراسة بعنوان «الاتجاهات نحو الخرافة» للباحثين «نجيب إسكندر» و«رشدى منصور» أن التمسك والدخول بشدة فى الخرافات يرجع للضعف والعجز فى مواجهة مشكلات الحياة بطرق أخرى.

وتوصلت نفس الدراسة التى أجريت على ٢١٠٢ فرد فى مصر إلى وجود ٢٧٤ خرافة متنوعة تؤمن بها فئات مختلفة.

وأوضح الباحثان أن معظم الخرافات التى تنتشر ـ فى أى شعب ـ لها أصل تاريخى، فحدوة الحصان التى تعلق على البابا ترجع لعصور الإغريق والرومان لتفاؤلهم بها.. فقد كانوا يقدسون الخيول، ثم إنهم كانوا يعتقدون فى أن الحديد يطرد الأرواح الشريرة.

نفس الدراسة أثبتت أن ٦٢٪ من البنات يؤمنَّ بضرورة عدم التحديق فى المرآة ليلاً حتى لايفوتهن قطار الزواج.. وأضافت دراسة أخرى لباحثة مجتهدة اسمها «إكرام زايد» أن أكثر من ٥٠٪ من البنات مازلن يعتقدن فى صحة قرص ركبة العروسة ليلة الزفاف.

ووصل الأمر إلى أن ٤٧٪ من الناس يؤمنون أن الميت لن يحاسب إذا توفى في شهر رمضان أو يوم جمعة أو لحق به بعد مماته طفل صغير. وإن رش المياه وراء الشخص المتوفى تمنعْ موت أحد وراءه.. وأن المقص المفتوح «يجيب النكد»، وإن وضع المقص تحت رأس النائم يمنع الكابوس، وأن التى «تلحس» بطن ضفدعة وهى لاتستطيع أن «تزغرد»، فإنها تستطيع ممارسة تلك العادة «بطلاقة» فيما بعد.

وأن من يأكل سمكا ولبنا يوم الأربعاء «يتجنن»، وأن حرق «الخنفسة» فى «الشقة

الفاضية» يجلب سكانا، وأن تعليق فردة حذاء الطفل على الجدران يجلب للطفل ولأهله السعادة.

فالخرافة تنتشر ـ حسب نوعها ـ عندما يعجز العلم أن يملأ وعى الناس، ويعجز أيضا أن يخاطب مختلف المستويات بما يسد احتياجاتهم العقلية.. يعنى عندما يفقد الناس الأمل والثقة فى العلم. تخرج الخرافة.. بمختلف صورها، ابتداء بقراءة الكف والفنجان، وانتهاء بالإيمان «بالسارايوجا» أو التأمل فى السماء.

ومن تعلم التفكير بطريقة «خرافية»، يقاوم التغيير والتحول، ودائما يرفض أى جديد.. حتى ولو كان هذا الجديد فى مصلحته مائة بالمائة. لذلك فاستبدال التفكير «العلمى» مكان التفكير الخرافى يتطلب تعديلا فى استعدادات وقدرة الأشخاص تجاه ترك الخرافة، أو مزيداً فى التعلق بها.. أما الخوف فهو فى اعتناق شخص ما لخرافة ما.. ثم تعمقها وتغلغلها آخر الأمر إلى الحد الذى تصبح فيه هذه الخرافة فكرة «متسلطة تماما» على صاحبها.

من هنا يتوالد المرض.

«بارانويا» و«فصام» و«وسواس قهرى» ثم «سارايوجا» و«نازيون جدد» و«مورمون» و«عباد الأهرام».

«والخرافة» هى الاعتقاد فى «كذب». أو التصديق فى «كلام غير منطقى»، إلا أن الخرافة لاترتبط إلا بالمجتمعات ذات الحضارات القديمة.. أى أنك لاتجد «تخاريف» إلا فى بلدان التراث، أو فى تراث البلدان. لذلك فهى لاتستند على أساس علمى، إنما على مجموعة من القيم «الموروثة» التى أصبحت شيئاً فشيئاً تراث مجتمع.

والمعتقدات الشعبية أيضا «تخاريف».

خطورتها أننا نصبح لها أسرى، مدمنين، وتتحول هى كـ «هيروين فكرى» توجه حركتنا وإيماءاتنا وإيماننا بأن لكل قطة سبع أرواح، وأن المسيح يتجدد شبابه كل فترة، وأنه هو الذى بنى الهرم ثم صعد بعدها للسماء.

كثير منا ـ حتى الآن ـ مازال يعتقد أن رش الملح يطرد الأرواح الشريرة ويمنع

الحسد فالمكان «المالح».. أو «المملح» لايصلح لمعيشة الكائن الشرير. وأن الكنس «ليلاً» غير مستحب لأنه يقلق الكائنات غير المرئية.. ويوقظ «العفاريت» من نومها.

أما القطة السوداء، فتحمل في جسدها أرواحاً شريرة ليلاً، وفي النهار تموء وتخطف الأكل وتحب الأطفال بعد أن تغادرها الأرواح.

وفي دراسة قام بها باحثون في المركز القومي للبحوث أكدوا أن ٧٠٪ من المصريين مؤمنون بالفنجان . وأن «البن» صادق فيما يقوله بسبب الأشكال المتعددة التي يرسبها في الفنجان. وهؤلاء الـ(٧٠٪) يعتقدون بأن لكل فنجان معنى خاصا لايتعلق إلا بشارب القهوة نفسه.

أثبتت الدراسة نفسها أن الذين يعتقدون في الفنجان منا يختارون من مواقف المستقبل وطرقه ما يتماشي مع تنبؤات العرافين، وفي واحة سيوة يوجد ـ للآن ـ نبع تستحم فيه العروس منذ أربعمائة عام اعتقاداً في أن به جنياً يبعد عنها الشر ويزيدها جمالاً وروعة.

أما المرأة التي لاتنجب في بعض قرى محافظة الشرقية فتقوم بزيارة تمثالين لرجل وامرأة وتحتضنهما.. ثم تستحم، وتكسر «زيرا» مصنوعاً من الفخار.

حيل لاشعورية نلجأ لها عندما نعجز، فلانعلم أين نذهب ومن أين نجيء.. إنها رد فعل للعجز.. أو هي الأمل في حل أفضل.. أو حل ممكن. بعدما كانت معظم الحلول.. مستحيلة.

الغريب أن ما كان «خرافة» زمان.. أصبح حقيقة الآن. وما كان «بدعا» و«سخفا» و«جنونا»، أصبح اليوم ممكنا ومعقولا وأكيدا ولاجدال فيه. والدليل هو ما يؤكده ويبحث عنه العلماء الآن، واستدعاؤهم لأكثر من «سارايوجي» من «الهند» و«باكستان» و«الصين» و«التبت» لبحث ما كان ينظر له العالم المتقدم في الماضي على أنه شيء متدنٍ.

وانطلق العالم يبحث عن «القوة الروحية»، والعلاج «بالتأمل الروحي والنفسي». أي أن تنظر داخل نفسك، وتركز فتعرف أنك تعاني من كذا وكذا، وأن علاجك الوحيد هو كذا.. وأن كذا مضر بالنسبة لك فلا تقربه.

لم تعد الحكاية تكنولوجيا، وأرقاما وأشعة وأسماء للأشعة ومقاييس للأشعة، وحاسبات إلكترونية وأطباقاً طائرة، ومراكب فضاء. إنما صارت القضية هى الراحة.. البحث عن حل مريح وسط حلول مؤلمة وتكنولوجيا متقدمة وغرف عمليات متقدمة جداً.

بشهادة معظم علماء العالم.. لابد من العودة للطبيعة.. وبشهادتهم أيضا لم يعد الاهتمام فى جنوب شرق آسيا وفى أمريكا أو فى أوروبا منصباً على العلاقات التجارية والتبعية الثقافية أو الاقتصادية. لقد تغير الأمر وظهر عنصر جديد.. عنصر كان يهمله الكل منذ فترة مع أن أحفاد «سارايوجا» ينادون به منذ عشرات السنين.

المهم أصبح «التأمل الروحى» هو القضية الوحيدة التى تشغل بال أوروبا وأمريكا بعد أن اكتشفوا أنها الوسيلة المثلى لعلاج الأمراض المزمنة التى فشل العلم الحديث فى علاجها.

وإزاء «الموجة» و«الموضة» العالية أصبح «التأمل» مطلوباً فى كل شىء.. «التأمل» فى المنزل والمكتب والمستشفى ومحطة البنزين، لم يكن أمام المتشددين من الأطباء الكبار سوى الخضوع.. أو على الأقل الصمت أمام الأصوات العالية لزملائهم الذين دعوا كل الناس للتأمل بدلاً من التردد على عيادات الأطباء.

أصبح التأمل الروحى وسيلة جديدة لنيل أى شىء، وطلبت أوروبا كل «السارايوجيين» و«البوذيين» و«الكونفوشيوسيين» الذين يرغبون فى الاسترزاق لتعليم الناس كيفية التأمل. حتى أن «الدلاى لاما» زعيم «التبت» الروحى كثيراً ما يتنقل خارج نطاق نفوذه بدعوات من الدول الأوروبية لإلقاء محاضرات عن «التأمل» وسطوته على الجسم البشرى.

وبدأ الاهتمام ينتقل لوسائل الإعلام بكافة أنواعها، وبدأ الكل يسأل عن التأمل وأصوله وأسسه مع أن السارايوجا ينادون به منذ قرون.

وفى ألمانيا لاقت أنواع كثيرة من التأمل الروحى نجاحاً كبيراً، وأصبح كثير من الألمان يمارسونها بانتظام.. فيستجمون ويستريحون ويستجمعون أفكارهم من جديد.

وتحمسوا للتأمل جداً.. حتى أن الراهب «السارايوجى» «جوزيف جوتس» يصف تجاربه فى مجال التأمل بقوله: «مثلما تذهب الإبل لعيون الماء. نذهب نحن خمس مرات يومياً لنتأمل. فالتأمل استجماع للقوى، وهو عبادة أيضا. لذلك أستيقظ فى الخامسة صباحاً. وأبدأ بما يعطينى الهدوء الداخلى».

ويقول: «إنها رياضة ذهنية للراحة، إننى أنشد تعاويذى فى الصباح الباكر ثم أبدأ فى التأمل.. وأثناء التأمل يفكر الإنسان بموضوع ما ويحاول أن يسجله فى ذهنه، ثم يلغى جميع الموضوعات فجأة من دماغه.. وهكذا ».

ونظراً لما حققه «التأمل» من نتائج، تحاول لجنة من أطباء نيويورك تجربة وقياس نتائج التأمل الروحى على مرضى الأمراض المستعصية.. وقد وصل بهم الأمر للاستعانة بـ ١١٠ رهبان «سارايوجيين» لتعليمهم .

لكن المفاجأة.. هو ما قاله «جون كابات» رئيس قسم الأمراض النفسية بالمركز الطبى التابع لجامعة «ماساشوستس» الأمريكية، والذى يدرب مرضاه على التأمل الروحى.

قال «كابات» أن مرضاه تناقصت آلامهم بنسبة ٢٥٪ خلال دورة دراسية مدتها ثمانية أسابيع.. وقال أيضا إن نسبة الأعراض المرضية النفسية مثل الخوف والغضب والاكتئاب انخفضت خلال نفس الدورة إلى ٣٢٪ بعد أن ظل هؤلاء المرضى يعانون من آلام حادة مدة ثمانية أعوام تقريباً.

دورة «كابات» الدراسية تنقسم إلى عدة مراحل، فى بدايتها يلتقى المريض مرة واحدة كل أسبوع مع معلم «تأمل»، ثم يعودون لمنازلهم للتدرب لمدة ٤٥ دقيقة يومياً على إتقانه فى هدوء، ويقول «كابات» إن اكتساب القدرة على الجلوس لمدة ٤٥ دقيقة يومياً دون أن يفعل المرء شيئاً هو تحول كبير بالنسبة لطبيعة الإنسان، وباستمرار يرفع المعلم صعوبة التمارين بحيث تصل فترة الصمت فى الأسبوع السادس لثمانى ساعات.

يقول «كابات» إن بعض المرضى وجدوا الراحة فى الساعات الأولى من

التمارين، فى حين أن البعض الآخر يشعر بالإجهاد والألم.. وينام، إلا أنه مع مرور الوقت تتقارب النتائج.. فوجد أن ٨٦٪ من المرضى يرتاحون مع الساعات الأولى.

مستشفيات «نيويورك» بدأت فى استثمار ٢٥ مليون دولار لتنفيذ برامج «التأمل السارايوجى»، كذلك مستشفيات «مانهاتن» و«بوسطن» و«لندن» و«باريس».

وفى أحد اللقاءات التليفزيونية قال د. روبرت ترومان رئيس مستشفى التبت وصديق «الدلاى لاما» إنه ينبغى أن يشاهد المتشككون فى مقدرة التأمل الروحى فى التعامل مع المعاناة والموت.. فالتأمل الروحى لا يساعد فقط على تخفيف آلام الجسم أو التغلب على الخوف من الموت، إنه مفيد للصحة العامة وتوطيد ثقة الإنسان بنفسه وسيطرته على إرادته.

وأكد الأطباء أن ممارسى التأمل بالفعل يستطيعون استخدام إرادتهم للسيطرة على وظائف جسمهم من رفع درجة حرارة أجزاء معينة أو خفض ضغط الدم أو استخدام جزء من تيار المخ بطريقة لافتة للنظر وغير معهودة أو إرسال نبضات منشطة لخلايا جهاز المناعة.

ورجع الأطباء للأرشيف. واكتشفوا أن «التأمل البوذى» قد ساعد فعلا فى علاج حالات مرضية مستعصية عجز الطب عن علاجها مثل الحساسية. ففى عام ١٩٨٨ ظهرت دراسة دقيقة عن مريضة لديها حساسية ضد الزهور. طبيعية أو صناعية، وكانت رؤيتها تصيبها بالجنون وتتسبب فى انهيار جهاز مناعتها وإصابتها بضيق النفس، وقد اكتشف علماء متخصصون فى مناعة الجسم النفسية ـ وهو تخصص علمى جديد ـ وجود علاقة خفية بين جهاز الأعصاب وجهاز المناعة ورغم اكتشاف هذه الحالة منذ أكثر من ١٠٠ عام، إلا أن الأطباء لم يتمكنوا من إيجاد علاج لمثل هذه الحساسية.

لكن الدراسات الأمريكية كشفت عن إمكانية التأثير على العملية النفسية من خلال «التأمل» و«التركيز» على الرغبة فى السيطرة على أعراض المرض.

«ديفيد فونتانا» عالم النفس الخبير فى علوم التأمل يقول إن المعاناة النفسية مثل المعاناة الجسدية تماما. كلتاهما مؤلمة والذين يعانون من الأمراض النفسية يبحثون عن

أى شىء يخرجهم من سجنهم الداخلى. فعندما يتمكن التأمل الروحى من منحهم ذلك الشىء، فلا مانع من توغلنا فى أسراره».

ويقول طبيب المخ الألمانى «جرارد روث» إننا نبحث عن إجابة هذا السؤال دائما: كيف يستطيع المرء التأثير على المنطقة اللاشعورية بالمخ تأثيراً متعمداً؟

إنها منطقة لايعرف عنها أى شخص الكثير، بالرغم من ذلك، لقد استطاع هؤلاء التأثير عليها.

أما هؤلاء.. فلم يكونوا سوى المتأملين.

الطبيبة الأمريكية «كاندت برت» تؤكد أن هناك أجهزة استقبال للمعلومات والأحاسيس فى أماكن كثيرة خارج المخ. وخاصة خلايا جهاز المناعة ونخاع العظم والدم حيث يوجد ملتقى تركيز الجسم كله. ويمكن الحفاظ على اتزان هذا التركيز من خلال التأمل الروحى.

وهكذا مضى الكل ينصح بالتأمل مع «السارايوجا» و«البوذيين».

وأصبح فى كل مكان يتزايد المتحمسون للعلاج الروحى. الصحفى الأمريكى «دانيال جولمان» قال فى مقدمة كتابه الشهير «الذكاء الانفعالى»: تدريجيا تدخل أساليب التأمل لمعاقل الطب التقليدى، فلم يعد الأطباء الجدد ينزعجون من ممارسة مرضاهم للتأمل الروحى أو من سماعهم للموسيقى المهدئة للأعصاب.. على الرغم من أن هذا لايتماشى مع ما درسوه فى كليات الطب.

أما «أيورد سوزوك» الطبيب اليابانى فيقول: «اعلم أن المرضى فى أمسّ الحاجة للتأمل، لذلك أقدمه لهم».

3

الفراعنة.. ومسيحية من نوع خاص!!

دار الخيّال

وجع فى قلب المسيح

ليلة السادس من مارس كل عام.. يعقد «الأهراميون».. أو «عبدة الأهرام» مؤتمرا عند هرم خوفو بالجيزة.. ليلاً. دقائق.. ويدخلون غرفة دفن الملك. حيث الاحتفال الحقيقى.. ومحاولة تلقى الحكمة.. من بعيد. المؤتمر اسمه «الموت.. الحياة وما وراء الطبيعة».. لقد دعتهم أهرام الجيزة للتجمع . وهم لبوا النداء ـ من كل أنحاء الأرض جاءوا.. إنجليز وروس ودانمارك.. وألمان وهنود.

كل هؤلاء ينشدون غرفة الدفن، وكل هؤلاء يحلمون بحكمة الزمان والخلق..

حكمة المصريين القدماء. فراعين الأرض من سبعة آلاف سنة.

والأهراميون متأكدون أن الأمل سيتحقق.. مهما طال وقته، أو تعاقبت السنون. والأمل.. هو السمو.. علو الروح، وارتقاؤها لتتخلص من الشهوات الإنسانية، وترتقى المادة.. أى تتخلص الروح من الزمن.

لأنه لازمان للروح.. ولامكان لها، وما الحكمة التى يطلبونها عند هرم خوفو سوى هدية للحائرين أمثالهم، اللاهثين وراء الحق.. ومعرفة الحق.. وسيرة الحق فى كل مكان. هم يطلبون من الروح أن تخرج وتلبسهم، أو يلبسوها «قميصا» يدورون ويلفون من خلاله عبر الزمن ، الأزمان السابقة. .. والتى سوف تكون.

والهرم هو مكمن «الروح».

ورغم طقوس بدأت منذ سنوات طويلة.. لم يحدث ما تمنوه، فلاخرجت الروح.. ولا لبسوها. ولم يتخلص العالم من المادة وما فعلته المادة، وما فعله الإنسان بالمادة وباسم المادة. القتلى فى كل مكان.. والكون مغلف بضباب كئيب.. حقد وضغينة وكره.. ومن ثم فقدان للأمل.. أى أمل فى النجاة.

حتى الآن لم يجد الإنسان نفسه، ولم يعرف ما يريده. أو ماذا يريد؟!

لهذا.. سيستمر هؤلاء عند الهرم فى محاولة اكتساب الطاقة الكامنة التى تشع منه.. قوة الروح، ومصدر الحكمة. طقوسهم ستمارس فى كل عام.. فى المكان نفسه، فإما يجيئهم الهاتف «من فوق» ويقول لهم «كفاية».. كفوا عما تفعلون.. أو يحدث الخلاص.. وينجح الإنسان فى التحرر من المادة.. وحتى يحدث هذا أو ذاك.. ليس فى استطاعة أى قوة أن توقفهم.

فهم القوة.. وهم مصدرها.. وداعيهم جبار.. لايوجد ما هو أقوى منه.

و«عبدة الأهرام» طوائف كثيرة.. أو جماعات. فمنهم «الصليب القرمزى» و«الرمز الواحد» و«الأطهار». «الصليب القرمزى» بلغوا عام ٩٢ مائة وستة وتسعين ألفا فى الولايات المتحدة، وزادوا على ٨٧ ألفا بفرنسا. إضافة لمليون وأربعين ألفا فى بقية العالم والبلاد الأوروبية.

أما «الرمز الواحد» فهم مليون وسبعمائة وستون ألفا بالولايات المتحدة، وزادوا على «الصليب القرمزى» بنصف مليون فى فرنسا.. و٣ ملايين شخص فى بقية أنحاء العالم والبلدان الأوروبية.

وكل هؤلاء قصتهم غريبة.. ومعتقداتهم أغرب.

حيث الهرم هو السر الوحيد الذى لم يعرفه على حقيقته أحد. وهو الطلسم الذى لم يستعمله فى وقتنا الحالى إلا قليلون. ولأنه كذلك، ولأسباب أخرى، كان جديرا بالعبادة والتأمل والتفكير.. عنده وفيه.

فللهرم عند «عبدة الأهرام» رسالة.. يسمعونها كل عام، ويحاولون ترجمتها لصورة وعقيدة .. ثم إلى طاقة وروح تنتقل بهم ومنهم عبر الأزمان.

عام ١٨٦٩ أعلنت جماعة «الصليب القرمزى» و«الرمز الواحد» مع آخرين أن الهرم يقع فى وسط العالم ،وسط يابس كوكب الأرض وقسمه لأربعة مربعات صغيرة، مستوية تقريباً فى المسافة.

وهو تماما ما أثبتته صور الأقمار الصناعية فيما بعد.

لقد كان ما كان.. كما قالوا، وأظهرت أول المسّاحات فى الفضاء أن خط طول ٣١° شرق جرينتش أطول خط على اليابس، وأن خط ٣٠° شمال خط الاستواء، هو أعرض يابس. واتضح أن هناك مكاناً واحداً لالتقاء الخطين.. وتقاطعهما.

سمى الأهراميون نقطة الالتقاء تلك.. بالتقاطع الفريد.

وأثبتت الأقمار الصناعية أن الخطين متقاطعان عند الهرم الأكبر.

فهل قصد بناة الأهرام؟!

إن كان صحيحاً، فلابد أنهم التقطوا صوراً للأرض من أعلى.. من السماء.

إذن كيف صعدوا لفوق؟ وإن كانوا قد فعلوا، فمتى تم هذا؟! ولماذا؟!

آخر تقرير لجمعية المعماريين الفرنسيين بمدينة «ليون» قال صراحة بعدم قدرة أى معمارى حالى على بناء مثل هذه الأهرام، حتى لو استخدم كافة الطرق والأدوات والتكنولوجيا.. بما فيها طريقة تقطيع الليزر. فما السر؟!

طائفة «الصليب القرمزى» أكدت أن الهرم «تصريح» أو «انفتاح» إلهى. ساهم فى تأسيسه الرب نفسه. وهذا الخالق لم يكن إلا الروح الكبرى.. الأولى.. المسيطرة على مجريات الأمور.

و«الرمز الواحد» قالوا أنه لا انفتاح، ولا إلهى، ليس لأى شىء سوى أنه ليس لهم رب. لقد بنى الهرم كائنات أذكى وأعمق فكراً.. وأكثر خبرة وتكنولوچيا، هذه الكائنات هبطت من كوكب آخر. ولا هم رسُل من عند الله، ولاهم بشر عاديون.

إنما أشخاص فاقت عقليتهم عقلية إنسان القرن الخامس والعشرين لأن حضارتهم البعيدة.. قمة فى التقدم، غاية فى الرقى. هؤلاء الأشخاص هبطوا على

قارة «أطلانطس»، ولم تكن قد غرقت بعد. وهناك أجروا أولى تجاربهم. رسموا الهرم عدة مرات.. التقطوا كافة الصور من الفضاء لأفضل أماكن مشروعهم الجديد. نظموا وخططوا.. ثم نفذوا.

وحمّلوا الهرم على أرض مصر رسالة لأهل الأرض.

ثم عادوا من حيث أتوا.وظل الهرم شاهداً ليس فقط على قمة تفوقهم، إنما على أشياء أخرى. لقد أرادوا أن يقولوا إن الحياة مستمرة، لاتنتهى، تماما كما بدأت.. دون بداية.

أما الإنسان فهو شقى معذب، أما ذاته فخالدة.. لاتموت. حتى لو مات الجسد.. فإن روحه تحيا فى مكان آخر.. بشكل آخر.. غريبة أو مجهولة، لا يهم .

لهذا يطلب «الرمز الواحد» الخلاص عند الهرم. والخلاص عندهم هو قطع استمرارية «الحياة».. وموتها.. إنه الحل الوحيد للراحة. إنهم يطلبون العدم. أى ألا يكونوا أى شىء بعد زمن طويل، وعمر طويل.. والهرم.. أول الطريق.. وما دام هناك «هرم».. فإن هناك «خلاص».

وظهر آخرون.. وقالوا: لا هذا ولا ذاك.

فلا الهرم بناه أولاد قارة أطلانطس، ولا هو انفتاح إلهى.. لأن تلك الأعجوبة لا يقدر عليها إله، ولا يفعلها الإنسان وحده.. إنما الذى حدث اتحاد.. تكتل من نوع جديد.. اتحاد الخالق والمخلوق.. الصانع والمصنوع فى أول حادثة من نوعها.

لقد أوفد الله رسُله لوضع الخريطة، وإعداد قائمة بالأدوات المطلوبة.. ولم يكن على الإنسان فيما بعد سوى التنفيذ.

يعنى.. هم قالوا إن مهندس الهرم هو الله، أما «الفواعلى» الذى حمل «المونة» والرمل والأسمنت والحجر.. فكان المصرى القديم.. بإشراف الفرعون.

وارتفع الهرم باتحاد الروح مع المادة، الإله والإنسان، وكان الغرض لفت النظر للروح التى لم يكن يعلم عنها الإنسان فى ذلك الوقت شيئا. وكانت مقدمة لكى تطغى الروح على المادة.. بدعوى أن الهرم لن يترك مكانا لمادية الإنسان فيما بعد.

لأن الإنسان سينظر ويتفرج ويعلم ويتأكد أن المادة ليست كل شيء.

كتب أحدهم في مقدمة كتابه «أوراق هامة للصليب القرمزى» قائلا.. مع أن هذا البناء قد تم بنظـرة من الرب نفسه على يد مبعوث اسـمه «جوب» فإن خلافاً ما دب بينه وبين خالقه ـ أى أن خلافاً حدث بين «جوب» وربه ـ لماذا؟ لأن «جوب» أراد أن يعينه ربه حاكـماً وملكاً على الأرض بعد أن فرغ من بنـاء الهرم. ويقال إن «جوب» هذا هو من ساعد فى نقل أحجار الهرم بقدرته الخاصة.

ولـم يقتنع الرب بأن «جوب» يصلح لأن يكون ملكاً.

وأن يكون حامل سـر الله وسر الهرم.. فى الأرض.. فرفـض طلب «جوب»، إلا أن «جوب» أصر.. واحتدم الخلاف.

وحاول «جوب» أن يـقنع ربه بـالعافيـة.. فقد بنـى أعظم بنـايات الأرض، وأندر مبانيها.. فبناؤه يعد من أعظم الأعمال الكونية جميعاً.

إلا أن ربه طلبه عنده فى السماء، ورفعه ـ أيضا للسماء ـ غصباً عنه .

قالت جمـاعة «الصليب الـقرمزى» أن الرب غسل «جـوب» بعملية الـرفع تلك، يعنى طهـره .. نقاه من عيوبه. أما جـماعة «الرمز الواحد» فقـالت إن «جوب» صعد بنفسه للسماء.. بإرادته، ورغبته. فقد نـفذ مهمته وذهب إلى حيث يسكن الله.. دون مشاكل من أى نوع. وهو سـينزل بعد فترة، ليقتله أهل الأرض ظلـماً وعدواناً، لكنه سيرضى بهذا الموت فى سبيل نجاة البشر، ومسح خطاياهم.

ومن هذا وذاك.. نـكتشف أن «جـوب» عند «الصـليب القـرمزى» وعند «الـرمز الواحـد» لم يكـن سوى «المسـيح».. المنـقذ.. مـخلص الـعالم.. الـذى لم يولـد من عذراء، إنما وجـد على الأرض منذ بدايـتها.. لقد خُلـق مع بداية الخلق.. مـع الهرم، ليصعد لـلسماء ثم ينزل الأرض علـى فترات. فالمسيح عنـد كل طوائف الأهرام ذو طبيعة أزلية، لا أول لها ولا آخر.

و«الهرم».. أشارت إليه الأناجيل صراحة، وورد ما معناه «أنه سيكون هناك مذبح للرب وسط مصـر.. وبناء له على أطرافهـا. هذا البناء الذى سيكـون علامة وشهادة

للرب الأقوى علـى هذه الأرض. فعندما يطلب الـناس المعونة، سيبعث مـن ينقذهم ويدافع عنهم».

«الأهراميون» فسروا «المذبح» على أنه «الهرم الأكبر».

فـسروا أيـضا وروده مـرتـين «بالآيـة»، مـرة «فى وسـط مصـر»، وأخـرى «علـى حدودها».. بأن الهرم. فـعلا يقع فى الناصيتين.. فى «الـوسط».. وعلى «الحدود» فى الوقت نفسه.

فهو فى وسط مصر على الخريطة، كما أنه على حدود مصر السفلى ومصر العليا.

يعني هنا وهناك.

أو الاثنين معا.

لأن كلـمة «الجيزة» تـعنى «الحدود» و«الـطرف»، وهى الاسم الـذى سيشيـر إلى علاقة قوية بين مكان «هضبة الأهرام».. وبين مكان الهرم على حدود الدولة القديمة.

والهرم لم يكن قبراً عند طوائف الأهـرام.. بنص الأناجيل أيضا. فالآية تقول: إذاً سنقول هـيا بنا نحضـر لبناء مذبح، لـيس هو لحرق القرابـين أو للذبح، لكن لـيكون شاهدا بيننا وأنت والأجيال التى بعدنا».

أما «الجيماتريكا».. فلاتشير إلى أن الهرم الأكبر ليس إلا فتحاً خالصاً وخاصاً فى الوقت نفسه من الخالق للمخلوق.

«والجيمـاتريكا هى عـلم الحروف. أو علم اكـتشاف معنـى معين بقيـمة الحروف الرقمية فإذا كان لكل حرف على حدة قيمة رقـمية حسب ترتيبه الأبجدى، فإن معنى كل كلمة هو ما يعطيه مجموع حروفها من أرقام. و«الجيماتريكا» عَلم أتقنه اليهود.. ونقلوه للعرب. واستخدمه المتصوفة لإثبـات حججهم فى إثبات وجود الله وملائكته وكتبه ورسله .

و«الجيماتريكا»، وصل بالأهرامين إلى أن إضافة قيمة رقمية معينة لكل الحروف العبـرية فى النـص الوارد عن ذكر الهـرم فى التوراة.. فـإن مجموعهـا بعد تحويـلها لأرقام يساوى الرقم ٥٤٤٩ وهو ارتفاع الهرم.. بالبوصة .

وطائفة «الرمز الواحد» تعتقد أنه على أفـرادها المساهمة فى تشكيل أرواحهم بعد الموت أو أن تتقمص هذه الأرواح أى أشخاص آخرين.. للتواصل.

فما دامت هـذه الروح قد اقتربت مـن حياة صاحبهـا من اليقين والإيمان بـالطاقة الكامنـة فى الهرم. عليها أن تـنتقل «بخبراتهـا» لمؤمن آخر اقترب هو أيضـا من نفس اليقين.

هذا الانتقال الذى يتـم عن طريق اتصال كل الأشخاص بالطاقـة الكامنة فى هرم «خوفو».

أما اختـيارهم لأماكن الآثار المـصرية لطقوسـهم. فلأنهم يـعتقدون أنها مـساكن للطاقـة. فالهرم «روح الحكمة»، الذى يـدخلهم عن طريق قدرتـه فى اتحاد مع أرواح أخرى.. عاشت أجسادهم منذ آلاف السنين.

والهرم سيبقى مكانه.. حتى بعد فنـاء الأرض. سيظل كما هو، الذى سيتغير فقط هى رسالته.. وإذا كان ينادى ـ حاليا ـ بالكثيـر، فإنه بالتأكيد سينادى بعد الخلاص بما يتناسب مع الفناء.. والعدم.

وإلى أن يتـغير مضـمون الرسالـة.. تظل أفكـار «الأهراميين» خـليطا مـن أفكار «بوذا» و«كونـفوشيوس» «وزرادشـت».. فالمسيـح مثلا ولد ومـات خلاصاً لخطـيئة البشر.. ومع أنه مات جسداً ورفع للسماء.. لكـن فناءه الجسدى من عالمنا لم يتطابق مع روحه أى أن روحه مازالت هائـمة فى هذا العالم هنا وهناك. تبـنى جسراً روحياً بين السماء وبين الهرم.

لقد اكـتشفوا أن هنـاك «رمزاً» من نوع ما بـين ممر الهرم لـغرفة دفن الملـك خوفو أعلاه. وحجرة دفن الملكة أسفل سراديبه، وبين لحظة ميلاد المسيح.

ففتحة الهرم الأكبـر الموجودة فى ناحيته الشمالية، لا ترمـز مع ممر الدخول للهرم إلا إلى نقطة الميلاد. تلك النقطة التى تمثل المسافة بينها وبين أرض هضبة الهرم، وبين نفس النقطة وحجرة دفن الملك. نفس المـسافة بين بدء الخلق.. وميلاد المسيح، ثم بين ميلاد المسيح، وانتهاء العالم بالخلاص.

أما الممر المؤدى لحجرة دفن الملكة، فليس إلا رمزاً لبقايا انتصارات الإنسان منذ الأزل، انتصاره على الضواري والوحوش. انتصاراته فى حربه ضد أخيه.. وأبيه ثم تضحية المسيح بنفسه تكفيراً عن خطأ وخطيئة البشر.

فالممر المؤدي لحجرة دفن الملكة، لايرمز إلا إلى حروب الإنسان، وقتاله لأخيه.. منذ موت المسيح على الأرض.. وحتى الآن.

والأرض ستخلق من جديد.. بعد الخلاص، فى زمن آخر، خال من اللعنات والحروب وصليل السيوف وأصوات الكلاب التى تبحث عن فريستها الجريحة. وهذا الوقت.. يمثله خط العودة من ممر غرفة الدفن لفتحة الهرم. حيث الضوء.. النور من جديد. وبالتالى رؤية الممر الصاعد لغرفة دفن الملك العلوية.

يعنى.. غرفة دفن الملك.. هى الجنة، أو هى الرمز للجنة.. والخلود المرتقب. وليست المسافة بين غرفة دفن الملكة أسفل الهرم، وبين غرفة دفن الملك أعلاه إلا رمزاً للانتقال الضرورى.. والحتمى من زمن بدء الخليقة، ثم ميلاد المسيح.. حتى الوصول للجنة لأنه.. وببساطة، لا يمكن الوصول لحجرة دفن الملكة، إلا عن طريق دخول الهرم أولا، من فتحته الشرقية.

ولن تصل ـ لو دخلت الهرم ـ غرفة الدفن العلوية، إلا لو مررت أولاً.. بغرفة دفن الملكة، أسفل سراديبه.

لماذا؟! لأنهم اكتشفوا عدة زوايا إيحائية تجعل فى اعتقادك، وأنت تدخل الهرم للوهلة الأولى أنه لا ممر صاعدا. وبالتالى.. تنزل الممر الهابط فتصل غرفة دفن الملكة، وفى صعودك تكتشف أن هناك ممرا صاعدا فعلا..

ماذا يعنى هذا؟

يعنى أنه لم يكن لتتواجد حياة بشرية.. أو لم يكن الخلق ليبدأ، إلا بميلاد المسيح.. ففتحة دخول الهرم هى رمز ميلاد المسيح. وأن الإنسان لن يعرف الطريق للجنة إلا لو عانى وقاسى و«خُدع» وضُرب فى الدنيا. ليظهر المسيح من جديد. فيرشد المؤمنين للطريق الصحيح.. طريق الخلاص.

هنا فقط ستعرف.. ويعرف كل المؤمنين طريقهم للجنة.

ولدى جماعة «الصليب القرمزى» إشارات كثيرة إلى أن الهرم هو «شاهد الرب» على أرض مصر.. لقد أكد هذا «إسحاق الرسول».

و«إسحق الرسول» شخص ارتبط «بمهندس عظيم» استخدمه الرب فى دراسة عادات وقدرات سكان مصر فى مرحلة التحضير لبناء الهرم. وقد استدعى هذا التحضير دراسة نظام الحكم المصرى، وطريقة حياة الكهنة، ومعتقداتهم الحقيقية.. والتقى «إسحق الرسول» مع «المهندس العظيم» قبل بناء الهرم، وركب الاثنان بساطا يطير فى الهواء.. يشبه بساط سندباد بغداد، وعندما وصلا لقمة المكان الذى سيبنون تحته الهرم.. استقرا هكذا مدة طويلة، أياما وليالى وشهورا دون أن يراهما أحد. وهناك.. من أعلى بدأت الأبحاث درجة درجة، من الأعم للأخص. شملت التربة المصرية، ودراسة خواص الشعب المصرى وروحه، وكان الغرض معرفة مدى قدرته على تحمل «الرسالة الكبرى» المنتظرة والمتوقع تكليفه بها.

لم تكن الرسالة هى فقط بناء الهرم. إنما توريثه وتوريث طرق اتحاد الروح، ثم طريقة انتقالها من الإنسان للهرم، ومن الهرم للإنسان.

وفى شهر مارس، كانت مشيئة الروح.

ففى اليوم الأول من هذا الشهر، استطاع «المهندس العظيم» (كما يعتقد أفراد «الصليب» القرمزى) مع إسحق الرسول بث رسالة فى مكان بناء الهرم للسماء، واستجابت الأخيرة.. وأجابت بأن النداء الروحى قد وصلها من الأرض.

وأن البناء يمكن أن يبدأ الآن .

معظم فرق «عبدة الأهرام» يؤكدون أن «إسحق» الرسول.. رجل أرضى.. من أهل الأرض، استُعين به لتنفيذ مهمة بناء الهرم. لقد استعان به الله فى أول اتحاد بين «الروح» و«الإنسان». أول اتحاد «روحانى» إنسانى.

بعضهم أكد أن «إسحق» هذا هو «قبطيم بن مصرايم بن نوح بن آدم»، الذى أسس أبوه أرض مصر فسميت مصر نسبة إليه. وقد سمى أهل مصر «بالقبط» أو

«الأقباط» نسبة لقبطيم.

لكن لماذا يطلب الله مساعدة البشر؟!

ولماذا يصر على تلك المساعدة لبناء الهرم؟!

«الرمز الواحد» قالوا إنه اتحاد الروح والجسد. فالمادة دائما ليست هى الأساس، والروح تتخذ دائماً من المادة جسراً للعبور. لأن «المادة» هى الكوبرى الفاصل بين يابس اجتماع الروح والجسد، وبين سمو الروح واتحادها مع بعضها فى أجساد مختلفة.

وأحجار بناء الهرم استمدت صلابتها من قوة خفية. وهذه الأحجار طفت فجأة من باطن الأرض على السطح عندما شرع «المهندس العظيم» فى البناء. إما هذا.. وإما أنها جاءت مع كائنات ذكية.. ليست أرضية تعيش على كواكب أخرى بعد ما اتحدت مع أهل الأرض. حيث نزلت للالتقاء، وصعدت بعد ما تركت هذه الآثار التى تدل على اتحادها «روحيا» مع المصريين للمرة الأولى.. والأخيرة.

ماذا عن موسى النبى؟! ولماذا ذكر سفر الخروج الأهرام؟!»

هكذا صاح الفرنسى «دانييل روبير» أحد أعضاء «الرمز الواحد» عام ١٨٩٨ فى اجتماع موسع للجماعة لدراسة ما استجد من أبحاث حول «الجبل الحجرى العظيم» فى مصر.

وكان العلماء الفرنسيون فى العام نفسه اكتشفوا أن هناك إشارة لعام ١٨٤٤ عند الهرم. وأن ٢ مليون حجر نجموا لسنة وفاة المسيح، إضافة لإشارة أحجار الهرم لرحلة الإسكندر الأكبر غازياً العالم.. وهو ما أدى ببعض علماء الأثريات للبدء فى بحث ظاهرة الهرم «المعقدة».. باعتبار أنه «سر» أكثر مما هو أثر.

«روبير» أيضا اكتشف ما أسماه «خط الهرم الزمنى». هذا الخط الذى لا يشير فقط إلى ميلاد المسيح ونبوءته ثم صلبه وصعوده للسماء. أو للعام ١٨٤٤. إنما اكتشف أن الهرم يحكى قصة خروج موسى من مصر أو أن سفر الخروج من التوراة يحكى عن الهرم.

وتساءل «روبير» في مقدمة كتابه «الجبل الحجرى وموسى» قائلا: «هل علم موسى النبى عندما نظر للهرم توقيت خروجه من مصر؟ وأجاب بأن موسى علم كل شيء عما سيحدث.. أو عرف كل ما سيحدث من الهرم.

قال «روبير» إن الجزء الصاعد في الهرم.. أو جوانب الهرم المنحنية تنعكس بزاوية ما.. عن ممر دفن الملكة. وأكد أنه إذا رسمنا خطا على خريطة العالم بنفس زاوية ميل الممر الصاعد لغرفة دفن الملك العلوية، فإن امتداد هذا الخط سيشير على الخريطة إلى نفس النقطة التى عبر منها بنو إسرائيل البحر الأحمر وقت الخروج.. حيث غرق فرعون مصر .

الأكثر غرابة، إشارة هذا الخط المرسوم ـ لو استمر ـ لبيت لحم.. مكان ولادة السيد المسيح.

«روبير» عاد وحكى نفس القصة مرة أخرى فى كتابه «الهرم الأكبر وشفرته».

وقال: «لا شك أن من بنى الهرم كان يرى المستقبل كما نرى نحن الأشياء التى حولنا.. وكان يعلم الماضى تمام العلم. لهذا فالهرم يسجّل كل ما مضى مع كل ما يأتى.. ويمكن عن طريقه أن نعرف نحن ـ أيضا ـ كل شيء ».

كما أنه ليس هناك إلا تفسير واحد فقط لوجود هذا الهرم..

لقد نفذت الروح ما أرادت، ورغبت أن ترشدنا لشيء.. هذا الشيء هو الخلاص، لذلك ما علينا إلا اتباع قوة الأهرام واستدعاؤها دائما ما دام أنه لاخلاص للعالم.. دونها.

«روبير» توفى عام ١٩٠١ .. وقيل إن روحه دخلت الخلود.. لقد آمن بصحة قانون الروح.. وكانت آخر كلماته «أن أشعة الشمس لا تنتهى.. وذرات الضوء لاتتلاشى ما دام هناك منبع، لذلك فإن الطريق للجنة مفتوح.. والحياة أيضا لا تنتهى هى الأخرى، إنما مراحلها متجددة ومتغيرة. وفى زمن الإحباطات والحقد.. يظل الهرم هو الصوت الأقدم «للرب» و«الروح» والقيم الأصيلة على هذا الكوكب».

وقال: «اعلموا أنه لا دليل أقوى من أن «خط بيت لحم» لا يشير إلا إلى المقياس الصيفى لتوازن الليل والنهار فى الخط العمودى للهرم».

ولم يعرف أحد ما معنى هذا؟!

ولم يفصح عن معنى تلك الجملة بعد وفاته أحد.. إنما هكذا قال «روبير» ثم مات.. ودفن.. ثم قالوا إنه عاد للحياة مرة أخرى.. وخرج من قبره.. وأن روحه قد خلدت.. والروح الخالدة لا تموت.

أما ما معنى آخر ما قاله.. كثيرون اعتقدوا أنه هو نفسه لا يعرف.. وأنها تخريف.. خرف وأسس نظرية وضم أتباعا مجانين كانوا أكثر من ٨ ملايين «أهرامى» فى العالم حتى عام ٩٥.

والسيد المسيح عند «الرمز الواحد» و«الصليب القرمزى» لم يولد حتى من العذراء مريم.. إنما خلق مع بداية الخلق.. ولما قالوا إنه مات، لم يكن صحيحا.. إنما صعد للسماء، تماما كما جاء من السماء.. وسيستمر هناك حتى نهاية الخلق..

والنهاية ستأتى على يديه.. عندما يتخلص البشر من سجنهم المادى، وتتحد كل الأرواح مع بعضها وتصبح شفافة.. بللورية.. وقتها سيتوقف نزول المسيح (الذى ينزل كل فترة بشكل واسم مختلف).. وسيتوقف انتقال الروح من جسد لجسد، ومن زمن لزمن، ومن شخص لآخر.. وتستريح. وتريح معها معذبين كثيرين ملوا الحياة الدائمة وطلبوا الموت منذ بدء الخليقة، وبناء الهرم.

لذلك فاعتقاد المسيحيين بميلاد المسيح من العذراء مريم باطل.

فالسيدة مريم لم تكن إلا وصمة سوداء حاول «الوثنيون» إلصاقها بالطفل يسوع لإذلاله.. لكونه ولد من أم بلا أب.

فيتهمونه بأنه ابن سفاح . يعنى السيدة مريم كانت «شماعة»، والشماعةِ التى علق عليها المؤمنون إيمانهم لتصديقه.. وتقريب «الحكاية» لعقولهم.. فلم تكن الكثير من أسرار «المسيح» المتردد بين فترة وأخرى على الأرض قد اكتشفت بعد.

«فالمسيح» جاء للأرض أكثر من مرة.. وبأسماء مختلفة. نزل لأسباب محددة.. مهمة يؤديها ثم يرحل، يصعد من جديد ليعود ويهبط وقتاً آخر بتفاصيل جديدة هى الأخرى.. كما فعل من قبل.

وقصة «المسيح» متكررة فى التاريخ.. لمواليد قيل فى زمانهم أنهم ولدوا.. دون أب وهؤلاء كانوا «المسيح».. أو هم صورة من صور المسيح، ولم يجد الناس وقتها تفسيراً إلا الاقتناع بأنهم ولدوا دون أب.

فقد هبط على أهل «إيران» باسم «ميثرا» قبل ما يزيد على ٦٠٠ سنة قبل الميلاد، ونزل على أهل الصين.. باسم «بوذا».. و«بوذا» يعنى «المسيح».. أو «المخلص».. و«بوذا» عبدوه ثم ألهوه قبل أن يصعد للسماء.

وكان كريشنا نبى «البراهمة» من الهنود «مخلصاً» أيضا.. أو كان «مسيحًا» هو الآخر. فقد ولد كما يزعم الهنود من أم دون أب.

ومن قبل هؤلاء.. كان «بعل» معبود بابل.

«وبعل» كتبت قصة محاكمته على صخور البابليين.. هى هى، نفس قصة محاكمة الرومان ليسوع المسيح.. قبل ميلاد عيسى ابن مريم بأكثر من عشرة قرون.

والأغرب أن قصة بعل كانت غامضة وحزينة، وقد اكتشف العلماء صخوراً «سومرية» تحمل تفاصيل نفس قصة «بعل» باسم آخر.. وأبطال آخرين، وكانت القصة السومرية هى نفس قصة ميلاد سيدنا عيسى ابن مريم وصلبه ثم قيامته فى اليوم الثالث.

طوائف الأهرام يؤكدون أن الأمر ليس غريباً.. والكل صادق، سواء الهنود أو البوذيون مروراً بالسومريين وأهل إيران القدماء.. لم يكذب منهم أحد، ولم يقولوا بغير ما حدث.

فالمسيح ينزل كل فترة.. مرة هنا، ومرة هناك.

أما «ميثرا» فظهر أول مرة قبل ما يزيد على ٦٠٠ عام قبل الميلاد، وانتقلت ديانته لروما سنة ٨٠ قبل الميلاد. وانتشرت فى بلاد الرومان، قبل صعودها للشمال الإيطالى وبريطانيا.. وقد اكتشف الآثاريون آثاراً لها فى مقاطعة «يورك» ومانشستر.

وعند «عبدة الأهرام».. «ميثرا» هو المسيح فى إحدى مرات نزوله على الأرض، فقد ولد فى ٢٥ ديسمبر، وبعد حياة حافلة.. قتلوه، ودفنوه، إلا أنه عاد للحياة.. وقام

من قبره بعد أيام.

لكن لماذا قتلوا «ميثرا»؟!

يقول «الميثرائيون» إن «شفيعهم» مات مخلصاً البشر من خطاياهم، ليصعد بعد مماته للسماء، أما تلاميذه.. المنتظرون قيامته مبتهلين مهللين فكانوا ١٢ تلميذا.

وفى أوصاف «ميثرا» أنه «الحمل الوديع»، وكان أتباعه وتلاميذه يعمدون باسمه، وكانوا يقيمون عشاء مقدسا فى ذكراه كل عام.. يتناولون فيه جسد الرب ودمه.

وميثرا عند أتباعه «رمز» للطهارة.. وتاج للمؤمنين.. الذبيح الفادى، شفيع المذنبين عند ربهم. وهو الوسيط بين الإله والإنسان.. وهو شمس الحياة.

أما بوذا.. فله القصة نفسها .

فقد تأكد فجأة، أنه أصبح «بوذا».. أى «المخلص» والإنسان «المستنير». عالم الحق. وقتها تساقطت عند قدميه هموم الدنيا كلها.. بعد ما انكشفت أمامه.. وانكشف عنه الحجاب.

ثم اهتدى لطريقة حل جميع المشاكل.

أما الحل. فكان الحقائق النبيلة. فقد ركز «بوذا» تلك الحقائق فى هدف واحد.. تتجلى بعده أو عنده كل الحلول الفرعية.

الهدف كان الإيمان. الإيمان الشديد أنه لاحياة دون رؤية صحيحة، رؤية كل شىء وفى أى شىء. فكرة صحيحة، وفهم صحيح. وبالتالى عمل صحيح. ثم تأمل صحيح.. وأخيراً كلمة صحيحة.

كل هذا لن يحدث إلا مع الاعتقاد والإيمان الشديد بأن الحياة فى حقيقتها تعيسة، وأن مصدر التعاسة هو أنانية الإنسان وشهواته.. وحبه لنفسه.

كل تلك الكوارث لن يستطيع الإنسان الهروب منها إلا بالزهد.. والرفض.. زهد كل شىء، ورفض أى شىء.. رفض كل متع الحياة، لأنها صورية، «تبرق» من الخارج، «فاضية» من الداخل.. وقتها ووقتها فقط، يصل الإنسان لما يقترب من

الكمـال، والتجدد. فـالتجرد هو أصـل العالم، وحـقيقة المخلـوقات.. وحقيـقة كل حقيـقة فى هذا الـعالم. وبالزهـد يصعد الإنـسان سلم الخلـود.. ثم «النيـرفانا».. أو الدرجـة العالـية من الـشفافـية، حيث تـنتهـى الشهـوات والرغبـات. وهناك.. عـند «النيرفانا».. كل شىء «عدم».. يعنى كل شىء، لا شىء».

كل شىء خاوٍ فى أعماقه، أو لا شىء من أصله.

«فالنيرفانا» هى مرحلة طلب لا شىء، ورفض أى شىء.

لذلك زهد «بوذا» فى حـياته، منتظرا «العلم الجـديد» أو «الإيمان الجديد». وما أن بلغ عامه الواحد والعشـرين، حتى هجر بلدته متفرغاً للتأمـل والبحث عن الحقيقة.. وتحول لصعلوك محترف متجول متسول في أى مكان.

وعلى هضبة التبت، اكتشف أن حلول مشاكل كل خلق الله عنده هو وليست فى الكتب. وأن الـزهد ـ والزهد وحده ـ هو الحـل الوحيد والأسرع لكـل المشاكل.. أو هو الحل الأفضل.

وهو ما قـرره فعلا. فامـتنع لسنـوات طويلة عن الأكـل.. إلا القليـل.. والشرب أيضا. ولما ضعف ووهن ، وبرزت عظام جسمه ووجـهه وفكيه، اكتشف أن ما يفعله لا يفيد. وأن دعوة الناس لاكتشاف أخطائهم أفضل.

لذلك استقال من إضرابه.. ومشى مبشرا وهادياً ونذيراً بين الناس.

ولم تكد تمر سنوات قصيرة، حتى انتشر مذهبه دون أن يراه أحد.. حتى تلاميذه، لم يعودوا يرونه.. لقد ذهب دون رجوع.

قيل إنـه رفع للسماوات. وقـيل إنه بمكان ما عـلى الأرض ينتظر سـاعة الخروج. ومع أنه اختفـى، إلا أن كلماته لا زالت على معبـده بهضبة التبت: «إن الحيـاة تعيسة وشاقة. حب الإنسان لنفسه هو أصل تلك التعاسة.. فلتزهدوا.. ليزهد الكل».

وبعد اخـتفائه انـتشرت البـوذية بسرعة فـى كل أرجاء القـارة الآسيوية، ثـم شبه جزيرة الهنـد. وفى القرن الثالث قبـل الميلاد، تحول الامبراطور «اشوكـا» الهندى فى «البنجاب» للبوذية، الأمر الذى أدى لانتـشارها فى دول سيلان وبورما وجزر الملايو

وأندونسيا وأفغانستان والصين.. وبعدها كوريا واليابان. وظلت حتى يومنا هذا الدين الرسمى للتبت. ودول أخرى. كلهم قدسوا بوذا.. وألهوه.

وبوذا عند «الرمز الواحد» هو المسيح فى إحدى فترات تجليه على الأرض فبوذا ولد ـ كما يزعم بعض البوذيين ـ من عذراء بغير رجل. وقيل إن ملكا صينيا تبناه وهو فى عامه العاشر أو الخامس عشر. وجاءت ولادته بعد حلول للروح المقدسة فى أمه.

فنزل «بوذا» فورا من مقعد الأرواح فى السماء، ليدخل بطن أمه التى صار رحمها شفافاً كالبللور النقى.

وظهر منها بوذا كزهرة جميلة تسر الناظرين.

وكالمسيح عيسى ابن مريم، دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى السماء.. نجم غريب.. لم يظهر من قبل.. ظهر يوم مولده.. الخامس والعشرين من كانون أول.. ديسمبر.. ليلا.

وقد عرف بوذا حكماء زمانه، وأدركوا أسراره اللاهوتية.. ولم تكد تمضى أيام على ولادته، حتى جاء الناس وادعوا أنه إله الآلهة.. وقدموا الهدايا الثمينة من جواهر وماس وألماظ نادر.

وكان بوذا ولداً نحيفاً.. وديعاً، وكلم الناس فى المهد قائلا أنه أعظم الناس جميعاً.

ووصل خبره للملك «جمارا»، فخاف على عرشه منه، وأراد أن يقتل هذا الغلام. إلا أن أم الطفل هربت به لمقاطعة أخرى.. وأخفته لينجو من مكيدة نصبت ضده.

وما هى إلا فترة قصيرة، سنوات، حتى بدأ بوذا دعوته.. فظهر له الشيطان «مارا».. حاول تضليله ووعده بامبراطورية العالم لو توقف عن الدعوة. وساومه.. رغبة ورهبة، إلا أن «بوذا» زجره، ورجمه بالحصى حتى ابتعد. وأمطرت السماء زهراً.. وامتلأ الهواء بعبير طيب.. لقد انتصر «بوذا» على «مارا»، وبدأت الدعوة المنتظرة منذ آلاف السنين. وها هو «المنتصر» ينزل من مقعده فى السماء لينشر النور

فى الظلمات.

بعـد معركـته مع الـشيطـان، عمّد بوذا نـفسه فـى أحد الأنهـار، وانطلـق معلـماً وهادياً.. وعندما مات، ودفن.. شق قبره فوق الطـبيعة، وأعاد نفسه للحياة.. وأوصى أتباعه بالشفقة والحب، حتى مع الأعداء.

وأكد لهم أنه سيـعود للأرض. ليواصل دعوته ويستـعيد وجوده. ثم يملأ الأرض سعادة ونعيما.. وخلاصا.

وبعد الخلاص، سيوكل «لبوذا» حساب الناس على أعمالهم.

وقد حُكـى عنه بعد قـيامته من قـبره أنه قال: «إنـنى أحمل سيـئات البشر عـنهم ليصلـوا للسلامة»، وقال لتلامـيذه «أخفوا أعمالكم الـطيبة، وأعلنوا علـى أخواتكم سيئاتكم التى تـرتكبونها» ونادى بعدم الزواج.. وشبهه بالاحتـراق فى الفحم.. لكنه أجازه خوفاً من الزنى.

ونصح تـلاميذه بالبعـد عن الدنيا، والـتنازل عن الغنـى والمال والأملاك والأولاد والأنفس.. والجهاد فى سبيل الله.

و«بوذا» عند الـبوذيين.. وعند «عبدة الأهرام» الابـن الوحيد للإله.. المتـجسد فى صورة إنسان، وقد قدم نـفسه ذبيحة ليكفر عـن ذنوب بنى جنسه، لهذا فهـم يسمونه «المخلص».. والابن.

وهو المسيح الثانى عند جماعات الأهرام .

أما «كريشنا» نبى البراهمة الهنود.. فله القصة نفسها.

وهو «المسيح» فى إحدى صور تجليه الأولى عند جماعات الأهرام.

ولد من عذراء اسمها «ديفاكى»، اختارها ربه والـدة عفيفة لابنه.. فقد كانت نقية طاهرة.

وكريـشنا أيـضا عُرف يـوم مولده مـن نجم ظهـر فى السـماء. وسبـحت الأرض باسمـه، وأنارها القـمر بنوره، كمـا ترنمت الأرواح وغنت.. وهـامت الملائكـة فرحاً وطرباً.. ورتل السحاب الأغانى السعيدة.

وقد ولدت «ديفاكى » كريشنا بغار مظلم.. فى الشتاء، وكانت ذليلة. فقيرة، وفور نزوله من رحمها، أضاء الغار نور عظيم، خرج من وجه «ديفاكى» واستقر فى وجه الابن.

وعرفت إحدى البقرات «كريشنا»، وعلمت بألوهيته.. فسجدت له، وآمن الناس كلهم به. اعترفوا بلاهوته وقدموا له هو الآخر هدايا عظيمة من صندل وطيب ومر ولبان.

وطار خبره هنا وهناك، حتى وصل أسماع ملك الهنود «نارد». و«نارد»» كان جباراً شقياً.. وكان غبياً أيضاً، يعانى من عيب عقلى. وصله الخبر وهو يلعب «الشطرنج».. أو لعبة شبيهة فى حديقة قصره.

وتأكد أنها أيام ميلاد الطفل الإلهى.. وأن كريشنا ليس إلا هذا الطفل. فزاره فى مدينة «كركول»، وفحص الكهنة ما فوق رأسه من نجوم.. وتأكدوا أنه الطفل المزعوم كما قالوا من الأزمان القديمة.

وتأكد «نارد» أيضا.. فخاف على عرشه، وسعى لقتله.

وفى ديانة البراهمة الهنود. أن «كريشنا» انبثق من الإله براهما.. رب الأرباب، الذى أوجد نفسه قبل الخلق.. وخلق الخلق، ثم سمى نفسه الخالق.

أما ابنه «كريشنا» فهو الذى خلّص الإنسان وأبناءه بالموت بدلاً منهم.. لذلك يصوره البراهمة مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين.. على قميصه صورة قلب إنسان معلّق.. كناية عن ذل الإنسان إن هو لم يرض «كريشنا» بالصلب.

يعنى.. «كريشنا» وهب نفسه وقلبه وجسده وروحه من أجل نقاء واستمرار بنى آدم كلهم فى سعادة.

أما «بعل».. فكان مسيح «بابل القديمة».. مخلصها الأوحد ثم «فاديها» كما صورته ووصفته رسوم قديمة نقشت عليها قصة ميلاده، ومحاكمته ثم مماته وقيامته من جديد.

والقصة تبدأ من أسره واقتياده للمحاكمة بعدما قال أفكاراً ترفض الأصنام وعبادة

الأوثان.. فحاكموه.. وحكموا عليه بالإعدام، لكن الجماهير الغاضبة كان حكمها أوسع وأعنف. فلم ينتظروا تنفيذ الحكم، إنما اتحدوا عليه فور خروجه من قاعة المحاكمة.. «وجرجروه» على الأرض، مزقوا ثيابه.. وجرحوه، قبل أن يفض الاشتباك جنود الملك.

وفى الصباح.. نفذوا حكم الإعدام على قمة الجبل.

فعم الظلام، وانطلق الذعر. واضطربت أحوال الناس، فأمر الملك بحراسة قبر بعل خوفاً من سرقة الجثة. وتصور إحدى المخطوطات البابلية القديمة أختين جالستين حول مقبرته تبكيان قبل قيامته .. وقد قام بعل فى اليوم الثالث، وكلم تلاميذه بعد ما مشى الحراس ،أمرهم أن ينتظروه فى مكان ما. وقال إنه سيوصيهم بكلام يضعونه حلقة فى آذانهم..

وقد قام بعل فى عيد الربيع، وصعد للسماء، ووعد بأنه سيهبط مرة أخرى لخلاص العالم. خلاصه من يأسه ومعاناته.. خلاصه من ظلمه وجبروته وخلاصه من نفسه.

قال إنه سيعود آخر الزمان تماما كما فعل «عيسى ابن مريم».. فالتاريخ ملىء بألوف المسحاء؟!

العلماء أيضا قالوا مصيبة

التوراة تكشف وحدها عن مائة مسيح.

ابتداء من هارون شقيق موسى، وشاؤول، مروراً «باليشع» و«داود» ثم سليمان الحكيم. لأن لقب «مسيح» سمى به كل من مُسح بالزيت المقدس منذ عهد يعقوب عليه السلام. وكان المسح بالزيت المقدس من أعظم الطقوس والشعائر.. تكريماً للإنسان والأماكن.. فكل ما يُمسح يصير ممسوحاً ومسيحاً مقدساً لله.

ولم يُمسح به سوى الكهنة والملوك والأنبياء والقديسين.

ولذلك سُمى كل من مُسح به مسيحاً.. وقد أمر الله موسى بأن يمسح بالزيت كل من المذبح والهيكل لأنهما مقدسان. ثم أمره بأن يمسح شقيقه «هارون» مسيحاً مقدساً. كما ورد بسفر اللاويين.

كذلـك فعل «صمـوئيل» مـع «شاؤول»، بعدهـا أصبح «شـاؤول» مسيـحاً مخلـصاً لشعب إسرائـيل. وكما أورد سفر صموئيـل الواقعة نفسها: غـداً في مثل الآن أرسل إليك رجـلا من أرض بنيـامين، فأمسـحه رئيسـاً لشعب إسـرائيل، لأنى نـظرت إلى شعـبى لأن صراخهـم قد جاء إلـىّ. فلما رأى صـموئيـل شاؤول أجابه الـرب هو ذا الرجل الذى كلمتك عنه يضبط شعبـى. فتقدم شاؤول إلى صموئيل فى وسط الباب وقال أطلـب إليك أخبرنـى أين بيت الرائـى» فأخذ صمـوئيل زجاجة الـزيت وصب على رأسه، وقبله وقال: «البس لأن الرب مسّحك على ميراثه رئيساً».

أما الـنبى إيـليا، فـقد أمره ربـه بأن يمسـح بعض الأشـخاص ملـوكا، إلا اليـشع، فيمسحه نبيا على بنى إسرائيل.

ثم داود النبى، الذى صـار مسيحاً هو الآخر. ويذكر داود قصة مـسحه فى مزمور ٤٥ عدد ٧ وسليمان النبى، الذى جعله مسيحياً فيحبه شعبه وهم يغنون وينفخون فى الأبواق.

❑

للهرم بـناة معروفون للـجميع هم: «خوفـو» و«خفرع» و«منقرع»، وهـى الفكرة التى كانت كفيلة بإثارة تصوراتنا تجاه.. إحـدى عجائب الدنيا السبع. لكن الأمر عند طوائـف عبـدة الأهرام مخـتلـف.. وغريب. فـلا بانـى الهرم الأكـبر «خـوفو»، ولا «خوفو» خـلفه ابنـه «خفرع».. أما «مـنقرع» فهـو شخص لم يـشر إليه أصـلا تاريخ الأهرام.

ربما كان ملكا فرعونيا، أو ربما كان فرعونياً فقط.. لايهم.. المهم هو أن الأهراميين اعتقدوا أيضا فـى أن عملية بناء الهرم تمت فيـما سبق الفترة التى أعلن عـنها التاريخ الحديث بما يزيد على ٩ آلاف عام . والنتيجة التى خرجوا بها هى أن تاريخنا، وتاريخ العـالم كاذب.. وكـاذبة كـل التكـهنات لأن «الأهـراميين» لـم يقتـنعـوا إلا بوثيـقة «مختصر تاريخ العجائب». والوثيقة لا تحمل اسم خوفو ولا ابنه ولا ابن أخيه.

لذلك فالذى بنـى الهرم «سوريد بن سلهوق».. وهو من أبنـاء «مراكيل بن داويل بن عرباق بن آدم». أى أن بانـى الهرم هو الحفيد الخامس لآدم أبى البـشر. وأن عملية البناء تمت فى الخمسة قرون اللاحقة لنزول آدم على الأرض .

وحسب نـصوص الوثيـقة نفسـها، كانت أرض مـصر تسمـى «أمسوس» يتـولى عرشها ملك.. كاهن اسمه «عنقام» من أبناء عرباق بن آدم.

عاش «عنـقام» قبل الطوفـان وتنبأ به. وتـنسب له كثير من الروايات التـى تحكى قصة الخلق بالتفصيل.

الوثيقة أيضا تقول إن أول من حكم مصر قبل الطوفان «مصرايبم» بن مراكيل بن داويل بن عربـاق بن آدم. «ومصرايبم» خرج من شبه الجزيرة العربية واتجه غرباً مع بعض أبنائه بحثاً عن مكان يقيمون فيه. ولما وصلوا لنهر النيل. ساروا بمحاذاته حتى وصلوا «للدلتا».. فاستقروا هناك.

وبنى «مصرايـيم» مدنا كثيرة، أسكن فـيها أبناءه وزوجاتهم، وحـفر الترع وخزن المياه لأول مرة فى التاريخ.

وثيقة مـختصر العجائـب تشير إلى أن الحال اسـتقام «لمصرايبم» الحـاكم سنوات طويلة، وأن مصرايبم لـما شعر بأنه كبر وشاخ، أمر أبناءه ببناء سـور عال وكتب عليه بيده «أسرار الحكمة».

ولما أحـس أنه قرب علـى الموت، قسم الحـكم بين أولاده. فأعـطى الغرب لابـنه «نقراوس»، والشرق لابنـه الآخر «سوريد» ثم أعطى ابنه الأصغر «مصـرايبم» مدينة «يربان».

ومن ملوك مـصر بعد «مصرايـيم».. الملك «خصلـيم»، وهو أول من بنى مـقياساً للنيـل . وتمضى وثيقة مختـصر العجائب فى سـردها ملوك مصر بعد خـلق آدم حتى تصل لـ «سوريد بن سلهوق» الحفيد الخامس لجدنا آدم.. أبى البشر.

كل طوائف الأهرام تـنسب «لسوريد» بناء الـهرم الأكبر، وقالوا إنه أنشـأه لمشيئة «الروح» بعـد رغبتهـا. وإن «سوريد» هو «إسحـاق الرسول» وتقـول بردية مخـتصر العجائب إن سوريد أنشأ آثاراً أخرى كبيرة، وأوصى بتحنيط جثمانه وجثمان أبنائه.

وقد أتى بـأحجار الأهرام مـن أسوان بعد مـا انشقت عـنها الأرض هنـاك. وقال «الصليـب القرمزى» أن الملك «سوريـد» فتح للهرم سـراديب تحت الأرض، ووضع على مداخلها تعاويذ وطلاسم كى لا يعرف طريقها أحد.

قالوا أيـضا إن «سوريد» كتب هـذه الكلمات عـلى لوح حفظ فى أحـد سراديب

الهـرم «أنا الملك.. بـنيت هـذا فى ستين عـاماً، فليـحاول من جـاء بعدى هدمـها إن استطاع فى ستمائة عام. مع أن الهدم أهون من البناء».

قالوا أيـضا أنه كتـب على حائـط ما فى الهرم قـصة «ملك عـربى» سينـزل مصر مبهوراً بالأهرام، وسيحاول هدمها ليرى ما بـداخلها، إلا أنه سيعجز.. وسيفتح فقط فتحة صغيرة فى الناحية الشرقية.

وهو ما حدث فعلا.

فقد جاء الخليفة المأمون بن هارون الـرشيد لمصر، وأصدر أوامره بهدم هذه الجبال الحجـرية.. وفشل عـندما اكـتشف رجالـه أن عرض الحائـط الواحد عشـرون ذراعاً (عشرون متـراً تقريبا)، ولما دخـل بعضهم لهـدمه من الداخل. انحـدروا فى سرداب طويل، وعاد بعضهم بينما لـم يعد الآخرون.

أما الذيـن عادوا فقالـوا إنهم رأوا وطاويط وكـائنات متوحـشة طائرة فـى حجم النسور والعقبان المنقرضة .

أما الطوفان مـشكلة المشاكل فى كل الـديانات، فقد أغرق مصر فـى اعتقاد أفراد جماعة «الصليب القرمزى» فى زمن الملك «فرعان بن ميسور»، وبلغ ارتفاع الماء ربع الهرم.

وأول من حكـم مصر بعـد الطوفان كان «مـصراييم بن بـيسر بن حـام بن نوح» الذى تزوج بنت أحد الحكماء لينجب «قبطيم».

«وقبطيم» تزوج فى التسعين من عـمره فأنجب «قفطاريم» و«أشـمون» و«اتريبب» و«صا» وبنى «مصراييم» مدينة «مافا» (منف فيـما بعد). وقتها كشف له حماه العزيز عن كل كنوز مصر الخبيئة قبل الطوفان. وعلمه قراءة الكتابات القديمة.

وحكـم «قفطـاريم» بعد «قـبطيـم»، وبنـى أهراماً فـى دهشور، ثـم أسس مديـنة «دندرة».. وكانت مـدة حكمه أربعمائة عـام. وهو الذى أقام عند «قفـط» منارة يرى من أعـلاها البحـر الشرقـى كله. وفى عـهده اكتـشف «الشيـطان» أغلـب التماثـيل والأصنام الـعالية الـتى أغرقهـا الطوفان فـأحياها لـتمشى إلـى أماكنهـا فى الهيـاكل وترجع حجراً كما كانت من قبل .

ويقال إن «قفطاريم» بنى لنفسه قبراً فى الجبل الغربى، وحفر داخله قاعات كبيرة ملأها بالكنوز.. وأحاطها ببهو كبير كسا سقفه بالجواهر.. وأجلس جثة أبيه المحنطة على عرش من الألماظ وسط هذا البهو.

كذلك وضع تمثالين من النحاس على باب القبر يحمل كل منهما سيفاً ودرعا، وأمام هذين التمثالين كانت مصطبة «يدوسها» الداخل للقبر فيتحرك ذراعا التمثالين ليقطعا هذا الغريب الداخل بالسيوف ثم بنى مدينة بمصر أطلق عليها اسمه، وفتح لها أربعة أبواب، أوقف على كل باب تمثالا من نحاس، فإذا وصل للبلدة غريب، تلقى عليه التماثيل بالنوم فلا يفيق أبدا.

ثم تولى «بودير» بعد موت «قفطاريم».

و«بودير» كان عالماً جليلاً، أتقن فن الطلاسم والكهانة والسحر، وكان مثقفاً وشغوفاً بالعلم، لذلك أرسل قائده «هرميث» للكشف عن منابع نهر النيل. ولما بلغ القائد المنابع، أخبره الملك فى إحدى الرسائل بكيفية صنع الطلاسم. وأمره بوضعها عند منبع النهر وإخفائها عن أعين أى مخلوق.

تقول الحكايات إن «بودير» اختفى اختفاء غامضاً أواخر أيام حكمه. وقيل إنه عاش فى السحاب. وقالوا أيضا أنه رُفع للسماء بناء على أوامر «إلهية»، ثم نزل بعد فترة عند طلوع الشمس وهى فى برج الحمل. ونادى على جنوده وأمرهم بأن يتوجوا ابنه «عدييم» ملكا بدلاً منه.

أما طائفة «الصليب القرمزى» فتعتقد أن روح الأب قد حلت بجسد ابنه «عدييم» وعدييم كان جباراً عنيداً. ومات وعمره تسعمائة وثلاثون سنة. وخلفه ابنه «شيراد» الذى ينسب له «الأهراميون» بناء معبد أرمنت الحالى.

ومات «شيراد» ثم جاء «منقاروس» الذى نسب له أن أول من قسم غلال مصر إلى أربعة أرباع. ربع للملك وخاصته، وربع للجيش، ثم ربع لاستصلاح الأراضى وإقامة الجسور والقناطر وحفر الترع.. والربع الأخير للطوارىء.

تقول بردية مختصر تاريخ العجائب إن فترة حكم «منقاروس» كانت أخصب فترات التاريخ القديم، إذ بلغ الإيراد العام وقتها ثلاثمائة مليون قسعة. وكانت مصر مقسمة وقتها لمائة وثلاث مقاطعات.

بعد «منقاروس» جاء «متاويس».. ومتاويس أول من عبد العجل في مصر. ثم جاء أشمون بن قبطيم، ثاني أعظم ملوك العصر القديم عند «عبدة الأهرام».. حكم «أشمون ابن قبطيم» ثمانمائة عام.. ووقع ملكه بعد موته في يد قوم سموا بالنسور، وهؤلاء احتلوا البلاد لمدة زادت على التسعين عاما، ثم رحلوا.

وأنشأ أشمون مدينة (بهنسا)، وتولى بعده ابنه «مناقيسوس»، ثم الملك «مارقور»، وهو في كتب «الصليب القرمزي» أول من استألف الحيوانات المتوحشة والضواري، وروض الأسود والثعابين.

أما أول «الفراعنة» عند الصليب القرمزي، فكان «طوطيس»، الذي تقول عنه عقائد «الصليب القرمزي» و«الرمز الواحد» أنه ذلك الرجل الذي حاول اغتصاب سارة زوجة إبراهيم. وكان إبراهيم (عليه السلام) قد ادعى أنها أخته لما قدم لمصر، فكان كلما همَّ الملك «بسارة» يراودها عن نفسها، تتوقف ذراعه عن الحركة.. وتتيبَّس، فيطلب من سارة دعوة ربها ليبرأ.. فتدعو سارة، ويبرأ «طوطيس» ثم يحاول من جديد. ويكلمها لتدعو ربها فتدعو فيبرأ ثم يحاول.. حتى يتوقف عن المحاولات تماماً.. ويتوب، ويقدم سارة لابنته «حوريا» لتصبحا صديقتين.

بعد موت الملك «طوطيس»، تولت الحكم ابنته «حوريا»، وهي الملكة التي وجه إليها ملك سوريا «العمليقي» جيشا جراراً بقيادة «جيرون» ليهزم الجيش المصري.. ويبدأ حكم أسرة العمالقة لمصر.

ثم يخلف الملك «جيرون» الملك «نهراوس».. و«نهراوس» كان طويل القامة.. ومنظره جميلا، وكان يعلم السحر وله خبرة بالطلاسم.

بدأ «نهراوس» حكمه بالعدل والقسطاس، إلا أنه تحول لشرير بعد فترة قصيرة.. وانغمس في الملذات والمتع، وبعدما كثرت النساء في قصره، ترك السلطة «لقفطير» تابعه الأمين.

ويعتقد معظم طائفة «الرمز الواحد» أن «قفطير» هو عزيز مصر الذي ذكره القرآن.

وقفطير كان حاكما عادلا، ونزيها. و«الرمز الواحد» يؤكدون على أنه باني حصن

«بابليـون» (قصر الشمع) الذى ظـل أفضل قصور الثقـافة والعدل حتى احتـله الملك بختنصر لما دخل مصر.

وبعد قـفطير تولـى مصر «داروم».. و«داروم» هو الفرعـون الثالث عنـد طوائف الأهرام. والـفرعون الـرابع كان «دريمـوس» الذى اشتهـر بقدرات وأعـمال غريـبة، ويعتقد أفـراد «الرمز الواحد» أنه صنع فـرنا يشوى الطعام دون نار (مـيكرويف!!). وصنع سكينا آليا تأتى إليه البهائم من نفسها.. لتذبح نفسها .

وكان عليما هو الآخر بالطلاسم والسحر وتسخير المردة.

أما فرعون مـصر الخامس.. فكان «مـيلاطس بن دريموس». وهو الـذى غرق فى النيل وطفت جثته بعد أيام.

وفرعون موسى عـند طوائف الأهرام هو «طلما بن قـومس».. من أرض الشام.. لبنانى شعره أصفر، أعور العين، طويل اللحية، وكان قصير القامة أعرج.

وظل «طلما» قائما على ملك مصر ثلاثة قرون.. يعنى ثلاثمائة عام دون مرض.. أو ملل. ولما مرت السنوات الثلاثمائة ادعى أنه رب الأرباب، خالق خلق الله، محيى الموتى، ومميت الأحياء وهو على كل شىء قدير.

وقال القبط من أهل مـصر القدماء أن «طلما» غرق فى «بركة الـغرندل» المعروفة فى التوراة باسم «بحـر يوسف». أما جماعة «الصليب القرمزى» فـاعتقدوا فى غرقه بالبحر الأحمر، إذ أشار الهرم إلى حيث عبر موسى مع بنى إسرائيل للبر الآخر.

❑

التـاريخ وعـلماء الآثـار يؤكدون أن بـناة الأهـرام ثلاث مجـموعات رئيسـية.. قسمـوهم للملوك أعطـوا الأمر بالبنـاء، ثم مهندسين ومـوظفين كبار تـابعوا العمـلية، وانتهاء بعمال وحرفيين نفذوا ما طلب منهم..

ولم يكن البناء حدثا مفاجئاً، فقد بدأ تدريجيا منذ بداية الأسرة الثالثة.. بالتحديد عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد.. واستمر حتى الثالثة عشرة من أسر الفراعنة القدماء.

يعنى ١١ قرنا متصلة دون توقف.

«وبالعقـل» استطعنا أن نـعرف أصحاب الأهرام ومهنـدسيهم وعمالـهم وأسماء زوجاتهـم. ولما عُثر عـلى التوابيت وبها مومـياوات بعض أصـحابها كـان يجب أن تفاجأ طوائـف الأهرام بتلك النتيجة. لأن المـومياوات كانت لبشر عاديـين، يحملون نفـس صفات الجـسم البـشرى.. عيون وأفـواه.. وأذرع، وأرجل.. يعـنى هم بـشر، وليسوا جنساً آخر من السماء.

أيضا هم ليـسوا من سكان الكواكب الأخرى.. ولا جاءوا لـلأرض وسكنوا قارة أطلانطا، وانتقلوا لمصر وبنوا الهرم ثم رحلوا لكوكبهم بعد ما غرقت قارتهم .

«بالعقل» أيضا لم تـعد أسماء المهندسين مبهمة. فالمهـندس «حم ثيونون» ابن عم الملك خوفو كان المشرف العام على هرم خوفو. وتخصص «هع مواس» ابن رمسيس الثانى فـى ترميم أهرامات جبـانة منف. كذلك طبـقة «الحرفيين» والصنـاع القدماء، عرفنا بـعض أسمائهم والكثـير من أشكالهم الأولـى قبل الوفاة. وليس غريـبا عثور الأثريين الـفرنسيـين على مدينـة عمال هرم خـوفو بالقرب مـن منطقـة «الأهرامات الثلاثة» إذ إن العمال ماتوا وهم يبنون.

وعثر الأثريـون أيضا على «الأزاميـل» «والمطارق».. حتى ميـزان الماء.. وجدوه، وأكدت الأبحـاث العلميـة بدورها أن الهيـاكل العظميـة للعمال يـعانى أغلبـها من مشاكل صـحية أسفل الظهـر وفى العمود الفقـرى نتيجة الأحمال الـزائدة لأحجار الأهرام التـى ساهموا فى حـملها ورفعـها، ثم تنسيـقها لمدة عشـرين عاما متـواصلة فالأهرام ليسـت أبنية أسطورية لحفظ أسـرار أبناء قارة أطلانطس الفـضائيين. إنما.. أشكال معمارية تطورت تدريجيا حتى مل الفراعنة استخدامها وانصرفوا عنها.

عالم المصريات الفـرنسى «نيتولا جريمال» يرى أن فكرة دفن المـوتى عند المصرى القديم بدأت بوضع الميت داخل حفرة بيضاوية أو مستطيلة، تغطيها كومة من التراب والحجـر فى عصر مـا قبل الأسرات. وتـطور ذلك البـناء ليرتـفع عن الأرض شيـئا فشيئاً.. حتى ظهرت «المصطبة».

بعـدها.. قـرروا بنـاء أول الأهرام.. مـجمـوعة مـصاطـب فوق بـعض، وظـلت الأخطاء المعمارية تتكرر حتى انهار هرم ميدوم على رؤوس آلاف العمال المصريين.

ولم يكن العمال المصريون قروداً ـ كما يزعم بعض الأهراميين ـ فلا قامت المخلوقات الفضائية التى استوطنت قارة أطلانطس بإحداث تغيير فى جينات قرود «الاكوادور» الوراثية.. وحولتها لإنسان.. لقنه العلماء الأطلانطسيون أصول الفلك.. والهندسة، فبنوا الهرم الأكبر، لينسحب الأطلانطسيون بسره وحقوق اختراعه، فيما كان «قرود الاكوادور» الذين هم العمال المصريون فى الوقت نفسه يجهلون عن هذا البناء.. كل شيء.

وفيما كان «القرود» يجهلون «أى شيء» عن الأهرام، كانت قارة اطلانطس تغرق وتدفنها المياه.. وتدفن معها كل التصورات والخرائط و«ماكيتات» بناء الأهرام.

قصة الكائنات الفضائية اقتبستها طوائف الأهرام من الكتب الدينية، ومع أن الواقع أن الكتب الدينية لم تتكلم بطبيعة الحال عن الفضاء وكائنات الفضاء. إلا أن طوائف الأهرام رأوا أن هذه الكتب تحدثت ليس عن كائنات الفضاء فقط، إنما عن تماس المركبات الفضائية للأرض.

ويبدو أنه «الوسواس القهرى» وأنهم خلقوا الفكرة وتفاقمت ثم تطورت ليصدقها من اخترعها ثم يعتقد فيها ويدافع عنها آخر الأمر، حيث تشعبت واستمرت وتوغلت حتى قتلت كل منطقى فى رءوس من يجتمع كل عام عند الهرم بحثاً عن صفاء الروح.

فقد فسروا مقاطع من سفر «حزقيال»، وأشاروا لمخطوطات عثر عليها فى القرن السابع عشر، حملت تنبؤات «أخنوخ» (النبى إدريس جد النبى نوح) وأخيراً.. أكدوا أن كتاب الموتى الفرعونى ليس إلا مرثية لضحايا قارة اطلانطس الغارقة. فقد أراد الفراعنة رثاء أسيادهم المفقودين. أو أراد بناة الأهرام رثاء أقاربهم الذين أغرقهم المحيط هناك.. أقصى جنوب الأرض، مع القارة الغارقة. فقد عارضهم القدر.. حيث غادر بناة الأهرام «أبناء اطلانطس» قارتهم على متن أطباق طائرة، وجاءوا لمصر لبناء الهرم، ولم يكونوا يعلمون أن قارتهم ستغرق. وأنهم لن يروها ثانية. لذلك.. ولحزنهم الشديد بعد غرقها، نقشوا كتاب الموتى على جدران المعابد الفرعونية.. فقد كان حزنهم عميقاً.

وارتبطت «اطلانتيس» وأبناؤها الغارقون.. ببناء الأهرام.. وسفر التوراة.

وكان النبى حزقيال التوراتى أول من حكى ـ عند طوائف الأهرام ـ عن سفن الفضاء.

أو هو أول من شاهدها، وكلم رجال الفضاء.. وكلموه.. وسجل تلك الواقعة فى سفره المعروف باسمه فى التوراة.. وقال: «ريح عظيمة جاءت من الشمال. سحابة عظيمة ونار متواصلة حولها لمعان، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار.. من وسطها شبه أربعة حيوانات.. هذا منظرها.. إنها أشبه بإنسان، لكل واحد أربعة أوجه، ولكل واحد أربعة أجنحة. أرجلها قائمة، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل.. تبرق كمنظر النحاس المصقول».

الواقعة هى هى عند النبى أخنوخ.. ومخطوطته التى تزعم طوائف الأهرام اكتشافها فى القرن السابع عشر تحمل نفس مضمون قصة حزقيال النبى وتفاصيلها فقد قال أخنوخ أو إدريس النبى: «عندما كنت أتحدث إلى أبنائى، حملنى الرجلان إلى السماء وأنزلانى السماء الأولى، وأطلعانى على النجوم ونظمها ورأيت مائتين من الملائكة» .

أما البردية الفرعونية، فأشارت كما أشار حزقيال وأخنوخ: «فى الشهر الثالث من السنة الثانية والعشرين، رأى الكاتب دائرة من النار فى السماء، ليس لها صوت.. إنما طول وعرض الزورق الكبير. لذلك خاف الكاتب ومن معه.. وذهب إلى فرعون، واجتمع فرعون مع كثير من جنوده ليروا كرة النار.. وخافوا. وفى اليوم الثالث تكاثرت كرات النار فى السماء ولم يفهم أحد شيئاً».

واضح أنهم كانوا يصفون مجموعة نيازك .

لكن «الأهراميين» فهموا غير ذلك.

عرفوا أن كل هذه الحكايات أدلة قاطعة على هبوط الكائنات الفضائية للأرض. ومجيئها بالذات لمصر. فالفراعنة لم يكن بإمكانهم وحدهم إقامة تلك الصروح بهذه الأسس الهندسية والفلكية العلمية دون مساعدة، لكن وجود كائنات الفضاء الذين

شاهـدهم «حزقيال» وكتب عنهم «أخنوخ». وأرخ لهم الكاتب المصرى القديم ساعدهم.. وغير فى مفاهيمهم الكثير.

تزعم هذا الرأى طائفة «الرمز الواحد»!!

و«الرمز الواحد» مذهب تأسس بداية القرن التاسع عشر على يد أمريكى «مجنون».. غريب الأطوار اسمه چوزيف سميث.

جوزيف كتب إنجيلاً جديداً، وبشر به. وزعم أنه تلقى كلماته بالوحى الفرعونى. وأعاد فى إنجيله قصص تاريخ اليهود.

وغير «الرمز الواحد» كان «الصليب القرمزى» و«الأطهار» و«جماعة الضوء». وكلهم اعتقدوا مع اختلافات بسيطة فى أن الهرم أمر الرب.. نفذه العبد.. وسكنته الروح.

وهناك.. الخلاص قادم. وأن هرم خوفو هو منتصف العالم، وهو فى الوقت نفسه نقطة التماس بين السماء والأرض.

وما زاد «الطين بلة».. تأكيد العلم الحديث حقائق غريبة.

وهى أن هناك تشابها حاداً بين كل الحضارات القديمة، بالرغم من استحالة الاتصال على الأقل جغرافياً فيما بينهما. فاستحالة الاتصال الجغرافى بين أهرام مصر وأهرام المكسيك، هى هى نفس استحالة الاتصال ـ من أى نوع ـ بين حضارة التبت وحضارة الحبشة. أو كهوف جنوب ليبيا والجزائر و«الثعبان الطائر» فى «بيرو» وفى المكسيك.

لذلك جعلت طائفة «الرمز الواحد» من هبوط كائنات فضائية أمراً لاجدال فيه. ومعها كان العقل الإنسانى والمصرى القديم ـ علما ودينا وفنا ـ من السماء، بعد ما لقنها أهلها للإنسان.. تماما كما حدث مع الهنود الحمر.

فعندما هاجر الأوروبيون للعالم الجديد، تحول الهنود الحمر شيئاً فشيئاً إلى أمريكان. أو تحول الأوروبيون مع الهنود.. لشعب جديد.

أو هو ما حدث فى المكسيك.. عندما غزاها الإسبان، فقد وجد الإسبان أهل

المكسيك هنوداً حمراً. لهم ملامح أهل الصين.. المغول. لكن فى الوقت نفسه فإن لهم معلومات وخبرات عجيبة كادت أن تكون أكثر تحضراً من الأوروبيين الغزاة.

وقتها لم يتساءل أحد عن سبب حضارة هؤلاء «الغجر.. البدو». أو كيف حقق المكسيكيون هذا؟!

لكن السؤال نفسه طرحه العلماء بعد مئات السنين عن فراعنة مصر. من أين جاءتهم المعلومات الفلكية الدقيقة؟! كيف عرفوا التحنيط؟! وكيف بنوا الأهرام؟!

وما هو التفسير العلمى الحقيقى لأعواد ذهبية ناعمة، لا يمكن تشكيلها إلا فى درجات حرارة عالية تصل لعشرات الألوف من الدرجات؟!.. وأخيرا.. كيف يمكن أن يعرف الإنسان تلك الحرارة، وبهذه الدرجة.. دون مفاعل ذرى؟!

لم يكن عند جماعات «الرمز الواحد» ـ أمام كل هذه الأسئلة ـ إلا الإيمان.. الإيمان بأن كل الأحداث والصور والحكايات التى وردت فى التوراة، وفى ملحمة «جلجامش» العراقية، ثم الأساطير الهندية و«ترانيم التبت» و«أناشيد بيرو» وحضارة «الانكا». ثم ما جاء فى نقوش «تيواناكا» «أو «كهوف تسيلى» جنوب ليبيا والجزائر.. كل هذا جاء من السماء.. من فوق وسجلها أهل الأرض.

وكان أن تعاون أهل الأرض مع الفضائيين.

وأثمر هذا التعاون.. الهرم.

وهو الشاهد الوحيد على التعاون بين الاثنين.

لذلك لم تندهش طوائف الأهرام ـ مثلما أصيب العالم بالدهشة ـ لإجابة «أينشتين» عندما سئل فأجاب: «إننى أومن بأن هناك كائنات أكثر عقلا تعيش فى كواكب أخرى.. وقد تركت عندنا آثاراً ما» .

كذلك السوفيتى «تشايكوفسكى» أحد علماء الفيزياء الفلكية الذى يؤكد تأكيداً قاطعاً بأن هناك كائنات عاقلة، مشيراً إلى أنها هبطت للأرض يوما ما.

أما الأمريكى «كارل ساجال»، فقد كتب عشرات الكتب والأبحاث التى تدعم هذا الرأى. فقد جاءت تلك الكائنات للأرض، ولأسباب ما غير واضحة تماما غادرت، إلا أنها حتما ستعود .

وفى عام ١٩٦١ شارك مجموعة كبيرة من طوائف الأهرام فى مؤتمر عقده علماء الفيزياء الفلكية فى ولاية فيرچينيا الأمريكية، ضم أحد عشر عالماً فيزيائياً كبيراً.. وهناك، اتفقوا على أشياء كثيرة.. منها أن ما يزيد على ١١٢ ألف حضارة كحضارة ـ الأرض تستقر فى مجموعة النجوم القريبة منا. وأنه (حدث ثمة اتصال من نوع ما بين تلك الحضارات وبين الأرض. وأن أهل الأرض اكتسبوا كثيراً من الخبرات عن طريق هذا الاتصال).

والسبب، عناصر تركيب الحياة.. أو أكاسيرالإنسان. «الادنين» و«السيوستين» و«الجوانين» ثم «التمين». حيث أكد العلم الحديث أن هذه العناصر والمواد متوافرة على كل الكواكب.

لذلك.. لابد أن السماء مليئة بالحياة والأحياء.

واعترف مؤتمر عام ١٩٦١ بالأطباق الطائرة، وأكد أنها وسائل طيران متطورة جداً.. لا نعرفها، ولا يعرفها أى من سكان الأرض.. ولابد أنها جاءت من أماكن بعيدة جداً.. فى وقت قصير.

أما الأرض، فتوجد عليها ـ كما قالوا بنفس المؤتمر ـ آثار كبيرة وشاهقة للكائنات العاقلة التى جاءت فى وقت لم يحدد بعينه. واختفت أيضا فى وقت غير معلوم.. ولأسباب ـ هى الأخرى ـ غير معلومة.

لكن سكان الأرض أو بعضهم سجلوا هذه الأحداث على الكهوف والمعابد فى جنوب فرنسا وتنزانيا والعراق وجنوب ليبيا والمكسيك.. كما جاءت بالتوراة وسفر حزقيال، وتناقلتها أساطير الشعوب القديمة عن أناس جاءوا من السماء، علموا أهل الأرض الحكمة.. ثم اختفوا.

ومنذ ما يقرب من أربعين عاما مضت.. أو عام ٥٩، أثبت «جيوسيبى كوكونى» و«فيليب مورسيون» الفيزيائيان بجامعة «كورنيل» بالولايات المتحدة أن الاتصال مع الحضارات غير الأرضية ذات مستوى التطور القريب لحضارتنا يمكن أن يتم من وجهة النظر التكنولوجية.. بواسطة الأمواج الراديوية.

وقالوا إن الأمواج «الراديوية» هى مصدر الإشعاع الطبيعى الصادر من الأجرام

السماوية. وعام ١٩٦٠ وجه العلماء مرصد «جرين بانك» بولاية فيرجينيا أيضا جهة نجم آخر.. غير الشمس.. لأول مرة.. والهدف الإشارات الراديوية الاصطناعية.

كانت تلك بداية البحث الواعى على سبيل الاتصال الكونى مع الحضارات غير الأرضية. حيث تنطلق تلك الإشارات بسرعة الضوء (ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الساعة) وتصل ٢٠ نجما جديداً كل عام.

فلو افترضنا وجود كوكب على بعد ٥٠ سنة ضوئية (السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء خلال عام). وتعيش على هذا الكوكب حضارة متقدمة تستطيع إدارة هوائياتها وأجهزتها نحو الأرض، لتحقق الاتصال بيننا وبينهم. وأن هذا الاتصال يعنى تلقى كل منا لإشارات متبادلة، أو التلقى من جانب واحد لرسالة الفريق الآخر.

والاحتمال الثانى هو الأكثر تصوراً. إذ إنه يمكن للإشارة السفر مدة ٣٠ ألف سنة قبل وصولها للمستقبل التلسكوبى الراديوى على سطح الأرض. أى أنها - أى الإشارة - فى تلك الحالة ليست إلا بقايا حضارة أخرى عمرها ٣٠ ألف سنة .

كذلك رسالتنا نحن، تلك التى لو وصلت، فستصل إليهم بعد ٣٠ ألف سنة من الآن.

والآن مضت أربعون عاما منذ بداية عام ١٩٦٠ . أربعون عاماً من البحث المستمر عن الإشارات القادمة من حضارات أخرى غير أرضية.

❑

استنتاجات أخرى تؤكد وجود الأنواع البدائية من الحياة بأماكن أخرى بالفضاء، بينما الحضارات المتقدمة نادرة الوجود بمجرتنا.

يعنى.. نحن وحيدون وسط حديقة ممتدة فى أرجاء المجرّة كلها، كما يؤكد د.«رين هارت برودر» فى معهد «ماكس بلانت» للفيزياء الفلكية بميونيخ الألمانية.

أما الأطباق الطائرة.. أو أجسام السماء المجهولة فليست إلا أسطورة.

أسطورة العصر الحديث، حيث لم يثبت أى رصد علمى أياً من هذه الأجسام الطائرة المجهولة. يعنى.. ببساطة، أنه لاهبط أحد.. ولا صعد أحد.

إن الأطباق الطائرة أسطورة، تماما كأسطورة آخر أنبياء الأهراميين حتى الآن ـ النمساوى «روبرت تمبل» ـ عن هبوط مخلوقات فضائية من نجمة الشعرى اليمانية للأرض.. ورجوعهم من حيث أتوا.

والشعرى اليمانية أقرب النجوم إلينا، وتبلغ المسافة بينه وبيننا ٤,٥ سنة ضوئية.. أى المسافة التى يقطعها الضوء فى أربع سنوات ونصف.

أما مخلوقات «روبرت تمبل»، فزارت منطقة البحر المتوسط عام ٨٥٠٠ قبل الميلاد. لذلك فهم أصل الحضارة الفرعونية فى مصر القديمة.. على حد اعتقاده. كذلك هم أصل الحضارة السومرية فى أرض ما بين النهرين، دجلة والفرات. ثم هم أصل اليونانية الإغريقية.. وأخيراً.. حضارة الهند.

ويظل «تمبل» وأتباعه ـ كمعظم الأهراميين ـ على رأيهم بالرغم من تأكيد العلماء أن الأرض لم تشهد ـ قبل ظهور الحضارة الحديثة ـ سوى إنسان العصر الحجرى، صاحب الحياة البدائية.. فيما تقدر حياة البشر فقط على الأرض بمائتى ألف عام.

وأول مجتمع زراعى نشأ على الأرض كان منذ ثمانية عشر ألف سنة، بالتحديد فى منطقة غرب «إسنا» جنوب مصر، قبل بناء الأهرام بما يزيد على ثلاثة عشر ألف سنة.

ومن المؤكد أن الأرصاد الفلكية لم تكن متبعة عند قدماء المصريين فحسب، إنما كانت ضرورية لما ارتبط نجم الشعرى اليمانية عندهم بفيضان نهر النيل.

والعالم المصرى الفذ محمود باشا الفلكى أثبت علاقة أكيدة بين الهرم الأكبر وبين نجم الشعرى اليمانية. ليس لأن بانى الهرم أفراد ممن تصورهم النمساوى «تمبل»، إنما لأن الفراعنة ـ كشعوب قديمة ـ عبدوا هذا النجم وقدسوه لارتباطه بالفيضان والخير.

أما قارة «أطلانتس» فلا يؤكد وجودها ـ بالرغم من آلاف الأساطير والحكايات ـ إلا إشارات قليلة قديمة مشكوك فيها وردت بكتابات الفلاسفة اليونان «سولون» و«أفلاطون». تلك الحكايات سمعوها أثناء زيارتهم لمصر.

«سولون» ـ مثلا ـ أشار فقط للجزيرة المثالية التى غرقت فى الغرب.

أما أفلاطـون.. ففى أعقاب فـشله فى حكـم الجزيرة التى مـنحها له أحـد الحكام ليحقق جـمهوريته الفاضلة. بـدأ فى كتابة قصة قارة مـثالية سعيدة أطلق عـليها اسم «قارة أطلانتس»، تخيل ـ كما فعل سولون ـ أنها كانت بالغرب (غرب بلاده طبعا).. معتمداً فى ذلك على حكايات المصريين.

وأشارت ورقة بردى فرعـونية للجزيرة نفـسها.. «أطلانتيس»، إلا أن عالمـا يونانيا اسمه «جلافوبوليس» اكتشف فى الستينيات أن من ترجم تلك المخطوطة قد أخطأ.

أخطأ العنوان والمكان.

ونقل هذا الخـطأ قارة «اطلانتيـس» من شمال الإسكنـدرية بالبحر المتوْسط.. إلى مكانها المزعوم بالمحيط الأطلسى.

فالفـراعنة كانوا يسـتخدمون رمزاً للـدلالة على الرقـم (١٠) هو نفسه المسـتخدم للـدلالة على الـرقم (١٠٠) لذلـك فحجم قـارة «أطلانتـس» أو «جزيرة أطلانـتس» الحقيقى لا يزيد على عُشر الحجم الذى وصفه «سولون» «وأفلاطون».

وليست أطلانتس إلا جزيرة غرقت بالبحـر المتوسط جهة الشمال من الإسكندرية المصرية لـعلها اختلـطت فى الأذهان بقصـص الطوفان الذى أغرق الأرض أكـثر من مرة فى التاريخ. والذى جاء ذكره فى كل الحضارات والديانات.

إلا أنه بـعد ذلك.. وفـى السبـعينـيات خرج مـن أكد أنه لا وجـود إطلاقاً لـقارة «أطلانتس» الغارقة على خريطة العالم منذ اكتشف الإنسان أنه يحيا على الأرض .

❑

الغريـب هو ما قالـه علماء مـحترمون لايـدينون بما يـعتقده الأهـراميون. العـالم «چيمس جرينز» أعلن صراحة: «أن الكون كله لم يعد شيئاً مادياً، إنما أقرب ما يكون إلى الفكر. أو أنه فكرة عن شيء، وهو أيضا فكرتنا عن الذى حولنا».

«إذن هو فكرة فقط وليس مادة على الإطلاق».

أما د. ادننجتون فقال: «الكون شيء وهـمى.. والمادة وهم ولا علاقة لنا ـ كبشر ـ بهذا الكون إلا بفكرتنا عنه».

ثم قال بروفيـسور رابير: «المادة تتلاشى أو تلاشـت بالفعل أما ما أمامـنا وحولنا ، فليس إلا حالة عقلية وروحية لا نعيها جيداً».

فهؤلاء العلماء قد أثبتوا بكلامهم حقيقة ما أسمته طوائف الأهرام «بالوعى الكونى».. أو الوعى الحقيقى بالكون .. حيث لا مادة أبداً فى أى شيء. و«الوعى الكونى» عند طوائف الأهرام هو الإفصاح الصريح لعلاقة البشر بالإله. أو علاقة الإله بمخلوقاته.

والوعى الحقيقى بالكون يتأتى بعد أمرين.. التأمل الذى يقود للنصف الآخر وهو اكتشاف حقيقة هيام الروح. لذلك تعتقد «الرمز الواحد» أنه بالتأمل يدخل الشخص مرحلة القدرة على استيعاب حقيقة العالم كله فى الالتصاق بروح الرب من خلال سمو مقدس، والتأمل ليس فقط «خبرة عالية» فى التحكم فى عضلات وأعصاب وحركات الجسم ، إنما هو أيضا هدية من الرب.

وفى منطقة الوعى الحقيقى بالكون تقف على حقيقة المخلوقات ثم تنتصر على كل شيء بعد أن انتصرت على جسدك وهزمت المادة فيك. تنتصر على الغضب والرغبة فى الفناء فمن يصل لمنطقة «الوعى الحقيقى بالكون» تصله القدرة على السيطرة على الجسد بكامل مادته وعضلاته.. وأعصابه. يصبح جباراً.. يفعل أى شيء.

ومن يصبح جباراً يفعل أى شيء ، ستواتيه القدرة العجيبة على فهم الآخرين وسيرى كل المخلوقات مجردة هى الأخرى من مادتها.

يراها روحا..

إنه المشهد الأخير قبل وصول هذا الشخص للذروة العليا.. مرحلة ما قبل الخلاص.

فى كتاب «يعقوب بوهلى» أحد أعمدة التأمل واليوجا ومحاربة الجسد ـ يجرى حواراً من نوع غريب بين المعلم وتلميذه حول كيفية الاتصال مع الأرواح الأخرى.. والسمو للتحرر من مادة الجسم.

يسأل التلميذ أستاذه «سيدى.. كيف أصل للوعى الصحيح بالكون.. أرتقى لأرى الروح.. وألتحم معها؟!

ـ يابنى .. عندما تستطيع إلقاء نفسك حيث لا يسكن أحد. ولو للحظة، فقد وضعت قدمك على أول الطريق وتأكد أنك ستلتحم مع الروح الكبرى بعد لحظات.

التلميذ (مستغربا) : حيث لا يسكن أحد ؟! أين ذلك المكان؟!

الأستاذ: «إنه داخل نفسك لن تكتشفه إلا عندما توقف تفكيرك المادى لفترة.. وتستعمل إرادتك.. لو حدث فاعلم أنك سترى الروح الكبرى.

التلميذ: وكيف أراها؟! وأعيها؟ وقد توقف تفكيرى.. ومن ثم إرادتى؟!

الأستاذ: لا تتعجب فحينما يتوقف الفكر داخلك ويتوقف معه ذكاؤك الدنيوى ثم رغباتك ستظهر لروحك أجنحة ومن ثم سيظهر لك ذكاء وإرادة أبدية فيك. سترى وسيرى الناس الروح من خلالك . روحك الصغيرة ستسمع وترى الروح الكبيرة. إلى أن تفعل ، ستظل حبيس المادة غير قادر على التحكم لا فى تفكيرك ولا فى إرادتك.

ستصبح عجلة خيالك مستمرة دون فائدة. ولو لم تفعل فستفقد شيئا فشيئاً كل القدرة على الاتصالات العليا.. السماوية السامية».

«انظر داخل نفسك وقتها ستجد أن شهواتك .. حبك للمادة.. وسياج الدنيا هم مؤخروك عن رؤية وسماع الروح الكبرى فافعل ما قلته لك.. وبسرعة حتى لا يفوتك الوقت».

عند «الرمز الواحد» غالبا ما لا يصل للوعى الصحيح بالكون إلا المتطورون روحياً فى أى مجتمع. وهؤلاء هم أصحاب الفكر الجديد والموهبة الروحية العالية، يعنى «الروح الكبرى» تجتذب بعضا ممن لو وصلوا إليها واتصلوا بها لأصبحوا مؤثرين على مجتمع الأرض، ويصبحون «همزة الوصل بين الروح الكبرى وبين باقى الأرواح فى العالم المادى».

كالهندية «رومارا».. الروح الوسيطة التى تتحد مع روحها طائفة «الرمز الواحد» عند هرم خوفو كل عام.

ومع أن «رومارا» لم يشاهدها أحد من قبل إلا أنها تعمل على الوساطة بين ضعاف الروح فى عالمنا هذا.. وبين الروح المطلقة حتى تعبر بهؤلاء الضعفاء مرحلتهم الأولى.

وعند طوائف الأهرام .. يمكن لأى إنسان أن يتصل ويسمو ويعرف الكون على حقيقته ومن ثم يتحد مع الروح الكبرى.. إنها تجربة لا تحتاج لإمكانيات شخصية

نادرة لأن المسيح الأخير قال: «الحق أقول لكم لا يوجد رجل من الماء ولا من الروح لا يمكنه الدخول لمملكة السماء».

يعنى كل منا قادر على دخول تلك المملكة.. مملكة السماء، حيث سمو الروح والاتصال.. الذى يبدأ من عند الهرم الأكبر. فبموجب هذا الاتصال يضع الإنسان لنفسه بذرة البعث من جديد ثم يقوم بعد موته. ويدخل «دائرة الضوء» ضوء النفس الحقيقى، فلايرى ولا يسمع ولا يشاهده الناس من حوله إلا «شفافا» وقتها تحلق روحه ويصبح سهلاً عليها التحرك من الماضى للحاضر ومن الحاضر للماضى.

أحدهم مارس التجربة وحكى عنها.. استطاع أن يعيش كما قالوا «ضوءاً» لمدة ١٠٠ يوم ، بعدما مارس تمارين التأمل مدة ٩ سنوات وكما يقول «فى إحدى الليالى.. أحسست بوجود شخص معى فى الغرفة.. فترة وشعرت أن هذا الشخص لم يكن إلا أنا متحرراً من كل مادة .. وقتها عرفت أن بعثى ـ وأنا حى ـ قد حدث.

يكمل : «اقترابى من البعث ثم دخولى فيه لم يعتمد على خبرتى الشخصية. ثم إنه ليس سحراً أو عملاً سفلياً.. تجربتى تمت حينما طورت بذرة البعث داخل نفسى إنها البذرة القوية التى تسكن كل إنسان».

يورك برنار يقول فى كتابه «تجربة اتحاد مثيرة»: «كل ليلة قبل أن أنام ، كنت أطلب من نفسى السعى لمزيد من المعرفة.. طلبت من الروح الكبرى مزيداً من الالتصاق بها ثم تعميدى فى علاقة جديدة وخاصة».

«كنت دائما يقظا .. حتى أثناء نومى كنت مترقباً لأية رسالة من رسائل الأرواح قد تصلنى، فعلت كل ما أمكننى لتركيز عقلى فى لا شىء.. أوقفت تفكيرى تماماً ، جلست وحيداً فترة طويلة حتى انفصلت عن نفسى.. تركتها فى جانب وأنا فى جانب آخر».

يكمل برنار: «تلك هى الطريقة البسيطة والأكيدة لتحضير عقلى وجسدى لاستقبال خبرة «الاتحاد مع الروح الكبرى» والوعى الحقيقى بوجودى فى هذا الكون».

بعدها اتصل يورك برنار الهولندى الجنسية بما أراد أن يتصل به، ثم بدأ رحلاته للهرم الأكبر بالجيزة ـ كما قال ـ كل يوم.

وهناك .. ظل يرتقب الخلاص منذ عام ١٩٨٩.

وكما دخل برنار «دائرة الضوء» حيث السمو النفسى.. فعل الكثيرون قبله وبعده من «أبناء الضوء». وهم إحدى جماعات الأهرام وهم يرون أن الروح المطلقة التى بنت الهرم أو أوصت الإنسان ببنائه ليست إلا «ضوءا» ومثلما فعلت معظم طوائف الأهرام ، كفرت جماعة «الضوء بالمسيحيين» واعتنقوا مسيحيتهم الخاصة التى تؤكد أن الضوء داخل كل فرد يجب أن يخرج.

و«أبناء الضوء» يرون أنهم مختلفون عن كل الناس، وأن الذى يشعرون به فى أعماقهم لا يمكن لأحد غيرهم أن يدركه.

إنه نفس ما كان يشعر به الرُسل والأنبياء والمرسلون ، الذين هم أيضا روح واحدة فى أشخاص عديدة . هؤلاء الرسل كانوا يتعذبون تماما كما يتعذب «أبناء الضوء».

فالرُسل وأبناء الضوء على حد سواء يعتقدون أنه عن طريق التأمل يستطيع أى بشرى رؤية النور فى أعماقه، نور النفس الأقوى من نور الشمس ، والأعمق منه.

هذا النور الداخلى هو نور الله.. أو هو الروح المطلقة الكبرى. والنبى أو الرسول عند أبناء الضوء يساوى مئات الأصفياء وإذا جلس هؤلاء جميعاً وأطالوا النظر فى نفوسهم صامتين.. فى تركيز تام، فإن نور الخالق يتجلى فى قلوبهم جميعاً، ومن ثم يصبح كل واحد منهم رسولاً ونبياً جديداً.

ولجماعة الضوء طقوسها عند الهرم، لكنهم على عكس الطوائف الأخرى فلا طبل ولا زمر ولا مثلث موسيقيا حديديا يطلق صفيراً حزيناً ولا أى نوع من الضوضاء «والزيطة».

إنما صمت.

فهم يجلسون صامتين جميعاً ويقوم كبيرهم بترتيب جلوسهم بطريقة معينة ، ثم يترك كل منهم لنفسه.. ومع نفسه.. يتأمل ويفكر فى صمت.

أما لماذا الهرم؟! فلأنه أساس الروح ومكمنها ومركز «الصمت الأزلى» والروح ضوء والضوء طهارة وهم يبحثون عن الطهارة المطلقة عند مركز الضوء.

أوائل هذا القرن أعلنت «ماتيلدا زايمن» زعيمة «أبناء الضوء» أن العالم كله يقرأ

ما قاله المسيح، وما قاله بقية الرُسل والقديسين.. دون أن يسأل نفسه عما تقوله النفس وماذا تحاول أن تحكيه القوة الضوئية داخل كل جسم إنسانى.

ورأت «ماتيلدا» أن أتباع كل العقائد الأخرى لصوص سرقوا الكلمات من أصحابها الحقيقيين ، يحفظونها ويعيدونها دون جديد. إنهم كمثل الحمار يحمل أسفارا.

ورأت أن هناك أيضا لصوصاً آخرين، إنهم الذين يسلبون كلمات القديسين عظمتها ويعطونها للكنيسة ثم العظمة والكبرياء لرجال الكنيسة من القساوسة والرهبان والشمامسة وكل رجال الكهنوت. مع أن الخالق لم يعط عظمته لأحد دون الآخر. فالبشر كلهم عنده متساوون فى العظمة ، ولهذا لم تجعل الروح نائباً لها على الأرض. إنما جعلت لكل شخص نائباً عن نفسه.

أما «جورج فوكس» كبير أبناء الضوء فقد قال عام ٧٥ إننا قادرون على استحضار الروح العظمى إذا صمتنا متأملين.

ففى الصمت تخرج منا الروح وتظهر بوضوح فى عالمنا ، مذيلة بنور الرب الباهر. أما المرض فهو أن تنطفىء الأنوار داخلك فإذا أظلمت نفسك .. ضاع الطريق واختفى الهدف الأساسى للوجود الإنسانى.

والمرض تمزق داخلى يؤدى لاضطراب خارجى.. شكوك ووساوس، لينتهى بشلل نورانى داخلى لا يخرج بعده النور إلا بصعوبة مباشرة.

أما الصحة.. فهى الشفافية المباشرة التى تكسر أية حواجز بينك وبين نفسك. حيث الطريق مفتوح للتأمل .. ثم الاتصال من بعده.

وليس لجماعة الضوء نص مكتوب ولا كتب مقدسة إلا الكتاب المقدس نفسه بعهديه الجديد والقديم مع الاختلاف فى التفسير.

وهم يعتقدون أنهم الأصح والأصوب والأجود والأكثر إيماناً فهم لا يبشرون بدين جديد ، إنما أفصحوا عن حقيقة كانت موجودة لكن لم يكتشفها أحد. مع أن المفروض أن يعتقد فيها الجميع.

«وأولاد النور» انتشروا وسيطروا على ولايات أمريكية كثيرة بداية القرن الحالى وقد دعوا للسكون والهدوء أول مرة، قالوا إنه بالهدوء والسكينة يتعادل الإنسان مع

نفسه .. فلا يجعل جسمه غليظاً يحجب النور الساطع عن أعماقه وبعد فترة تحولوا للسلام التام نبذوا كل اختلاف يؤدى لسفك الدماء وقتل النفس ونادوا بالانفصال عن كل الشهوات الإنسانية ، ولا مانع من الاتحاد مع جماعات أخرى مشابهة لأن المصلحة واحدة.

والخلاص لابد أن يأتى.

سواء عندهم أو عند «الرمز الواحد» و«الصليب القرمزى»، وهم لا يحلفون أبداً على حتمية مجيئه فهم لا يقسمون على شيء أبداً لأن القسم معناه أن هناك حقيقتين.. مع أن الحقيقة دائماً واحدة.. ثم إن المسيح قال «لا تحلفوا البتة».

ومثلما طرأت التغيرات على كل طوائف الأهرام ، طرأت عدة تغيرات على «أبناء النور»، فقد تراجعوا عن الصمت قليلاً ، وأصبحوا يكلمون بعضهم ويتكلمون وهم يتعبدون، ويتحدثون وهم يتناقشون.. وبدأ بعضهم يرفع صوته وهو يكلم زوجته وأبناءه.

مع أنه نادراً ما كان يفتح أحد فمه.

لكنهم للآن مازالوا غير مؤمنين برجل واحد يسوسهم، فهم جميعاً مثل بعضهم البعض كلهم سادة.. وكلهم عبيد.. وكل طوائف الأهرام تركع وتسجد ويتناولون الطعام المقدس بطرق وتفسيرات مختلفة، لكن الجديد أن «جماعة الضوء» بدأت تتكلم بعد أن كانوا يفعلون كل ما يفعلون عند الهرم فى صمت تام. لقد كان القول عندهم أن من كانت شفتاه فى فمه. فليس منهم لأن الشفتين الحقيقيتين داخل الإنسان فى أعماقه. هناك تنغلقان وتنفتحان دون أن يراهما أحد.

4

قسيس برتبة «شرير أعظم»!!

دار الخيّال

«الطاووس».. إله الشر

لم تكن «كنيسة الشيطان» الأمريكية جديدة. فقط هي آخر مجموعة من سيل الحركات المشابهة.

ولا تعتبر حركة «الشيطان» الأمريكية الأكبر ضمن «الجماعات الدينية من هذا النوع» إلا أنها الأشهر والأوسع صيتاً بفضل خطة إعلامية وإعلانية منظمة تعمل على ترديد اسمها باستمرار في أوساط محبي «المثير» حول العالم.

وكهنة كنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو يدينون بالولاء لأول من تحالف مع الشيطان في العالم الحديث. د «فاوست» الطبيب النمساوي، الذي عقد حلفاً مع الشيطان .. بموجبه يحصل د. فاوست على الحكمة والعلم، بينما وعده حليفه بأن خلاص العالم على يده.

أي على يد د. فاوست.

كان هذا عام ١٩٢٧ وقيل إن «فاوست» والشيطان قد تقابلا بمكان ما بصحراء سيناء المصرية ، بالتحديد قرب مدينة شرم الشيخ الحالية . ثم افترقا على أن يكون اللقاء الثاني العام القادم.

أي عام ١٩٢٨.

والميعاد لم يتم. لأن د. «فاوست» مات قبل اليوم المحدد بأيام قليلة.. فحزن الشيطان، الذى وقف فى الميعاد وحده بالصحراء معتقداً أن «د. فاوست» خان العهد والميثاق.

أما «فاوست» من جانبه، فقد أوصى أتباعه بضرورة التواجد لمقابلة الشيطان فى الموعد المقرر.. لكنه مات فجأة تاركاً تلاميذه فى حيرة لا يستطيعون تحديد المكان بالضبط.

ولم يذهبوا فى الميعاد المحدد.

وظلوا للآن خائفين كل الخوف من الغضب الشيطانى على عشيرتهم.

لكن بعضهم هدأت نفسه ، بعد أن اتصل بهم الشيطان نفسه ، وقال إنه صفح عنهم وعن أولادهم.. وصفح عن فاوست نفسه على أن يتوددوا له بالثياب الحمراء.. والخمر والدم فى الأعياد.

ويبدو أن عراقيا اسمه «نزار» كان يجهل عهد «فاوست» ولا يعلم القصة كلها، لأنه أعلن عام ١٩٣٨ أنه أقام أول حلف مع الشيطان فى التاريخ.

وهاجر «نزار» من العراق فور إعلانه عن الحلف، لأن حكومة بلاده بدأت فوراً فى تتبعه للقبض عليه. ولنزار أتباع كثيرون ـ حتى وقتنا هذا ـ فى كل من سوريا والعراق والأردن واليمن.. وقضت السلطات السعودية على آخر أتباعه داخل أراضيها عام ٧٨.

«والديانة اليزيدية» هو اسم ديانة نزار. وفى سوريا كانت السلطات تصدر حتى وقت قريب بطاقات هوية كتب فى خانة الديانة «يزيدى» لأتباع تلك الديانة.

ويعرف السوريون والأردنيون «اليزيديين» بأنهم عبدة الشيطان.. وأصحاب حلف نزار والشيطان.

ولعن الشيطان مكروه عندهم .. ومحرم على البالغين من الرجال.

وهم يؤمنون بإله خالق أكبر للكون، لكن لأن هذا الإله يواجه مشاغل كثيرة منذ فترة فقد فوض الإدارة لمساعده وساعده الأيمن الملاك «الطاووس».

والملاك الطاووس هو إله عند اليزيديين، فهم يسبحونه ويصلون له لأن السلطة العليا فى يده بعد أن نصبه الإله الأكبر حاكما بدلاً منه.

وللمـلاك الطاووس قصة.. فـقد عصى ربه فـى بدء الخليقـة ، لذلك عاقبـه الله عقـاباً شديداً.. فـظل يبـكى سبعـة آلاف سنة حـتى ملأ سـبع «جرار» من دمـوعه.. وحينما ألقاها فى جهنم.. أطفأها، فكافـأه ربه بأن أعاده لمركزه الرفيع.. فجعله مكانه بعد أن ظل سبعة آلاف سنة شيطانا يبكى على باب النار.

ثم فوض لـه الإدارة بكل ما فـيها، وفوضـه أيضا فى تـقبل الصـلوات.. وتنفـيذ دعوات «اليزيديين» .

واليزيديون يعتبرون أتباع الديانات الأخرى «خطائين»، لأن الأفضل من أن يلعن المؤمن المـسلم أو المسـيحى أو اليـهودى الشيطـان، أن يسبحـه ويقدره ويمجـده اتقاء لسطوته وخـوفاً من غضبه. فهو المدير الحـقيقى للكون وهو القـادر وحده على إنزال جميع أنواع العذاب بكل المخلوقات .. أو من أراد منهم..

لذلك يـتعجب «الـيزيدى» من إصرار مـعظم الديانـات الأخرى على عـبادة إله الخير.. أو حـب الخير، لأن لو كـان رب هذه الديانـات خيّراً فهـو إذا غير قادر عـلى العقاب.

بينما الشيطان مصدر الشر الأوحد. أو هو القادر الوحيد على الإيذاء والعقاب.

و«لليـزيديين» كتاب مـقدس اسمه «روش» وكتـاب آخر اسمه «الجلـوة» يحوى النصوص التفسيرية لآيات «روش» أو الكتاب الأسود.

والكتابان بالـلغة الكردية وخليط من الـلغات السيريانية القـديمة وتحكى أن الملاك «الطاووس» هو رئيس الملائكة ، وهو الذى انحدرت من نسله الملة «اليزيدية»..

وهم لا يعترفون بالأنبياء فالخالق دائماً مايُرسل الطاووس نفسـه للناس، يهديهم ويدعوهـم للصراط المستقيم، ويحذرهـم من جهنم وبـئس القرار.. فالـطاووس هو الرسول الـوحيد بين الخالق ومـخاليقه.. لـذلك فلا داعى لا لرسول ولا لـنبى.. ولا رسالة أو نبوة.

وللـملاك «الطـاووس» هيكـل مقدس تـعد زيارتـه فرضاً ديـنياً أسـاسياً، وعـلى اليزيدى أن يزوره مرة على الأقل كل عام، وباب المعبد يظل مفتوحاً طوال العام، كى يستطيع كل «يزيدى» القيام بالزيارة المفروضة أى وقت شاء.

وزعماء «اليزيدية» خصصوا «طاووساً» من الـذهب، يتنقلون به بين المدن والقرى

السورية عام ٤٢ يؤدى نفس غرض زيارة المعبد، ومـن لم يستطع الصلاة فى المعبد.. عليه أن يصلى أمـام الطاووس الذهبى.. وأن يدفع الثمن مع بعض الـعطايا والهبات خصوصا فى الأعياد الدينية.

وحينما يصل «الطاووس» لمدينة ما.. فإن أهـلها يذبحون الذبائح ، قبل أن يطوف الشيطان «بالطاووس» أرجاء المدينة، ويعقـدوا مجلساً كبيراً بعد وصول «الطاووس» للمدينة بثلاثة أيام.

و«اليزيدى» يقـدس أربعة عناصر طبيـعية.. النار والهواء والماء والـتراب ويتوجه فى صـلاته لـلشـمس ، التـى هى نـار.. والنـار هى رمز لـقوة وبـطش الـطاووس.. الشيطان.

وهم يصـومون ثلاثة أيـام فقط فى شـهر فبرايـر من كل عام.. والـصيام عنـدهم فريـضة غلـيظة لـكل من بـلغ الثـالثة عـشرة من عـمره.. واعتـقد فى الـطاووس .. ولايجوز «للـيزيدى» وقت صيامه أن يسـمع صلوات الديانات الأخـرى، ولا يسلم على صاحبها.

ولا يتمشط بمشطه ولا يحلق رأسه بموسيه ولو اضطر فليغسله بماء طاهر.. جيداً.

والزواج عـند الـيـزيدى مـحرم يوم الأربـعاء ولا يصـح لأبنـاء الشيـوخ والأمراء الزواج من غيـر بنات الشيوخ. والزنى لـه فيما بينهـم عقوبة حسب الظروف فـيغفر للزانـية إذا زنت مع يزيـدى، وتقتل لو فـعلت مع غـير يزيدى، وهـم يـرفضون زواج اليزيدى من أجـنبية، أو اليزيدية مـن أجنبى.. والمرأة فى أى ديانة أخـرى «نجسة» فى أنظارهم.

والغريب أن الديـانة اليزيدية تحرم القراءة والكـتابة على «اليزيـديين» مـاعدا عائلة واحدة، عائلـة كبير الحكم، ويبـدو أنهم يخشون اطلاع أبـناء مذهبهم علـى الحقائق الدينـية عند الديانـات الأخرى، التى لابد أن تـؤدى لخلافات فيمـا بينهم وعلـيه فلا يدخل أحـدهم مساجد المسـلمين ولا كنائس المسيحيين ولا معـابد اليهود وبالـطبع يحـرمون أكل «الـطاووس» و«الـديك» و«الفـراخ» و«البط» وكـل ما يمـت للطـيور بصلة.. كذلك حُرم عليهم لحم الأسماك والغزلان والخنازير.

المهم أنه قبل ألف عام دعا لنفس التعاليم شخص اسمه «يزيد ابن أنيسة».. وكان

من فارس انضم فترة «للخوارج» ثم انقلب عليهم وخرج عنهم وادعى أنه قابل الشيطان وأنه عاهده على صداقة أبدية بينما وعده الشيطان بتخليد روحه بعد موته.

ابن أنيسة قال: إن الله سيبعث نبياً جديداً بعد محمد ﷺ من الإيرانيين.. وأن هذا النبى سينزل عليه كتاب من السماء مرة واحدة، وأنه سيلغى كل الديانات السابقة بما فيها الإسلام والمسيحية واليهودية.. وبعدما مات «ابن أنيسة» حُرم على أتباعه القول بأنه فعلا مات، وقالوا إن روحه هائمة حول أماكن أصحابه.. فهو لن يموت بعدما حصل على العهد من الشيطان .

أول إعلان رسمى عن كنيسة الشيطان «بسان فرانسيسكو» بالولايات المتحدة كان شهر يوليو عام ١٩٦٦ ، أعلنه الكاهن الأعظم «سيزاندورليفى» فى السابعة مساء ببهو الكنيسة.

ومع نهاية العام ، خرج أول ميثاق «شيطانى» بعد اجتماع دام ٦ ساعات لهيئة كبار «كهنة الشيطان فوق الأرض».. وقتها انفتح باب فيضان الثورة لتحطيم كل القيود والعقائد التى ظهرت خلال الألفى عام الماضية.

فقد رأى «الشيطانيون» أنه لا طريق إلا ضرب كل ما يعمل على تشتيت القدرات الإنسانية وخداعها باسم .. أى دين.

وأعضاء الكنيسة حول العالم هم فقط من يحملون كروتاً طبعتها واعتمدتها الكنيسة الأم بسان فرانسيسكو وهم وحدهم المعترف بهم من قبل مجلس الكهانة الأعلى. أولئك هم فقط من لهم حق التصويت على أى قرار.

هؤلاء أيضا وحدهم المتمتعون بالقوة السفلية، وهم القادرون على استخدام أدوات الشيطان .. لذلك فهم يكرهون لفظى «الخير».و«الحب».. أشد الكراهية وحتى يصل العبد منهم لدرجة عالية يجب أن يكون مسح كل مابداخله من «حب» و«خير».

أى أن يتحول لشخص سيىء ووقح وشرير.

و«الشيطانيون» يتدرجون فى مراتبهم الكنسية بعد تدريبات واختبارات عديدة.. فيبدأ السلم من عضو ثم أمير ثم أمير مجموعة ثم أمير كهف تدريجياً حتى «شر» و«شر أعظم» ثم «كاهن فوق الأرض» وأخيراً «مُرسل من القوة السفلية راع للكنيسة».

ودرجة «مُرسل من القوة السفلية» لا يصلها سوى الشغوفين بتعاليم الشيطان ، الراغبين فى مزيد من العلم والمعرفة، وعندما يصلها أحدهم فإنه ـ تلقائيا ـ يكتسب القدرة والسلطة لتكوين مجموعة أخرى بعيدة عن «مقر الكنيسة» ويجوز له تلقى الدعم ومناهج التعاليم الخاصة بعد اعتراف مجلس الكهانة.

و«الشيطانيون» يرون أن كل البشر كذابون وأن العالم كله يكذب على نفسه، فهم ـ أى الشيطانيين ـ ليسوا سذجًا، كما يحاول أن يشيع عنهم الناس، وفى مقدمة لكتابه «العالم يضحك على نفسه» قال «سيزاندور ليفى»: «من أجل كل الكذب بخصوصنا أخذ كل عضو بجماعتنا على عاتقه محاولة إصلاح المفاهيم الخاطئة عن ديانتنا.. فإن عقيدتنا جميلة.. وشريرة فى الوقت نفسه ، إلا أن الأديان الربانية مسيطرة على العالم كله.. ومتغلغلة داخل كل نفس بما يجعل الكل يرفض تصديقنا.. والدين لن ينقشع بسرعة فالكل يخدع نفسه.. ويخدع المحيطين به ، لهذا يصبح دورنا صعبا إلا أنه مادامت لنا أصوات فلابد لضوء الدين أن يخفت.. ويختفى ويندثر وستزيد نقاطنا السوداء بسرعة، وينتشر ديننا بمساعدة صديقنا «الشيطان» الذى نعمل من أجله.. ومن أجلنا يعمل». ليفى يقول فى نهاية مقدمته: «إن كنت غير مقتنع بنا، فما عليك إلا شراء إنجيلنا.. ذاكره لا تتصفحه فقط، فإنجيلنا هو كتاب الشيطان، وتعاليمه.. إنها ليست ديانة أى أحد وليست بمستطاع أى أحد أيضا ، فالشيطان له نظرة فى تابعيه.. إنك لا تلعب مع ملاك.. ولا تحالف شخصا يحب الخير».

يكمل: «تأكد أننا قُساة فى الغضب ، بشوشون فى اللعب، لسنا ناديا ليليا أو ملعبا أخضر مريحاً، نحن مجموعة من العاملين بشغف ورغبة للوصول للبديل الوحيد.. بديل شيطنة العالم».

وفى عام ٩٢ تعرض أعضاء كنيسة الشيطان لحملة اغتيالات منظمة من بعض المتدينين، قتل فيها ما يزيد على٢٧ «شيطانيا» وبعض أفراد عائلاتهم. وقتها سارعت كنيسة «سان فْرانسيسكو» فأعلنت ميثاقاً خاصاً أطلق عليه اسم الميثاق (١٢٨) أقر فيه أعضاء الكنيسة أن شيطانهم غير شيطان الكنيسة المسيحية وغير شيطان المسلمين .. أى أن ما يعبدونه لا علاقة له بما يكرهه المسيحيون أو المسلمون ، وقال (الميثاق ١٢٨) أن كلمة (Satan).. لفظ عبرى أو أحد مشتقات كلمة عبرية تعنى «التضاد»

أو «النقيض» وقالوا إنهم لا يقدسون الشيطان لأنه شيطان ، إنما يقدسونه لأنه الرأى الآخر.

فالعالم كله يحب الأبيض ويكره الأسود، يميز الخير عن الشر ويفضل الطيب عن الشرير، مع أنه يجب أن يكون هناك دائماً منصف للآخر .. أو للضد.

لذلك فهم أتباع الضد.

هم أتباع الآخر فحسب، ولأتباع أى دين مطلق الحرية فى أن يعتقدوا فى ديانتهم مع إيمانهم بتعاليم «الشيطان».

و«سيزادور ليفى» حاول اللعب أخيراً على وتر الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين بعد إقامة جمعية مسلمة مسيحية فى الولايات المتحدة لمحاربة كنيسة الشيطان.

ففى الاجتماع السابع والستين عام ٩٣ وهو الاجتماع الذى سجلوه ووضعوه فى صناديق بريد المواطنين الأمريكيين قال ليفى إن المسلمين بالرغم من أنهم لم ينسوا قسوة الحملات الصليبية وما فعلته بهم من قتل واغتصاب وتشريد باسم الصليب فإنهم - أى المسلمين - بعد انتصاراتهم الرائعة عادوا وأرغموا أسراهم على اعتناق مذهبهم .. ليس هذا فقط، إنما وصلت أياديهم لأعياد المسيحيين .. ونسبوها لأنفسهم، ومازالوا حتى الآن يحتفلون بها كما لو كانت طقوساً دينية خاصة بهم.

ويقول فى نفس الخطبة: «إنه لكى يعرف الكل أنه لا دين ولا ديانة صحيحة، فإن الأعياد التى اقتبسها المسلمون لأنفسهم من المسيحيين أعياد وثنية ، مارستها ديانات قديمة على المسيحية والإسلام.

فشجرة عيد الميلاد مأخوذة عن ديانة مانى «الفارسية القديمة» والاحتفال المسيحى بعيد الربيع ليس إلا صورة من احتفالات وثنية قديمة بابتعاد الشمس عن خط الاستواء».

يقول ليفى: «حتى عيد ميلاد مسيحكم .. فمنكم من يحتفل به قبل نهاية العام.. بينما يحتفل به الآخرون بعده.. فى حين أن التاريخ يثبت أنه لم يولد لا هنا ولا هناك.. فقد ولد المسيح صيفاً» .

يكمل: «إننا لا نثرثر.. فقط ارجعوا لمراجع المؤرخين .. كيف تهز مريم النخلة لينزل البلح، مع أنه لا بلح شتاء(؟!)

ثم إن مكان ميلاد «يسوع» يتكون فيه الثلج معظم أيام الشتاء، الأمر الذى يجعلنى متسائلا فى دهشة كيف لأم أن تجلس فيه أياماً فى حالة ولادة(؟!)

يقول ليفى إن أصحاب الديانات الأخرى يخدعون أنفسهم، وإن كانوا يسخرون من «عباد الشيطان» فهم متساوون.. فالشيطانيون يؤمنون بما يرونه صحيحاً، والمسلمون أيضا. وإن كان المسيحيون يسعون «للخير» وهم مصرّون على الخيار الصحيح.. فإن وجهة النظر الأخرى تؤكد أن الشر هو الأول.. والأصدق.

وكلمة (Evil) هى معكوس كلمة (Live) أو أن الحياة تساوى الشر والعكس بالعكس إنهم ـ كما قال ليفى ـ فخورون بأنهم يرتدون علامة الشر التى هى أصل الحياة.

ويؤكد ليفى فى كتابه نفسه «إننا لا نقدم الحيوانات كقرابين كما يفعل المسلمون ولا نؤذى الأطفال أو نعطى الأوامر بقتل النساء كما يفعل إله اليهود. لأننا ببساطة ليس لنا إله، فقط لنا صديق.. أكثر سماحة لمن يعتقدون فيه.

إنه ودون حرج.. رمز الشر فى العالم .

«عبادة الشيطان» ديانة الجسد والسعادة.. السعادة التى يجب أن يطلبها الناس فى كل وقت، وكل مكان بأى ثمن يطلبونها أيضا.. بأى طريقة.. لأنه لا حساب ولا آخرة ولا قيامة ولا نار تنتظر العاصى الذى خرج عن الطريق السليم.

ولا شىء اسمه «روحانيات» .. وكل ملموس موجود ، فيما عدا ذلك كلام فارغ إلا «الشيطان» .. فهو موجود بالرغم من أنه ليس ملموسا.

وهم لا يصدقون أنه يمكنك أن تحب الجميع.. أو أنك تسعى لهذا .. فتعامل الطيب كما تعامل القبيح، أو على الأقل تطلب من الله أن يسامح الكل.. لا يمكن، فلابد أن يجد الإنسان شيئا يكرهه أو قل يكره كل شىء ثم يجد شيئاً يحبه.

فدون الكراهية لا يُعرف معنى الحب.

ثم إنه بالكراهية يخافك الناس. ويخوف المجتمعات منهم وإخلاصهم لبعضهم البعض تبدو قوتهم فى المجتمع. فهم صنعوا أنفسهم بأنفسهم .. ولولا أنهم كرهوا العالم وأحبوا الشيطان ما كانوا ليظهروا .

إن كان لك أصدقاء.. فذلك جيد، أما إن لم يكن لك ولو حتى عدو واحد..

فلابد أن هناك غلطا.. أو أنك غير مضبوط لأن الإنسان يحتاج للكره والغضب بقدر ما يحتاج للحب والحنان.

وكما أن المثل يقول .. «البحر الهادىء لا يصنع بحاراً ماهراً»، فإن الحب الدائم والخير الأبدى يصنع إنسانا «مائعا» «متخاذلا» لو ضربه أحد على خده الأيمن أدار له الأيسر.. يخلق إنسانا ماركة «أحبوا أعداءكم» وأحسنوا للمسيئين إليكم».

الفلسفات الدينية الأخرى كلها غارقة حتى الآذان ـ على حد زعم معتقديها ـ فى الكمال، كل تلك الديانات توصى بالنوايا الحسنة والأفعال الطيبة وتتوعد من يخالفها بالنار تارة وبالعقاب فى الدنيا تارة أخرى إلا أن أحداً لم يشاهد أو يتأكد من هذا العقاب حتى كتابة هذه السطور.

فلا الميت قام ليحكى.. ولا الحى مات ليرى.

ولن يحدث هذا ولا ذاك ، لأن العقاب الدينى أسطورى .. و«الشيطانيون» يرون أن أى شخص كرس حياته للدفاع عن دينه.. سيجد أنه من الصعب جداً الاقتناع بدين آخر.. فماذا لو كانوا يقنعونه بلا دين.. ولا رب ولا رسل.. ولا قيامة ولا حساب ولا نار ولا جنة تجرى من تحتها الأنهار .

على شبكة معلومات إنترنت أجرى الكاتب حواراً مطولاً.. بلغ أكثر من ساعتين مع «ماريا ماردرنيا» حاملة رتبة «الشر الأعظم» بكنيسة الشيطان سان فرانسيسكو.. وفى الحوار تكلمت «ماريا» كأنها فعلا ملكة متوجة على عرش الشيطان.. وقالت: إن كنيسة الشيطان بعد سنوات قليلة من إعلان ميثاق قيام الحركة، استطاعت تحويل مجموعات كبيرة من المثقفين الأمريكيين وأصحاب الطبقات الاجتماعية الأرستقراطية الأوروبية لجماعتهم.

وقالت «ماريا» إنهم ـ أى أتباع كنيسة الشيطان ـ مازالوا يحاولون وينجحون.. فترة بعد أخرى.. قالت أيضا إن دينهم قائم على ثلاثة مبادىء.. أولها عدم الإيمان بالله ثم إنكار ما يسمى «بالذات الإلهية» ثم تحقير أية ديانة يقول أصحابها أنها جاءت من السماء لتدعو للخير وترك الشر.

فالشر لن يترك ، لأن الشيطان حارسه.

وقد وعد هذا الحارس بأن الشر «سيستشرى» ويستمر دون أن يوقفه أحد.

هذا مـن جهة ، مـن الجهـة الأخرى.. الشـر هو القـوة العظـمى الـتى تحرك بـنى البشـر.. والشر ٨٠٪ من عنـاصر ورغبات بنـى آدم وهو لذة فى حد ذاتـه، ولا يمكن للإنسان أن يترك كل ملذات الدنيا باعتبارها شراً .

المسيـحية والإسلام والديانـة البوذية واليـهودية حتى الـزرادشتية.. كلهـا حرمت «الزنى» وقد ترك المـسلمون لذتهم فيه لـوعد بخلود بعد الموت، مـع أن الإنسان فطر على اللذة.. والـشبق، ولم يفطر علـى الموت وانتظاره فهو يكـره الموت ويخافه، ولا يعرفه.

وعلى العكس.. فاللذة كانت الدافع الأول لارتقاء الإنسان وتقدمه.

فأيهـما أقرب لطبيـعة البشر.. انتـظار ما بعد المـوت «غير المؤكد» أم الاستـمتاع واجترار النشوة هنا وهناك.

هم يرون أن اللذة أفضل وأن صاحبها هو الأولى.

وصاحب الـلذة «شيطـان»، والشيطان الـقوة الوحيـدة التى تضمـن للبشـر مكان اللذات. وبذلك يصـبح نبذه ظلماً تاماً، كمـا ظلم الشيطان من قبل. إذ كـيف يحكم عليه الله أن يسجد للانسان؟!

كان يستطـيع أن يرد الظلم، ويمنع عـقاب الرب له لكنه فضّـل أن يترك الأمر بين يدى البشر.. إما أن يتبـعوه وهو المظلوم ، أو يظلوا مع الخير الظالـم الذى ظلم نفسه وظلم من تبعوه .

والشيطان أشجع من فى الكون.. لقد وقـف أمام الله ، الوحيد الذى لم يقف فى وجهه أحد منذ بدء الخلق. فقد رفض «صديقهم الأعظم» ـ كما تقول ماريا ماردرينا عن الشيطان ـ طلب الله بالخضوع للإنسان.. لقد حدد العلاقة من أولها .

❑

ونبش قبور المـوتى طقس «مهم» عند الـشيطانيين وهم يؤدون هـذا الطقس ثلاث مرات كل عام ، عـلى شرط ألا تكون جثثا مـنهم.. أى ألا يخرجوا «شيطـانيين» من قبـورهم. وقـد جاء فى «كـتاب الـظلام» علـى لسـان الشـيطان لأحـدهم: «هـا هم يخرجون.. ليـسوا أعداء لكم ، إنما هم منـاصروكم على ما تحاربون مـن أجله.. لقد خلعوا عن أجسادهم عـفن دياناتهم الدنيوية وعفونة الإيمان البـشرى سيساعدونكم، وستساعدونهـم ،خلوهم معكم، وخلوكم مـعهم.. اجعلوهم لكم قبـل أن يضمهم

الأعداء يوما ما، فهـا هو الوطن يعود من جديد.. ها هـم يخرجون من تحت الأرض عرايا.فألبسوهم واتخذوهم أصدقاء .

وصلاة «جـماعات الـشيطـان» لم يعـرف عنـها إلا القـليل.. وهـم يؤدونهـا فى مجموعات متـفرقة ليلاً، فالشيطان لا يـقبل إلا ترانيم الليل والاعتـقاد بشرب «عبدة الشيطان» الدماء ليس صحيحاً ، لأن دم كل ما هو ليس «شيطانيا» نجس .

تبدأ الصلاة بإشعال النيران وسط حلقة مـستديرة فى منتصف مكان رسمت على أرضه نجمة خماسية، بعدها يشعل خـادم الصلاة أى عدد من الشموع من مضاعفات الرقم «٦» فى حين يخلع باقى المصلين ـ حتى النساء منهم ـ ملابسهم العلوية تماما.

وقبل أن يحين موعد «الرقصة الحمراء» يرتل الـكاهن جزءاً من «المفاتيح السبعة» التى يتم بها استحضار روح «الشيطان» أو أحد معاونيه. ثم يحين وقت الرقص وبعد سريان مفـعول المخدرات برؤوسهم ، يـشبك الأعضاء أيديـهم مع بعضهـم البعض ويلفـون حول النجمة الخـماسية المرسـومة على الأرض حتـى يتساقطوا مـن الإعياء واحداً تلو الآخر.

اليزيديون يفعلون هذا أيضا.

ويظل أحـدهم مستيـقظا لضبط الاحـتفال.. وأحدهم هـذا يسمونه «الـدليل» أو «المركز» الذى يستمر فى قراءة التراتيل والتعاويذ، ثم مقاطع متفرقة من كتاب الظلام حتى ينتهى الشيطان من محادثة النائمين السكارى.

ولحظات الاتصال بالشيطان لا تحدث إلا بعد «نـومة الصلاة» لذلك غالبا ما يلجأ الكثيـرون من «عبدة الشيـطان» للمنومات والأدويـة المخدرة خصوصاً مع حـساسية بعضهم للخمر والمخدرات.

وحينما يطلع الفجر يوقظهم «الدلـيل» ويبدأ بمن سقط أولاً، حتى تتكافأ الفرص فى الاتصال ويتم تبديل «المركز» أو «الدليل» كل ثلاثة أيام.

ولا يوجد شيطانى واحد لا يعتقد فى قوة الشيطان وعدله وإلا كان مناقضاً لمفهوم وصايا الشر والحياة.

فوصايـا الشر والحيـاة تؤكد أن الشيـطان ليس إلا الانغـماس الذاتى فـى ملذات صاحبه.. وتركه الـلجام لأهوائه ورغباته بدلاً من الـكف عنها بسبب غيبـى أو طلبها فى حـياة أخرى بعـد الموت. والشيـطان هو الأمـل المنتظـر وأقوال «كتاب الـظلام»

ليست إلا أقوالا حقيقية بدلاً من أقوال الدين الكاذبة .. فالشيطان هو الحكمة وهو الطريق إليها. وهو الرحمة لأصحابه ورعاياه.. وهو الحب والشر لمن يستحقونه. كما أنه المنتقم ، الضارب .. الجبار. وهو أشجع «الحيوانات المفترسة» .. وأشجع المخلوقات ، خلق نفسه بنفسه وحير كل العالم بما فيهم الآلهة. وأخيراً هو أعز صديق لنفسه، ومن تبعه يصبح هو .. ويصبح له وبه مع العلم بأن الصداقة لدى الصديق الأعظم مقدسة.. وعهده لا يحله إلا الدماء.

القداس الأسود هو الطقس المشترك بين الشيطان «تحت الأرض» وبين أتباعه فوق الأرض ، والشيطان فى هذا الطقس كثيراً ما يطلب «فتاة» جميلة من أتباعه.. تكون مختارة لجواره وهو يمارس ذلك الطقس.. فهو يضاجعها ، أو يضاجعها من ينوب عنه.. وبذلك تحقق لنفسها وللمجموعة «الشرف» العظيم .

والطقس الأسود يبدأ بعد تراتيل «المفاتيح السبعة» تليها رقصة الخلاص، حيث يخلع الأعضاء ملابسهم المتبقية، وقد اختاروا أحدهم ليقف فى منتصف الدائرة بدلاً من «الدليل.. ثم يأتى الدور على الفتاة المختارة التى تخلع ملابسها كلها هى الأخرى لتبدأ ممارسة الجنس الجماعى.. وتتلقى الفتاة كل رغبات المجموعة، ثم تتعالى الصيحات المجنونة أملاً فى ألا يطلب الشيطان الفتاة لمضاجعتها تحت الأرض.

فهم قد أنابوا عنه فى مضاجعتها ولا داعى لأن يطلبها.

ولو حدث وطلبها، فهم يدفنونها والباقى عليه، والكاهن الأعلى رتبة بينهم هو الذى يحدد ما إذا كان الشيطان يطلبها لنفسه أم لا.

فالكاهن هو صاحب القيادة فى الجماعة.. وهو الأمير وصوت الشيطان لا يسمعه إلا هو. كذلك همهماته التى تعنى الكثير .

«ماريا ماردرينا» أو الشر الأعظم أكدت ـ من خلال حوارها على شبكة انترنت ـ أن كنيسة الشيطان قد مرت خلال الثلاثين عاماً الماضية بما يمكن أن نسميه حملة تطهير واسعة أو خطة دققت بحزم ودراية كاملة فى الأعضاء، فقد وجد مجلس الكنيسة الأعلى أن هناك من يجب فصلهم من «اللاهوت الشيطانى».. لأن هؤلاء خرجوا عن التعاليم الشيطانية ، وتبنوا آراء شخصية لم يرض عنها المجلس.. لذلك خرجوا فى التطهير.

وظل مجلس الكهانة الأعلى متأكداً من أن هناك من لايزال يتمسح فى كنيستهم،

ومن يقلد الشيطانيين بعد أن عرفهم العالم أملاً فى «التميز» أو «التفرد» إضافة لبعض المراهقين الذين وجدوا فى أفكار «سان فرانسيسكو» مادة «مثيرة» ثرية.

«ماريا ماردرينا» تقصد بهؤلاء منظمة تحمل اسم «منظمة الشيطان» بالفلبين، تكونت من أعضاء سابقين بكنيسة سان فرانسيسكو.

وهؤلاء هم الذين خرجوا فى «حملات التطهير»، وكونوا «منظمة الشيطان» لسحب السجادة من تحت أقدام كنيسة سان فرانسيسكو.. بدأوا بمجموعة صغيرة لاقت دعاية كبيرة من الشركات التجارية حتى انتشروا وذاع صيتهم، إلا أن أتباع «سان فرانسيسكو» لازالوا على رفضهم الاعتراف بهؤلاء لأن ـ على حد قول ماردرينا ـ الشيطان لا ينزل إلا فى الكنيسة الأم عند الكهف المظلم بسان فرانسيسكو أقصى غرب الولايات المتحدة الأمريكية.

وتحت دعوى «لا تكن مغفلا فتصدق هؤلاء» تنصحنا ماريا ماردرينا بأن نعرف القصة من أولها.

عام ٧٤ دخلت كنيسة «سان فرانسيسكو» المرحلة الرابعة من تطورها، قوة تلك المرحلة استمدت من رغبة الأعضاء القوية فى إعادة التنظيم على كافة المستويات.. كانوا وقتها ٧٦٨ شخصاً، وجدوا أن هناك ما يفوق عددهم يدعو للشيطان حول العالم نظير مبالغ مالية يحصلها من الأتباع.. يعنى يسرقهم، ويسرق الكنيسة الأم.

لذلك طبعت «كنيسة الشيطان» بطاقات و«كارنيهات» مختومة للأعضاء الموثوق بهم والمنتمين فعلا للكنيسة وإعلان أن من لم يملك «الكارنيه» ليس «شيطانيا» أصيلا.

بعد فترة.. اكتشف «سيزاندور ليفى» مؤسس الكنيسة والكاهن الأعظم أن بعض حاملى «الكارنيهات» خونة، فقد كونوا جماعات أخرى من البلدان الأوروبية بدون علم الكنيسة، وحصلوا على مبالغ مادية كبيرة من وراء الكنيسة.

جن جنونه.. ووقف شعر رأسه.. وأصدر قراراته بقصر أعضاء كنيسة الشيطان على المواطنين الأمريكيين مؤقتاً، وعلى المقيمين خارج أمريكا القدوم للأراضى الأمريكية لمعرفة ديانة الشيطان الحقيقية.. وبذلك أصبح كل من يحصل على أموال وهدايا وسمعة خارج الولايات المتحدة.. نصابا.

فى ذلك الوقت ظهر «مايكل اكينو».

و«اكينو» أحد الحاصلين على درجة «أمير كهف» من الكنيسة الأم، فقد حضر إليها بداية عام ٧٣، واجتاز امتحانا تحريرياً وحصل على عضويته فى الشهر الخامس نفس العام.. ثم غادر الولايات المتحدة للفلبين.

واستمرت مراسلاته مع الكاهن الأعظم «ليفى»، الذى قويت علاقته به طول فترة إقامته بالولايات المتحدة.

وقد تأكد «ليفى» أول ما رأى «اكينو» أنه والذين على شاكلته، الوحيدون والقليلون القادرون على أن يتفهموا الاستراتيجية الجديدة فى العمل.

وفى عام ٧٨.. وبعد عدة مقابلات بين «ليفى» و«اكينو» بدول مختلفة، أعلن «اكينو» أنه بعث «شيطانيا» فوق العادة، بعثه الشيطان نفسه.. وأعاد «اكينو» تنصيب «سيزاندورليفى» رئيساً للكهانة العامة للكنيسة الأم.

بعدها فوراً أصدر «ليفى» بيانا من مجمع كهنة كنيسة سان فرانسيسكو يؤكد فيه أن «اكينو» «شيطان» وأن أوراق اعتماده جاءت من تحت الأرض فعلا .

وبعد فترة من الصفاء، دب خلاف حاد بين «ليفى» و«أكينو».. «فأكينو» قرر بعد فترة أن «الشيطان» تحت الأرض ظهر له فى المنام، وقال له أن يبلغ «ليفى» أن الأعضاء الشيطانيين قليلون، وأن قرار «ليفى» السارى بقصر أعضاء الكنيسة على الأمريكيين فقط هو السبب، وقال «اكينو» فى رسائل «لليفى» أن أوامر الصديق الأعظم لابد أن تنفذ، فأعضاء الكنيسة الأم على قلتهم لم يعودوا مساهمين جادين فى انتقال الحركة من حيزها الضيق إلى آفاق أبعد. وأنهم بالتالى لم يعودوا يشكلون أى خطوة إيجابية لتنفيذ «الاستراتيجية التوسعية» التى كان قد اتفق «اكينو» مع «ليفى» على رسم خطوطها.

وتقابل «ليفى» مع «اكينو» فى ألمانيا بعد عدة رسائل، وعلى ضفاف نهر «الراين».. اصطدم الرأيان. وتساءلا.. ما الحل؟! «أكينو» قال أن الأعضاء قليلون جداً، «ليفى» قال إنهم لما كانوا كثيرين سرقوا فلوس الكنيسة، أكينو قال أنه يريد أن يمارس الكهانة فى بلاده، وأنه يجب أن يشعر بعد سنوات طويلة من العمل الكنسى أن يصبح «ملكا» دينيا على الأقل بين أتباعه.

إلا أن «ليفى» أكد أن هذا ليس ضرورياً الآن.

لكن اكينو عاد وقال إنها أوامر «الصديق الأعظم» تحت الأرض. ورفض «ليفى»

التنفيذ. ورفض «أكينو» أن يرفض «ليفى».. وهكذا انتهى اللقاء «الألمانى» دون الوصول لحل. فقد طلب «سيزاندور ليفى» فرصة لترتيب أموره والتفكير فى الأمر.

وبعد إحدى صلواته فى الولايات المتحدة، جمع ليفى المصلين، وقال أن «الشيطان» جاءه هو الآخر فى المنام، وقال له أن «اكينو» ليس «جنياً» وليس «شيطانيا».. وأن الشيطان لم يره ولم يعرفه من قبل، وأنه أول مرة يسمع عنه كان من «ليفى» نفسه.

قال «ليفى» «للمصلين» أن «اكينو» حرامى هو الآخر. وأنه سرق فلوسا كثيرة جداً ممن يريدون الانضمام لكنيسة الشيطان، ووضعهم على قوائم الانتظار. وطلب اتفاق هيئة كبار كهنة «سان فرانسيسكو» على قرار.

وفى اجتماع مغلق، وبموافقة الكل، أصدر مجلس «الكهنة الأعلى» قرار تحويل كل القنوات الشرعية لاكتساب عضوية الكنيسة إلى شخص آخر جديد اسمه «فلاديمير جودريو». و«فلاديمير» كان أحد أتباع «ليفى» الأوفياء. وأمر «فلاديمير» بأن يدخل كل من يريد الانضمام للكنيسة أمام مجموعة من كبار الكهنة للتأكد من شخصيته.

ثم صدّق مرة أخرى على قرار ليفى بضرورة أن يقتصر أتباع الكنيسة على الأمريكان وحدهم. وأن كل من ليس أمريكيا ليس شيطانياً، وأكد فى منشور طبعه أن مجلس الكهانة وافق إلى جانب كل هذه الإجراءات على امتحان تحريرى يعقد كل عامين للمتقدمين للانضمام لكنيسة الشيطان. امتحان فى المعلومات العامة ومعلومات عن الكنيسة وأصولها وآراء المتقدم الشخصية فى الشيطان ورسالته على كوكب الأرض .

وبقرارات «فلاديمير» أغلق «ليفى» الباب فى وجه «اكينو» ووجه كل العابثين.

وجن جنون «اكينو»، الذى طبع المنشورات هو الآخر وقام بتوزيعها فى كل من الفلبين واستراليا والولايات المتحدة نفسها متهماً «ليفى» «بالتربح» من مركزه الكنسى، وطبع البطاقات لأعضاء الكنيسة مقابل مبالغ مالية كبيرة. قال «اكينو» أيضا أن ليفى هو «الحرامى» وأن حركته لاتساوى «بصلة».. لأن الشيطان حول كل الأوراق وسلطة الكنيسة لديه هو، ولم يعد لليفى أى سلطة.

وكتب «أكينو» لأصدقائه داخل الولايات المتحدة والأرجنتين والاتحاد السوفيتى

كى يكـونوا حركة جـديدة، بعيـداً تماماً عن حركـة «سان فرانسـيسكو»، وطـلب من الكثـيرين داخل الولايـات المتحدة خصـوصاً «الشيطانـيين» منهم عـقد شبه جمـعية عمومية وسحب الثقة من «سيزاندورليفى».

وعقد «أكينـو» عدة اجتماعات، كان متحـمساً فيها جداً، إلا أنه توقـف بعد فترة لأسباب غير معلومة.. وقيل أنـه تلقى تهديدات من مـجهولين تنذره بوضـع «نهاية حزينة» لحيـاته لو لـم يكف عما يفعـله. وقال «ليفى» أن سبب توقف «أكـينو» هو أنه عاد لصوابه.. وترك عداء «الصديق الأعظم» تحت الأرض.

ثم توفى «أكـينو» فجأة.. وكل مـا عرف عنه بعد وفـاته تحوله للبـحث فى أصول العقائد الفـرعونية القديمة وأساطيرهـا. ثم أعلن بعد فترة طلبـه الانضمام مرة أخرى لكنيسة الشيطان فى سان فرانسيسكو، إلا أن طلبه قوبل بالرفض.

ووجد فى ٣ يناير عام ١٩٨٥ مقتولاً داخل الغرفة ٤١٢ بفندق «أوركانوا» بمدينة سيدنى الاسترالية فـى الساعة الثامنة مساء.. دون ملابس.. وقيدت قـضية مقتله ضد مجهولين، لأنه حتى الآن لم يستطع البوليس الاسترالى تحديد الجانى.

إلا أن تقاريـر تشريح الجـثة أكدت وفاته إثـر انهيار عصـبى حاد أدى لهـبوط فى الدورة التنفسية. ربما سمع صوتاً لم يكن يتـوقعه.. أو ربما شاهد منظراً لم يكن ينتظر أن يشاهده.

وقيل إنه شاهد «الشيطان» لأول مرة.. وأن «الشيطان» أمره أن يموت.. فمات.

ونعى «سيزاندور ليـفى» أكينو وأعلن أن الشيطان صفـح عنه، وأن «أكينو» مات شيطانيا.

وأصدر «ليفـى» مع مجلس الكهـانة بيانا أكدوا فـيه أن: «جماعة الشيـطان بسان فرانسيسكو لا تلـوم المتمحكين فى عقيدتها من كل أنحاء الـعالم. ولا يخفى عنه أن بعض هؤلاء قد يصدق نفسه، مع أن ليفـى لم يعطهم أى موافقة.. إلا أن الشمس لا يقدر أحـد على إطفـاء نورها وعلـى هؤلاء أن يلعبـوا البولنـج، أو يتجهـوا لمحاولة «المشى على السلك» بدلاً من الأمل فى رغبة لن تتحقق».

ثم أصدر ليفى قانوناً جـديداً يغير اسم من يتولى بعده كهانة كـنيسة الشيطان إلى اسم «ليفى».

خلال العشرة أعوام الماضية، قام معبـد الشيطان بـكنيسة سان فرانسيسكو بطـبـع

نشـرات خاصـة وشـرائط فيديو كاسيت تعرض للأعضاء وتـوزع على الراغبين فى الانضمام للـكنيسة. وعلى هذه الـشرائط سجلوا قصة الـكنيسة منذ بدايـتها وآراءها ومعتقداتها.. وتفـاصيل حياة الشيطان تحت الأرض، وتعاليمـه الخاصة التى يوصـى بها بنى آدم.

وحتى كـتابة هذه السـطور ما زال «سيزاندور لـيفى» الرابع صـدر الكنيسـة، فهو العليم بكل ما يحـيط بالقصص والتعاليم الشيطانية. ومـازالت كنيسته هى الأساس. وإرادته ومن معه من فولاذ، مـازالوا يحركون مشاعر كل العالم تجـاه حب الشيطان. ومن لـم يؤمن «كـالأغبياء والحمقى» من المـتدينين أصحاب «الرسالات الـسماوية»، فلن يورثوا إلا حقداً وقدرة الشيطان على «قلب حياتهم إلى جحيم» .

لقاء مع مندوب «الشيطان» !!

لم يكن هذا الـيوم من سنة ٨٧ مشمسـاً كعادة تلك الأيام من أيام الـصيف. ولم يخلُ من قلـيل من البرودة ونسماتها. ومـع أنه غريب أن تمر تلك النسـمات فى تلك الأيام من العام صيفاً، لم يمنع ذلك رواد الـشاطىء من الخروج صباحاً لأداء البرنامج اليومى المعهود.

كان يوماً غريباً.. ولأنـه كان كذلك، فقد بدا وكأنه الأنسب ـ أيضـا ـ لعقد اللقاء الأول من نوعه فى مصر بعد إنهاء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء. واللقاء المرتقب لقاء يجـمع بين اثنـين من «الشيـطانيين» عـلى رمال صـحراء سينـاء ، تحضيراً لـبدء أول حفلاتهم علـى بعد كيلو مترات قليـلة داخل الصحراء ، بعيداً عن شـاطىء «خليج نعمة» بشرم الشيخ. قبل الحفلة أو التحضير لها بأيام، تم فى إحدى غرف فندق قرب الشاطىء تعارف المستر (بادى) (جزائرى الجنسية) والمسيوجابريل.. الفرنسى. واتفقا على الخـروج اليوم الثانـى مع مجموعـة من البدو قصـاصى الأثر لدخول الـصحراء والتوغل فيها.

وفى اليـوم التالى.. صاحـب «أبو كمال» البدوى «بـادى» و«جابريل» حتـى نتوء جبـلى.. يسمـيه البدو« نـتوء الخيانـة». «ونتوء الخـيانة» يبـعد تقريـباً ساعتـين داخل

الصحراء باتجاه عمودى من الشاطىء.. هناك أشار «أبو كمال» «لجابريل» و«بادى» مؤكدا أن هذا هو المكان.

بسرعة قام «جابريل» بغرس ستة أوتاد ملونة بألوان فسفورية لامعة فى أربعة أماكن متقابلة على الأرض كل وتد فى مواجهة الآخر. فى نفس الوقت، كان «بادى» قد صعد لقمة تل قريب ليتأكد بحساباته أن الشمس فعلا تتعامد على الأوتاد. وتأكد «بادى» أيضا أن مكان غرس الأوتاد يبعد عن الجبل ٨٠ متراً.

لم يعرف «أبو كمال» ماذا يفعل هؤلاء الأجانب، ولم يكن يهمه أن يعرف، فحسبما كان الاتفاق.. لا مناقشة ولا كلام ولا سؤال مقابل مبلغ من المال لهذه الرحلة ورحلة أخرى بعدها بثلاثة أيام.

لم يكن «جابريل» و«بادى» وحدهما المرة الثانية، إنما مع مجموعة كبيرة من أعضاء جماعة «الشيطان» المجتمعين بشرم الشيخ للاحتفال بذكرى د. «فاوست» وذكرى لقائه مع الشيطان.

ومكان الأوتاد الفسفورية، هو ـ كما يعتقدون ـ المكان الذى تم فيه اللقاء الأول، والذى اتفق «فاوست» مع الشيطان على أن يتقابلا فيه السنة التالية، إلا أن فاوست مات قبل أن يحدث. ولأن «فاوست» أوصى أتباعه أن يذهبوا ليقابلوا الشيطان أو مندوبا عنه، إلا أنهم لم يفعلوا لأنهم اختلفوا فيما بينهم حول المكان. واعتقدوا أن الشيطان ذهب فى الموعد المحدد.. وظل فى منطقة «الصليب الفسفورى» مدة ثلاثة أيام.. ثم رحل دون أن يأتى «فاوست» ولا أحد من عنده دون سبب، وكاد يغضب.. إلا أنه سامح «فاوست» لأنه مات، وسامح أتباعه لأنهم لم يكونوا يعرفون المكان.

وظل على العهد.. ظل يذهب أو يبعث مندوبا عنه لنفس المكان فى الميعاد المحدد كل عام، فإذا كان «الشيطانيون» قد عرفوه.. فإن الشيطان أو مندوبه سيقابلهم، أو يعطيهم إشارة بأنه حضر، وإن لم يكونوا قد عرفوا المكان حتى الآن.. فهو ينتظر.

ولم تكن مهمة «بادى» و«جابريل» سوى التحضير لحفل اللقاء فى المكان المذكور.

ففى فترة الاحتلال الإسرائيلى لسيناء، منعت السلطات أى رحلات صحراوية داخل الصحراء بين الوديان. وكان صعباً أن يقيم الشيطانيون حفلاتهم، إضافة إلى

أن الاختلاف أصلاً حول المكان الحقيقى كان سبباً آخر فى صعوبة إقامة حفل «اللقاء».

والآراء مختلفة حتى الآن عن مكان لقاء «فاوست» و«الشيطان». قيل إنه فى «صحراء كلهارى».. وقالوا إنه فى الصحراء المصرية.. وآخرون قالوا إن اللقاء تم فى غابات استراليا، والمتشددون أكدوا أنه تم على حوض الأمازون.

ومع كل هذه الاختلافات، ظلت كنيسة سان فرانسيسكو غير معترفة بأى من هذه الأماكن، ورأت أنه لأنهم لا يعرفون المكان.. فلا داعى لإقامة «حفل اللقاء» من الأساس.

وحسب روايات أخرى، أن مكان «العهد» هو الوسط بين مدق «الفيروز» فى خطه العمودى على الشاطئ أمام خليج نعمة على بعد ٨ كيلو مترات داخل صحراء شرم الشيخ.

وهذا المكان يرفضه «شيطانيون» كثيرون، لأن الشيطان لا يمكنه النزول فى مكان ما قريب من الماء فى محيط ١٨ كيلو متراً مربعاً. لأن الأراضى التى تدخل فى هذا المحيط رطبة، والأرض الرطبة لا تغرى الشيطان بالنزول عليها.. لهذا لا يصلح مكان «جابرييل» و«بادى» أن يكون مكان «العهد».

«جابريل» و«بادى» لا تعنيهم هذه الأقاويل، لأن مكان «العهد» طبقاً لتعاليم جماعة «المتظاهرين» الفرنسية هو أى مكان ترتاح له نفوس الشيطانيين وتطمئن أنه هو، حتى لو اعتمدوا فى تحديده على روايات آخرين ليسوا «شيطانيين».

وقد تركت جماعة «المتظاهرين» لأعضائها الاجتهاد، خصوصاً أن د. «فاوست» لم يترك أى دلالات مكتوبة عن مكان اللقاء. و«بادى» اعتمد على رواية إحدى «آيات إنجيل الشيطان»، ومكان اللقاء حسب ما قالت الآية: «يبعد عن رأس المثلث البحرى المصنوع على رأس الشعاب المرجانية المحطمة. إنه المكان البعيد كل البعد عن الماء.. فإن نفد ما معك من زاد.. انتظر.. أن حليفك قادم. وإن لم تصمد، فلن تصل إلى الماء قبل أن تموت. فالعهد سينقطع كانقطاع الطاقة عن جسدك.. لن تصل للماء لو لم تنتظر حليفك».

ولأن الآيات لم توضح المكان بألفاظ دقيقة، اعتمدت جماعة «المتظاهرين» التى ينتمى إليها «بادى» و«جابريل» حسب اعتقادهما. ولجأوا لخرائط الغطس. فالمثلث

البحرى المصنوع هو «خليج نعمة»، بينما رأس «الشعاب المرجانية» هى المنطقة المسماة الآن «باللسان المرجانى»، وهى موجودة فى كل خرائط الغطس بعمق٦ أمتار تحت سطح الماء تقريباً.

وأصبح سهلاً تحديد المكان المتعامد «على رأس» المثلث المصنوع، على رأس الشعاب المرجانية المحطمة.

وقد أصر «جابريل» على الحضور بنفسه من فرنسا للتأكد من أنه المكان حتى لا تتكرر مأساة العام الماضى. ففى العام الماضى، أبرق «بادى» «لجابريل» مؤكداً أنه اكتشف مكان «العهد»، فما كان من جابريل إلا أن جمع مجموعة كبيرة من أتباع جماعته وركبوا الطائرات لمصر، وعندما وصلوا للمكان الذى حدده «بادى» «لجابريل»، اكتشفوا أن المكان رطب.. وليس جافا، ولا يصلح المكان الرطب لنزول الشيطان.

فكان أن تأجلت الاحتفالات.

«مارتن جون ليندول» العميل بجهاز المباحث الفيدرالية الأمريكية، والذى انتدب لقيادة المجموعة المكلفة بالبحث فى خطورة «كنيسة الشيطان» طبع مذكراته عام ٨٨ قال فيها أن فريق البحث توصل إلى أن فكرة كنيسة الشيطان ظهرت عام ١٩١٩ على يد مجموعة من «السحرة» و«أصحاب القدرات» الخاصة الذين كان بإمكانهم إدخال القطع الحديدية المسنونة فى أجسادهم دون جروح أو دماء. وقد اعتقد بعض أفراد الطائفة الهندوسية بولاية سان فرانسيسكو أن الشيطان هو السبب فى قدرات هؤلاء، وأنه هو الذى يعطيهم القدرات الروحية التى يتمتعون بها، لذلك دعوا هؤلاء «الهندوس» إلى تقديس الشيطان.. فهو الوحيد الذى يستطيع أن يقدم المستحيل.

وقد صدّق «السحرة» كلام الهندوس، وكونوا عام ١٩٢٠ رابطة اسمها «رابطة أصدقاء الشر» من أهم أهدافها التعامل مع «الجن» ومحاولة استرضائه. وفى عام ١٩٣٤ ظهر أول كتاب يتكلم عن «عبادة الشيطان»، كتبه أحد الأمريكيين الشبان اسمه «مايكل جلو» . قال «مايكل» إن مجموعة من «جماعة الشيطان» اعتادوا اغتصابه جنسياً لمدة ٩ أعوام، وأنه تحت التهديد المستمر من هؤلاء لم يستطع أن يبلغ البوليس أو يرفع الأمر للسلطات الفيدرالية. لكن بعد أزمة نفسية عصبية مرت به قرر

الكلام، ولـم يذهب لأقسام البوليس أو قاعات المحاكـم، إنما لجأ للـصحافة ونـشر الكتاب حتى يطلع الرأى العام الأمريكى كله على ما تفعله هذه الجماعات بالشباب.

وصف «مـايكل» جمـاعة «الشيطان» بأنـهم «أبالـسة يعـتقدون بأن الألـم الذى يتعـرض له ضحاياهـم يزيد من قدراتـهم الخاصة علـى ممارسة السحـر الأسود» قال «مايكـل» أنه متأكد أن لحركـة «الشر» دخلاً ما بحـوادث ذبح المواطنين التـى حدثت أكثر من ٨٠ مرة عام ١٩١٩.

وكان «مـايكل» هو مـفتاح «الهـويس»، فبعـد صدور كتابـه، تعددت البـلاغات المشابهة عـلى السلطات الفيـدرالية الأمريكية، واهتـمت الصحافة بكل مـا يقال عن «الشيطـانيين»، وأصدرت المحاكم الـدستورية قراراً بضـرورة التنسيق لـوضع قانون متشدد تصل عقوبـته للإعدام لو صدق ما قاله الصحفيون.. وكـانت حكاية «جماعة الشر» حقيقية.

إلا أن متحدثا باسم جماعة «الشر» وهو أحد الـسحرة قال لمجلة أسبوعية أمريكية أن هناك حركة فعلا اسمها حركة «أصدقاء الشر»، وأنهم فعلا أصدقاء الشيطان.

وقال متـحدث جماعـة «أصدقاء الشـر» أن لهم فلـسفة، وأن جمـاعتهم لـيست جماعة «عشوائية»، ولا هم مجموعة من «الرعاع» كما قالت الصحف. إنما مجموعة من «الروحـانيين» الشغـوفين بمعرفة قـدرات الشيطان وسـر الخلاف بينه وبـين باقى البشر منذ بدء الخلق.

وكان الحديـث صدمة، ومصيبـة كبيرة نزلت عـلى دماغ الرأى العام الأمـريكى، وأغلق الملف بعد القبض على مجموعـة جماعة الشر وعددهم ٢٥ شخصا بمن فيهم المتحدث باسمهم.

ومرت الأحداث، وتـكونت كنيـسة سان فرانسـيسكو، وظـهر «سيزاندور لـيفى الأول».. وكونت المبـاحث الفيدرالية فـريقاً للتحقيـق عام ٦٢ لتقديم تقريـر مفصل يعرض على الكونجرس فى جلسة مغلقة.

وبعد فترة مـن بدء عمل فريق البحث، اغتـيل اثنان منهم، واعتزل ثالـثهم «مارتن جون ليندول» العمل البوليسى، بعدما استقال من منصبه بوكالة (FBI).

«مارتن ليندول» سمى كتابه «دراسة عن جرائم السحر والطفل»..

وقال إن المجتمع الأمريكى أمام جماعة ليست تقليدية.. وأن هذه الجماعة لها فكرة جديدة ذات طبيعة خاصة.

قال أيضا أن الـ (FBI) بحثت أولا فى الوفيات غير المسببة للمواطنين خصوصاً المراهقين منهم. كذلك فتحوا ملف جثث الحيوانات المقطعة الأجزاء.. وثبت لهم بعد فترة. كما يقول «مارتن» أن العلاقة قوية بين طقوس «جماعات الشيطانيين» وبين هذه الحوادث.

قال «مارتن» أنهم وجدوا عدة صعوبات فى تتبع أعضاء الحركة قبل أن يعلن «ليفى» عن قيام كنيسة الشيطان. والسبب أن «الشيطانيين» لم يكونوا يكتبون أى شىء عن أنفسهم، ولم يحدث أن كتب أحدهم أية تفاصيل على أية ورقة.. حتى فى مراسلاته لزملائه داخل الولايات المتحدة كلها. لذلك لم يكن أمام مجموعة المباحث سوى الانتظار.. ومزيد من الدراسة، وعقد الاجتماعات والمؤتمرات مع أفراد الشرطة النظامية فى كل ولاية يكتشفون فيها حدثا له علاقة بجماعات «الشيطانيين».

يقول «مارتن ليندول»: «استمرت تلك الجلسات ما يزيد على ستة أشهر، مع أن تقريرنا لقيادتنا ثم للكونجرس كان يجب أن يقدم خلال شهرين من بدء فتح الملف.

«لم نفعل شيئا، أو لم نصل لأى جديد. وقد دعونا مجموعة من عملاء المخابرات المركزية (C.I.A) لمساعدتنا، ولما وصلوا لقاعة الاجتماعات، اكتشفنا أن معلوماتهم عما جاءوا لمناقشته قليلة جداً. وأن معلوماتنا تفوقها سبع أو ثمانى مرات. وطلبنا منهم دراسة الموضوع، وأعطيناهم كل الملفات، وطلبوا مهلة طويلة.. ووافقنا».

يكمل مارتن: «وبعد المهلة جاءوا مرة أخرى.. كانوا مضحكين هذه المرة، فقد قدموا لنا تقريراً مفصلاً كتبوا فيه مواضيع غريبة.. كلها كانت معلومة ومدروسة من قبل ولا تحتاج من مجموعة المخابرات المركزية أن يعيدوها».

«لقد قدموا ما أسموه «بنظرة تاريخية» ضمت نقاطا حول جماعات السحر ونقاطا فى معتقدات الديانات الوثنية التى تعتمد على السحر فى دفن الموتى ومعالجة الأمراض».

وأضاف مارتن أنه عندما وصلت المناقشة لمشكلة انتحار المراهقين وعلاقتها بجماعات الشيطان نبهنا أحد الزملاء بسؤال غير مجرى كل الحوارات السابقة..

قال الزميل.. إن المقابر لابد أن يكون لها دخل هى الأخرى.. أليس كذلك؟!

وهكذا تحولت دفة البحث، وأخرج فريق البحث ملفات كل جرائم نبش المقابر التى تمت بأسلوب واحد. وكانت النتيجة أن كل الأمور قد أوصلتهم لصورة مفصلة تؤكد أن الاعتداء على الأطفال والتضحيات بالمراهقين، ثم نبش المقابر هى طقوس تقوم بها مجموعات منظمة من البشر. وأن هؤلاء ليسوا سوى «عبدة الشيطان».

يقول مارتن إنه عندما قاربت مؤتمراتهم على الانتهاء، كانت قد ظهرت أمامهم عدة أشياء واضحة.. أولاً أن هناك جماعات مختلفة تنتمى لكنيسة الشيطان الأم. وأن هذه الجماعات تقوم بقتل الأطفال والمراهقين بعد اغتصابهم.. وأنهم ـ أيضا ـ يمثلون بجثث القطط والكلاب على أساس أن هذا يرضى «الشيطان» الذى يمدهم بالقوة.

يقول مارتن بدأنا فترة بعد فترة نعرف من نحارب بالضبط، واستخدمنا كل ما توافر للتنبؤ بحقيقة معتقداتهم.. وتصرفاتهم المجنونة القادمة، وطلبت تعزيزاً فى القوة من رؤسائى، وبالفعل.. وصلتنى مجموعة ممتازة من أكفأ الضباط فى مجال مكافحة الجريمة المنظمة».

«لكن للأسف ـ مازلنا مع ليندول ـ كثيراً ما كان يتلقى بعض ضباط البوليس النظامى معلومات شديدة الأهمية، فيفرحون.. ويرتبون للهجوم دون تحليلها وتقييمها جيداً، فتكون النتيجة أن نجدهم مقتولين مقطعى الأيدى والأرجل بفعل تلك الجماعات «المهووسة».

«بعد ذلك أشركنا بعض الأطباء النفسيين، ووضعنا أمامهم كل الملفات لتقديم مزيد من الملامح السيكولوچية لعبدة الشيطان، وتحليل سلوكهم المريض.. لكنهم للأسف لم يفلحوا فى تقديم جديد.. ولم تجد (F.B.I) إلا إصدار الأوامر بوضع خطة معينة لتصفية أعضاء جماعات الشيطان دون محاكمة.. الأمر الذى عدّله الرئيس كارتر عام ٧٨ إلى القبض عليهم ومحاكمتهم وتعريضهم للكرسى الكهربائى لو ثبت فعلا تورطهم فيما ينسب لهم من جرائم».

إلا أن ليندول ـ بالرغم من كل هذا ـ استقال فجأة، واعتزل العمل البوليسى في منتصف الثمانينيات دون أسباب معلومة.. ولا معقولة.

وقيل إنه تلقى أوامر من الشيطان بذلك.. وأنه نفذ تلك الأوامر.

وليد طوغان

المحتويات



عـربيـة للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

الكنائس الكاذبة

احتفظ الفكر الدينى القبطى بالثبات ولم تشهد العقيدة المسيحية المصرية شطحات دينية كبيرة أو كثيرة وما حدث أحياناً كان فى عرف المصريين الأقباط «بدعاً»، ويذكر التاريخ القبطى أن هذه «البدع» لم يؤمن بها عدد كثير من الناس وقت حدوثها. ولم تمض سوى فترات قصيرة - بعد كل بدعة - لتختفى هى وأصحابها وكل تابعيها وكأنها لم تكن، وتنجح الكنيسة كهنة وشعباً فى تجاوز كل آثار هذه البدعة. والأمر مختلف بين البدع التى ظهرت فى الكنيسة المصرية والبدع التى ظهرت فى كنائس الغرب فبدع الكنائس المصرية لم تتصف بالتطرف المطلق والشذوذ الفكرى على عكس ما حدث فى الغرب.. فقد وصل الأمر أن شخصا أسس جماعة ضمن معتقداتها أن المسيحيين ليس لهم جسد كباقى البشر؛ إنما لهم بعض الجينات المختلفة التى يمكن عن طريق تمارين خاصة أن تحميهم من كل الأمراض وبالتالى تضمن لهم عمراً أطول.

ومنذ منتصف الستينيات فى القرن الماضي وحتى الآن ظهر فى الولايات المتحدة وحدها حوالى ١٠٠٠ رجل ادعى كل منهم أن المسيح قابله وأمره بتنفيذ مخططات عنيفة ضد شعوبهم.

وظهرت جماعة «المسيحيون الصرحاء» و«كنيسة الوراء» و«كنيسة الروح» وأخيراً كنائس الصمت وكلها كنائس قالت إن المسيحية التى يعتنقها العالم مسيحية مزورة ولا تمت للمسيحية الحقيقية بصلة.

واللافت للدارس أن أول محاولات تشويه عقيدة المسيحيين المصريين فى القرن الأول قام بها يهودى تعلم الفلسفة فى الإسكندرية يدعى «كرنيثوس».

وعندما كان الإيمان المسيحيى فى الغرب يتعرض لهجوم من «كنائس الشيطان» والساريوجا وعباد الأهرام وطوائفهم [illegible] تنق مذاهبهم مسيحيون كثيرون، كان الأقباط فى مصر وكنائ[illegible] رج بمنأى عن هذا الشطط فى العقائد والذى تختلط فيه مذاهب الفلسفة مع [illegible] التمرد على حكومات الغرب.

«الكنائس الكاذبة» كتاب يدرس حركات التمرد على المجتمعات والتى ت[illegible] شكلاً دينياً مؤطرا ببعض النظريات العلمية أو تلك الأقاويل الم[illegible] لبعض الظواهر الغامضة فى هذا الكوكب الأرضى وأيضاً لا تب[illegible] الحركات عن بعض استخدامات أجهزة المخابرات العالمية.



دار الخيال - القاهرة - لندن